الدكتور محمد منصور

التوراة الحجازية

تاريخ الجزيرة المكنوز



الانتشار العربي

الدكتور محمد منصور

التوراة الحجازية

تاريخ الجزيرة المكنوز



التوراة الحجازية

تاريخ الجزيرة المكنوز

@YnWhq

الدكتور محمد منصور

الغلاف تصميم الفنانة التشكيلية

خلود القصيبي



ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
@Alintishar Alarabi
@Alintishar Alarabi
بيروت ـ لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150
ISBN 978-9953-93-326-9
الطبعة الأولى 2020

المحتويات

شكر وإهداء

الحمد لله وحده أن منّ علي بالعافية والعلم لإنجاز هذا العمل، والإهداء للأعزاء خلود ونبيل ووسنى لصبرهم على الأوقات الطويلة التي أمضيتها بعيداً عنهم في سبيل إنجاز هذا الكتاب.

توطئة

التوراة الحجازية (تاريخ الجزيرة المكنوز): فتح علمي مؤكد وفوز تاريخي ثابت، فبعد أكثر من ثلاثة عقود أمضاها د. محمد منصور في البحث والتدقيق ها هو في كشفه الجديد يلحّ على ثلاثة أقانيم تعدّل الدراسات التوراتية الغربية برمّتها: أولها أن فلسطين ليست الأرض المقدّسة التي كتب الله لإبراهيم. ثانيها أن غالبية اليهود اليوم بمن فيهم من هم في فلسطين لا ينتمون إلى نسل إبراهيم. ثالثها أن نصوص التوراة وعلى رأسها ألواح موسى دوّنت بلغة عربية قديمة هي لهجة قبيلة كنانة الأولى التي سكنت تهامة الحجاز منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد، والنصوص كتبت بخط الجزم المختزل؛ بما لا يجوز قراءته بحسب قواعد إملاء سيبويه .

وإذا كان أستاذنا الفاضل كمال الصليبي (1929 - 2011) رحمه الله غيّر وإلى الأبد مسار الدراسات التوراتية في أثره النفيس **التوراة جاءت من جزيرة العرب** وفيه زعزع مبادئ الفكر التوراتي الغربي، فإن مبحث د. محمد منصور إضافة إلى كتاب الصليبي وتعديل له: إضافة إلى جهة اللغة وتعديل لجهة الجغرافيا. فالقول بأن العبرية هي «شفة كنعان» هو في حقيقته إقرار بأنها لهجة كنانة العربية العريقة، ولئن دونت بخط الجزم فلا يجوز قراءتها حرفياً كما فعل علماء المأثور اليهود الذين أعادوا ضبط قراءة النصوص العبرية في طبريا بين القرنين السادس والعاشر الميلاديين، وكان موسى ابن ميمون آخرهم، فيما ألح هوذة بن قريش الجزائري في كتابه **الرسالة** على ضرورة التمسك بدراسة العربية والآرامية لفهم النصوص العبرية القديمة! من هذا المنطلق

يرى د. منصور أن التوراة في شقها العتيق نصّ عربي قديم يعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، وعليه فمؤلَّف **التوراة الحجازية** لهو أساساً مبحث في تاريخ الجزيرة العربية وأصول أنساب القبائل فيها من نوح حتى غزو نبوخذ نصر للحجاز وتصدي العدنانيين له؛ كما روى الطبري والمسعودي نقلاً عن أهل الأخبار العرب.

لعل كتاب د. منصور إذاً أول صفحة من تاريخ الأدب الجاهلي نصاً من العهد القديم للتوراة، أي الكتاب المقدّس، جرياً على منهجية قراءته لنصوص التوراة. وتبيّن للبحّاثة د. منصور أن الجغرافيا الصحيحة لأحداث التوراة هي مكة المكرمة؛ أم القرى وما حولها، ذلك أن مؤرخي مكة القدماء أحصوا أربعين اسماً لها وَرَدَ جلّها في التوراة. ولئن كان كمال الصليبي أبا هذا العلم التوراتي في القرن العشرين ؛ فإن محمد منصور يسجّل فوزاً عظيماً يتوّج هذا العلم.

في صيف 2011 كان لقاء أول بين د. منصور وقرينته خلود مع كمال الصليبي إثر اتصال خلود بالمؤرخ هاتفياً دون معرفة مسبقة، فرحّب بهما وأشار عليها بأن أرشدهما إلى منزله المطلّ على الجامعة الأميركية وأن أحضر اللقاء المزمع. في هذا اللقاء الأول كان د. منصور قد تقدّم بدراسته وخلص إلى أن التوراة عربية ومركزها مكة. وفي هذا اللقاء مع الصليبي قرأ د. منصور أمامه الإصحاح 16 من سفر التكوين قراءة عربية وليس ترجمة، وعرض عليه خريطة سنبل لمكة وفيها ثلاثة مواقع مذكورة في الإصحاح المذكور مما يثبت وجود سارة مع هاجر في مكة . وفوراً رأى الصليبي صواب منهج منصور ووافق على النهج والنتائج. هذا من جهة اللغة فالنصوص عربية، أما من جهة الجغرافيا فيرى د. منصور أن أحداث التوراة مجراها مكة وعليه فأورشليم/عرى السلام هي مكة.

فيما بعد أعلمني الصليبي برغبته في دعوته ثانية للقائه، وفي اللقاء الثاني هذا أكّد الصليبي ضرورة إتمام مبحث د. منصور ونشره. والدكتور منصور يفترق عن الصليبي في أن مكة وليست عسير هي جغرافيا الكتاب المقدس. إنها تهامة الحجاز وقصبتها الرئيسية في مكة، وبقيت كذلك حتى تأسيس المملكة العربية السعودية الحالية. القصبة مكة هي مركز الإشعاع الفكري منذ زمن الملك سليمان. فيها قدس

يرى د. منصور أن التوراة في شقها العتيق نصّ عربي قديم يعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، وعليه فمؤلَّف **التوراة الحجازية** لهو أساساً مبحث في تاريخ الجزيرة العربية وأصول أنساب القبائل فيها من نوح حتى غزو نبوخذ نصر للحجاز وتصدي العدنانيين له؛ كما روى الطبري والمسعودي نقلاً عن أهل الأخبار العرب.

لعل كتاب د. منصور إذاً أول صفحة من تاريخ الأدب الجاهلي نصاً من العهد القديم للتوراة، أي الكتاب المقدّس، جرياً على منهجية قراءته لنصوص التوراة. وتبيّن للبحّاثة د. منصور أن الجغرافيا الصحيحة لأحداث التوراة هي مكة المكرمة؛ أم القرى وما حولها، ذلك أن مؤرخي مكة القدماء أحصوا أربعين اسماً لها وَرَدَ جلّها في التوراة. ولئن كان كمال الصليبي أبا هذا العلم التوراتي في القرن العشرين ؛ فإن محمد منصور يسجّل فوزاً عظيماً يتوّج هذا العلم.

في صيف 2011 كان لقاء أول بين د. منصور وقرينته خلود مع كمال الصليبي إثر اتصال خلود بالمؤرخ هاتفياً دون معرفة مسبقة، فرحّب بهما وأشار عليها بأن أرشدهما إلى منزله المطلّ على الجامعة الأميركية وأن أحضر اللقاء المزمع. في هذا اللقاء الأول كان د. منصور قد تقدّم بدراسته وخلص إلى أن التوراة عربية ومركزها مكة. وفي هذا اللقاء مع الصليبي قرأ د. منصور أمامه الإصحاح 16 من سفر التكوين قراءة عربية وليس ترجمة، وعرض عليه خريطة سنبل لمكة وفيها ثلاثة مواقع مذكورة في الإصحاح المذكور مما يثبت وجود سارة مع هاجر في مكة . وفوراً رأى الصليبي صواب منهج منصور ووافق على النهج والنتائج. هذا من جهة اللغة فالنصوص عربية، أما من جهة الجغرافيا فيرى د. منصور أن أحداث التوراة مجراها مكة وعليه فأورشليم/عرى السلام هي مكة.

فيما بعد أعلمني الصليبي برغبته في دعوته ثانية للقائه، وفي اللقاء الثاني هذا أكّد الصليبي ضرورة إتمام مبحث د. منصور ونشره. والدكتور منصور يفترق عن الصليبي في أن مكة وليست عسير هي جغرافيا الكتاب المقدس. إنها تهامة الحجاز وقصبتها الرئيسية في مكة، وبقيت كذلك حتى تأسيس المملكة العربية السعودية الحالية. القصبة مكة هي مركز الإشعاع الفكري منذ زمن الملك سليمان. فيها قدس

الأقداس الكعبة الشريفة ببابها العالي الذي يصعد إليه بدرج داخل الهيكل ؛ وكان فيها تابوت العهد الذي فيه ألواح موسى وبقي منها الحجر الأسود!

بقي أن أقول إني عرفت محمد منصور بدءاً من 1971 في رحاب الجامعة الأميركية في بيروت وفيها تخرج طبيباً بعد ثلاثة عقود على تخرج الصليبي فيها، وبعد قرن على ترجمة **الكتاب المقدس** إلى العربية بإشراف كورنيليوس فان دايك أستاذ الطب فيها حين كان اسمها الكلية السورية الإنجيلية، ولئن كان الصليبي كرّ البصر في جغرافية هذا الكتاب فإنه قيّض لمنصور أن يعيد النظر في لغته فكَشَفَ عن تراث عظيم موغل في تاريخ العرب، ولا غنى عنه لفهم حاضر الأمة العربية بحيوية موروثها.

محمود شريح

بيروت / صيف 2019

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين أساس الحضارة، ولا حضارة بدون دين، تاريخ الحضارات القديمة يحتاج لنصوص كي يستقيم، والنصوص تحتاج لمعرفة القراءة، وصحة القراءة تعتمد على المعرفة الصحيحة للغة؛ لغة الحضارة المعنية.

في صيف 2011 سألت الدكتور كمال الصليبي؛ وكان ذلك في لقائنا الأول: إذا كانت التوراة جاءت من جزيرة العرب حقاً، أفما كانت مدونة بلغة عربية؟ وكم كان سروره عظيماً ودهشته كبيرة عندما علم بأن هذا كان منطلق بحثي اللغوي؛ والذي جاء يصب تماماً في صالح نظريته المعروفة من عام 1985 [1].

في خريف العام 1971 كانت المرة الأول التي أمسكت فيها بنسخة من العهد القديم في دروس الحضارات الأولى بالجامعة الأميركية في بيروت. كانت لدي تساؤلات كثيرة أحبطها الأستاذ بقوله إن التوراة كتاب أخلاق ومبادئ لا نصوصاً تاريخية معتمدة! فلما صدر كتاب الدكتور كمال رئيس دائرة التاريخ في الجامعة نفسها شعرت بأن شكوكي وتساؤلاتي القديمة كانت في محلها.

اليوم بات شائعاً بأن التفاصيل التاريخية واللغوية والدينية وأنساب القبائل ومساكنها بالنصوص ليست متطابقة مع الجغرافيا المفترضة في فلسطين. أضف إلى ذلك نتائج الأحماض النووية الحديثة (DNA) التي دلت بوضوح على أن أصول

(1) **التوراة جاءت من جزيرة العرب**، د. كمال الصليبي.

أكثر الجاليات اليهودية بالعالم لا تنتمي إلى صبغية (J1) التي يرجّح العلماء أنها الأكثر تمثيلاً لصبغيات إبراهيم (ع)! وقد بدأت أفكار تتجمع وتطفو لتصبح ظاهرة للعيان وكلها تشكك في فلسطينية الحدث التوراتي؛ بعدما كان مجرد البحث في هذا الموضوع يعتبر عبثاً علمياً. وقد آليت جمع ما تيسر في هذه المقدمة لأشد انتباه من له رغبة في الاطلاع على هذا الموضوع الجديد نسبياً على الأدبيات العربية.

دواعي الشك بفلسطينية التوراة:

1 - وجود حيوان الجمل المستأنس بقصص الآباء الأولين من إبراهيم (ع) حتى يعقوب (ع) مع العلم أنه لم يكن موجوداً في الحقيقة على أيامهم وحتى القرن (11 ق.م) إلا بنجد والحجاز واليمن وحضرموت وشرق إفريقيا، ولا يبدو في مدوّنات الرافدين حتى أواخر العصر الأثوري، ولا في تاريخ بلاد القبط القديمة حتى الغزو الفارسي . تأكد هذا من دراسات الدكتور ألبرايت[1] الباحث الأركيولوجي التوراتي الذي أتى من أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية إلى الشرق الأوسط وقام ببعثات متكررة لدراسة عظام الحيوانات بالكربون المشع لتقدير أعمارها. كما نقرأ عن تحريم لحومها[2] بالتوراة، فلماذا يحرّم لحم حيوان ليس موجوداً في بيئة من نزل عليهم التشريع؟

2 - لو كان أبو إبراهيم حقاً في بلاد الرافدين وأراد حقاً الهجرة إلى أرض فلسطين لسلك طريق الهلال الخصيب؛ فما حاجته لأخذ طريق هي أطول بكثير بالذهاب عبر حران وهي الآن بتركيا! كما أن المسافة من حران إلى جلعاد المفترضة بشرق الأردن بحاجة لما يقارب ثلاثة أسابيع لقطعها مع المواشي بينما تخبرنا النصوص بأن لبن أدرك يعقوب فيها بعد سبعة أيام فقط![3]

3 - البراكين في قصة موسى[4]؛ غير موجودة لا بفلسطين ولا ببلاد القبط ولا بشبه

(1) The camel and the wheel, p: 36.

(2) سفر اللاويين، الإصحاح 11، الجملة: 3.

(3) سفر التكوين، الإصحاح 31، الجملة: 23.

(4) سفر الخروج، الإصحاح 13، الجملة: 21.

جزيرة سيناء، في وقت نجد أهم مناطق بركانية في الشرق الأوسط بإثيوبيا واليمن والحجاز .

4 - بخروج بني إسرائيل ووجودهم في التيه بحسب سفر الخروج كان بحوزتهم أبقار كثيرة[1]؛ وسورة البقرة الأطول بالقرآن تؤكد كثرة وجودها بينهم وهم في التيه، وهو ما ليس ممكناً بسيناء الحالية لعدم تناسب البيئة الصحراوية وطبيعة الأبقار التي لا تتحملها.

5 - الممر البحري الإجباري الذي عبره بنو إسرائيل، وتهديد موسى لهم بأنهم إن لم يلتزموا بشريعة الله فإنهم سيعودون إلى مصر ولكن بالسفن هذه المرة[2]، وهو ما حدث فعلاً، ولو كانوا في بلاد القبط لعبروا من خلال التواصل الجغرافي بين البر الغربي وبر سيناء ذهاباً وإياباً؛ وهو الأمر الذي كان متاحاً عبر 120 كيلاً برياً قبل شق قناة السويس.

6 - الوصف التوراتي لأرض الموعد أنها كانت أرضاً جبلية بامتياز، وقراها كانت محصنة[3] وبها أبراج تعانق عنان السماء، ولا ينطبق هذا مع طبيعة أرض فلسطين التي نعرفها اليوم ؛ بل إن المستوطنين الأوائل من الصهاينة لم يجدوا أفضل من المناطق الساحلية لبدء استيطانهم لأنها مناطق النشاط الاقتصادي الطبيعي من زراعة، وتجارة وتواصل عبر البحر مع العالم ؛ بينما نرى الحال في القصص التوراتي يتغنى بالعزلة الجبلية لما توفره من أمان واستقرار .

7 - يقولون بأن موسى كتب التوراة بالحروف الآرامية القديمة - الفينيقية في وقت كانت الرموز الهيروغليفية هي المستعملة في بلاد القبط والمسمارية هي المستعملة بأرض فلسطين كما دلت رسائل تل العمارنة المعاصرة لعهد موسى (ع) والمرسلة من فلسطين إلى بلاد القبط. فمن أين تعلّم الآرامية التي كتب بها هو وأبناء هارون؟ وكانت نسخة من سفر الشريعة يعتقد بأن أحد أبناء هارون قد نسخها قد وجدت بهيكل سليمان على عهد الملك /يوشيا/واسية (2 ملوك 22)[4]، وتمكّن الملك والكاهن الأعظم حلقة وكذلك الكاتب سفيان من قراءتها وذاك بالقرن الـ(7 ق. م)، ولو كانت بالهيروغليفية أو المسمارية لما استطاعوا ذلك.

(1) سفر الخروج، الإصحاح 12، الجملة: 38.

(2) سفر التثنية، الإصحاح 28، الجملة: 68.

(3) سفر العدد، الإصحاح 13، الجملة: 28.

(4) سفر الملوك 2، الإصحاح 22، الجملة: 8.

8 - من قصة العراف الآرامي بلعوم بن بعير[1] عرفنا بأن أراضي منهب (موآب) تقع على مقربة من (مدين) مدّان ؛ بينما بجغرافيا التوراة التقليدية فإن المسافة بينهما لا تقل عن المسافة ما بين شمال الأردن وأعالي الحجاز ؛ أي ما يقارب الثمانمائة كيلومتر . كما أن من سفر القضاة 6 يتبين بأن أراضي (مدين) المدنة هي على مقربة من أراضي سبط منسى، وهو ما يتناقض تماماً مع ما ذهبوا إليه لأن أراضي سبط منسى هي في شمال الأردن! وهذا يشير إلى أن الجغرافيا المتداولة ليست صحيحة.

9 - في قصة سليمان وملكة سبأ[2]: المعروف من كتب التاريخ أنه كانت هناك 63 مرحلة للقوافل الضاربة ما بين قتبان بجنوب مأرب وغزة على ساحل فلسطين، فيا ترى كم شهراً استغرقت رحلة ملكة صاحبة أبهة وجلالة غير مضطرة للسفر بوتيرة القوافل التجارية للوصول من سبأ إلى القدس؟ الاحتمال المنطقي أنها ذهبت للقاء سليمان بحاضرته المجاورة نسبياً لأرض سبأ، وسيتبين لنا من الكتاب أن رحلتها كانت في الواقع أشبه برحلة حج أو عمرة لبيت الله الحرام بمكة.

10 - كانت سفن سليمان تذهب مع ربابنة أحيرام/خيران ملك صور وتعود كل عامين محملة بالعاج والذهب والقردة والطواويس[3]. والاعتقاد الصحيح أن الوجهة لا بد كانت إفريقيا وشبه القارة الهندية لأن الذهب لا شك أتى من إفريقيا والطواويس من الهند أو سيلان . أما ما لم يوضحوه فهو كيفية بناء خيران أسطول سليمان في إيلات على البحر الأحمر ومن شجر الأرز الذي يصعب حمل ألواحه الطويلة والثقيلة ونقلها عبر الصحراء للوصول بها إلى البحر الأحمر، علماً أنه لم تكن للفينيقيين خبرة ملاحة في البحر الأحمر ولم يذكر التاريخ إلا رحلة يتيمة وعلى سبيل التجربة للربان حنون تمت بتمويل من الملوك الأقباط وبعد عصر سليمان بعدة قرون! فالملاحة بالبحر الأحمر لم تصبح عادية جنوباً وشمالاً حتى العصر الروماني عندما وصلت تقنية بناء السفن الكبيرة إلى بلاد القبط، لأن الملاحة خطرة قرب السواحل لوجود الشعب المرجانية ولأن الموانئ الصالحة للتزود بالمياه الصالحة للشرب كانت قليلة

(1) سفر العدد: الإصحاحات: 22، 23، 24 بالكامل.
(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 10، الجمل: 1 - 13.
(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 10، الجملة: 22.

نسبياً، كما أن الرياح الموسمية غير قادرة على دفع السفن شمالاً إلى أبعد من مستوى بلدة الوجه السعودية المقابلة لطرف الحدود الجنوبية لبلاد القبط . كان العُمانيون أمهر ربابنة الشرق الأدنى وسادة بحر العرب، وحافظوا على أسرار الرياح الموسمية التي تهب في أوقات محددة؛ فتأخذ السفن من الجنوب العربي إلى الهند ومن شرق إفريقيا إلى الجنوب العربي في آن والعكس بعد شهرين. فلعل أحيرام/خيران كان ملك صور العُمانية وأعانت بحارته رجال سليمان (ع) الذي كان بالجزيرة لا بفلسطين.

11 - ذكر مفسرو التوراة بأن سليمان (ع) تاجر بالخيل فكان يأتي بها من مصر ويبيعها للحثيين؛ أي لسكان آسيا الصغرى! فكيف هذا وبلاد القبط لم تعرف قط بأنها بلاد مصدّرة للخيل ، ولا أن سكان آسيا الصغرى استوردوا الخيل من الشرق الأدنى لكون أرمينيا المصدر الدائم لهذه الثروة الحيوانية واقعة على مقربة من بلاد الحثيين. مصدر خيل سليمان (ع) كان الحبشة (وهي مصر التوراة والقرآن) حيث لليوم ما زال الحصان يستعمل للتنقل والحراثة.

12 - مائدة الملك سليمان[1] الموصوفة عددت العجول والخراف والأيائل والظباء واليحامير والطيور البرية المحبوسة واستثنت الطيور الأليفة من الدجاج والبط والإوز وهي الحال بالجزيرة العربية ؛ بينما لا تخلو موائد الموسرين في بلاد الشام من هذه الأصناف! كذلك «العجل الحنيذ»[2] - بقصة إبراهيم (ع) القرآنية - أكلة ما تزال معروفة بتهامة والجنوب وغير معروفة في بلاد الشام.

13 - كثرة الإشارة إلى أسماء الأشجار الصمغية التي تنمو بالجزيرة ولا تنمو ببلاد الشام، وقد قام الدكتور أحمد بن سعيد قشاش بمراجعة وافية للموضوع في كتابه القيّم «أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة».

14 - عندما فرغ حَرَم (حيرام) ملك صور السعدي من بناء الهيكل لسليمان[3] وقصر أرز اللبنين كانت مكافأته أراضي ب (ج ل ى ل) لم تعجب الباني، ولو كانت

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 4، الجملة: 23.
(2) انظر سورة هود، الآية: 69.
(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 9، الجملة: 12.

بجليل فلسطين لفرح أشد الفرح لأنها خيرة أرض فلسطين بسبب غناها بالمياه، وهي كانت وجهة المستوطنين الأوائل الذين توجهوا إلى فلسطين ببداية القرن العشرين. لكن ما تلقاه ملك السعديين من ملك مكة ربما كان وادي جلال بحرة رهاط التي طبيعتها بركانية ولا تصلح للزراعة أو حتى الرعي.

15 - كيف عجزت جيوش ثلاثة ملوك أثوريين عن احتلال أورشليم (القدس) على مدى أكثر من قرنين من الزمان ؛ وهي المعروفة في أيامنا بأنها احتلت 28 مرة عبر التاريخ! كذلك التصديق بأن تستصعب جيوش سنحاريب الرهيبة إخضاع لشيش[1] المفروض أن تكون تلة الدوير الفلسطينية! الواقعة حقيقية وإنما كان جيش سنحاريب بجبال تهامة الحجاز الصعبة التضاريس.

16 - قصة النبي يونس (ع) حدثت بمنطقة بحرية تجوبها الحيتان الزرقاء التي لا تبتلع سوى الكائنات الدقيقة، وهي غير موجودة لا بالبحر الأبيض المتوسط، ولا بالبحر الأحمر ؛ بينما توجد على مقربة من سواحل عُمان وجنوبي اليمن المطلة على بحر العرب بشكل شبه دائم على مدى العام . هذا بالإضافة إلى أن النبي كان في طريق عودته من نينوى عاصمة الأثوريين بشمال العراق بعد أن دعاهم إلى الله ؛ فلماذا كان يحتاج لركوب سفينة لو كانت العودة لفلسطين؟ بل كانت الرحلة من شط العرب إلى الشعيبة جنوب مكة من حيث أقلع.

17 - «معجزة» ارتداد الظل على ساعة الملك أخّاذ (آحاز) الشمسية في زمن الملك حدقة (حزقيا) والنبي اسعيا[2] (أشعيا) دليل علمي بحسابات فلكية قاطعة على أن الحاضرة الملكية لداود وسليمان لم تكن بقدس فلسطين الواقعة على خط عرض (31.47!) فهذه الظاهرة الفلكية التي فسرت بالقرن 19 لا تشاهد إلا جنوب خط العرض 23 وتحدث فقط يوم الانقلاب الصيفي في 21 من الشهر السادس على التقويم الشمسي!

18 - عاش هيرودوتس؛ أبو التاريخ عدة أعوام في صور، وكتب عن تاريخ صوريا (بالصاد نسبة إلى المدينة الفينيقية المعروفة التي اختصر بها اليونان كل الإقليم بين

(1) سفر الملوك 2، الإصحاح 19، جملة: 8.
(2) سفر الملوك 2، الإصحاح 20، الجملة: 8 - 11.

بابل وبلاد القبط بحسب المعجم التوراتي لسميث) فلم يأت على ذكر إسرائيل[1] أو اليهود أو مدينة اسمها أورشليم، كما لم يأت على سيرة التوراة بتاتاً! والجدير ذكره أنه عاش ودرس وكتب أيضاً عن بلاد القبط وبابل التي وصفها بأعظم مدن العالم قاطبة لكنه لم يصادف يهوداً فيها، وكان الإقليم الشرق الأوسطي الوحيد الذي لم يزره هو الجزيرة العربية بنجدها وحجازها ويمنها. وكانت إقامته بمصر وصور وبابل بين الأعوام 454 - 447ق.م.، ثم انتقل لأثينا، بينما عزرا كان قد أرجع معظم المسبيين بالعام 458ق.م.

19 - التنقيبات الأثرية في فلسطين لم تدعم قط وجود عاديات تعود إلى الألفية الثانية وحتى إلى بدايات الألفية الأولى - عدا أريحا التي تعتبر بالطرف الشرقي الأقصى للأرض الموعودة. أما في القدس والمفروض أنها كانت معمورة عند مجيء بني إسرائيل إلى الأرض فما من دليل على وجود هيكل أو أسوار أو بوابات أو قصور مع كثرة الحفريات تحت المسجد الأقصى ومحيطه منذ احتلال الضفة الغربية لنهر الأردن في العام 1967 . وقد حدت النتائج ببعض علماء الأركيولوجيا الإسرائيليين العلمانيين مثل إسرائيل فلنكشتين، نيل سيلبرمان[2] وزئيف هرتسوغ إلى التشكيك في النصوص التوراتية نفسها ووصفها بالأساطير الشعبية المنسوجة من بنات الخيال في سني السبي ببابل، وأن تأليفها كان لمضاهاة تراث الشعوب الأخرى المسبية معهم، بينما يؤمن المسلمون من القرآن الكريم (الذي دوّن في آنه ولم تعتور نصوصه شكوك) بوجود أصلٍ تاريخي لمعظم قصص الشخصيات الوارد ذكرها بالعهد القديم وخصوصاً للأنبياء والمرسلين .

20 - اسم يوم الجمعة العربي الذي وصلنا من الجاهلية كان «عروبة» وكان يعني الغروب! فقد سجّل المسعودي لنا أسماء أيام الأسبوع قبل الإسلام فكانت: أول (الأحد)، أهون (الاثنين)، جبار (الثلاثاء)، دُبّار (الأربعاء)، مؤنس (الخميس)، عروبة (الجمعة)، شيّار (السبت). كما جمعها الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني في بيتين من الشعر:

---

(1) تاريخ هيرودوت، ترجمة عبدالإله الملاح.

(2) The Bible Unearthed.

أؤمل أن أعيش وأن يومي لأول أو لأهون أو جبار
أو التالي دبار فإن أفته فمؤنس أو عروبة أو شيار

وقيل بأن البابليين أطلقوا اسم عرب على كل من سكن غرب الفرات، وأن الفينيقيين أسموا بلاد غرب المتوسط «عروبة» التي صارت «أوروبة» لتخفيف الأجانب نطق العين، أو لشيوع ذلك في بعض اللهجات العربية كلهجة كنانة. أما بالنسبة لاسم اليوم فيبدو أنه كان عائداً إلى حقبة زمنية غابرة في تاريخ الجزيرة العربية كان فيه أهم حدث أسبوعي يوم السبت المقدس الذي تبدأ مفاعيله وقت الغروب باليوم السادس فأطلقوا على اليوم اسم العروبة ليتذكروا الواجبات الدينية ابتداء من وقت المغرب فيه، وما ذلك إلا لشيوع بل غلبة الشريعة الموسوية بين أهل الأرض في الزمن الغابر.

21 - أحداث خروج بني إسرائيل من مصر ومكوثهم في التيه لمدة 40 سنة ثم غزوهم أرض فلسطين تم في حدود القرن 15 بحسب أكثر المراجع التاريخية. في هذه الفترة كانت بلاد القبط في أوج قوتها وعظمتها بعد دحر جماعات الهكسوس وإخراجهم نهائياً من بلاد النيل، وكان الوجود القبطي في سيناء وجوداً قوياً لأنها خطوط الدفاع الأمامية عن وادي النيل، كما أن السيطرة على فلسطين بشكل واضح تدعمها رسائل تل العمارنة. فمن المستبعد جداً للجماعات الإسرائيلية أن تكون استطاعت الخروج من وادي النيل بسهولة ثم المكوث في شبه جزيرة سيناء لمدة 40 سنة دون أن يتعرض لها أحد سوى العماليق وملك عراد الكناني (كنعان). ولا نسمع عن أي اشتباك لهم مع حاميات مصرية لا في التيه ولا في فلسطين حيث كانت السيطرة القبطية قوية في بداية العصر الأمبراطوري الذي مد الحدود خارج بلاد النيل لأول مرة ليكون الهجوم خير وسيلة للدفاع.

22 - التمائم (Phylacteries) و(Tefillin) التي يلبسها اليهود في معابدهم وصلاتهم تشبه إلى حد بعيد الكعبة المشرفة[1] ويضعون في داخلها أربع كتابات: اثنان من سفر الخروج واثنان من سفر التثنية، فيلبسونها كعصائب على جباههم، ويلفون أخرى على سواعدهم لتذكرهم بالله. وقد جاءت التوصية بها وهم بعد في

(1) Return to Mecca, Lipein, PXXi.

تيه سيناء[1][2][3]، وهذا يدل على أنهم كانوا يعلمون بوجود بيت الله الحرام بمكة والذي كان موجوداً من أيام إبراهيم (ع).

ويبدو أن مبدأ القبلة لمكة كان معلوماً حتى قبل إخراج موسى لبني إسرائيل من مصر: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]. ممكن فهمها على أن يكون البيتين الجديدين - بين مساكن المؤمنين ومكة بحيث تكون صلاة المؤمنين باتجاه البيت الحرام.

عن التحريف

يتخذ البعض من كلمة «التحريف» الواردة بالقرآن حجة لإضعاف مصداقية النصوص؛ فأذكّر بأن أئمة كباراً من الأوائل مثل ابن عباس ووهب بن منبه والبخاري وابن تيمية بالفتاوى ذكروا بأن النص التوراتي محفوظ ربانياً وأن التحريف طال المعاني فقط . فعلينا إعادة دراسة النصوص اللادينية بلغتها الأصلية وقراءتها بطريقة صحيحة لا محرفة ؛ وهذا فرض كفاية عن الأمة طال انتظاره بعد أن كان يتم النقل من الإسرائيليات ثم الشكوى منها. وهذا الكتاب هو أول محاولة جديّة في هذا النحو. وكيف كنا نتوقع من أهل الكتاب أن يبيّنوا لنا ما جاء عن المصطفى (ص) في نصوصهم (كما بيّن القرآن) وهو حجة عليهم! وأُوضِحُ بأن تحريف المعاني جاء عن طريق قراءات خاطئة للأسماء ذهبت بالجغرافيا والأنساب إلى مواضع غريبة عن أصولها، وأن الأمر ربما لم يكن بريئاً في البداية ثم صار من المسلّمات مع مرور الوقت وقلّة العلوم بين الناس.

هناك مبدأ عام لكل النظريات العلمية بأن الواهي منها يتهافت أمام النقد العلمي، أما الثابت فيتماسك وتزيده كثرة الأبحاث صلابة، وهذا ما يحدث مع نظرية الدكتور كمال الصليبي بصدور دراسات متتالية تصب في مصلحة عدم فلسطينية التوراة، وهذا الكتاب منها. وكان لاستخدام منهج لغوي جديد تم شرحه بالفصل التالي

(1) سفر الخروج، الإصحاح 13، الجملة: 9.
(2) سفر التثنية، الإصحاح 6، الجملة: 8.
(3) سفر التثنية، الإصحاح 11، الجملة: 18.
(4) سورة يونس، الآية: 87.

إثبات حقيقة كانت منفية عند التوراتيين وثابتة عند العرب والمسلمين وهي وجود إبراهيم (ع) بمكة . كما أدت القراءة الجديدة للنص العبري إلى استنتاج أن لغته عربية قديمة وأن معظم أحداث التوراة كانت بمكة أم القرى وما حولها! هذه النتائج كانت اكتشافات من استقراء النصوص ولم تنطلق من أفكار مسبقة.

مع الدكتور كمال الصليبي:

قابلت الدكتور صليبي مرتين بالأربعين يوماً التي سبقت وفاته، في الأولى أقرّني على منهج العمل لجهة اللغة، ووافق على رؤيتي الجديدة للجغرافيا الصحيحة . وفي الثانية (وكانت قبل أسبوع من دخوله المستشفى وغيابه) أوصاني بنشر نتائج البحث قائلاً: أنت تكمل عملي.

رحم الله الدكتور كمال فقد كان عالماً رائداً في عروبية التوراة وعملاقاً سمح لنا بالوقوف على كتفيه لرؤية المدى الأبعد.

لماذا تأخر طرح الموضوع حتى اليوم:

لمدة تزيد عن ألفي عام لم تكن المسألة ملحة؛ لأن اليهود عاشوا في بيئات مختلفة كأفراد عاديين وكطوائف في جنسيات مختلفة لا كجاليات غريبة فيها، إلا أن إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين وتأخر ظهور أية لقى أثرية تثبت تاريخية النصوص، وعدم تطابق جينات معظم المنتسبين للديانة اليهودية مع الجينات المشرقية المفترضة لبني إسرائيل بدأ يلقي شكوكاً ويجعل من مراجعة الموضوع مادة ملحة.

وعلى من يريد الخوض في هذا الموضوع أن يكون عنده إلمام جيد في عدة مواضيع في وقت واحد؛ ومنها:

1 - معرفة جيدة بالتوراة والديانات القديمة.

2 - معرفة جيدة باللغات القديمة خاصة عبرية التوراة وبعض الآرامية.

3 - معرفة جيدة بالقرآن الكريم.

4 - معرفة جيدة باللغة العربية ولهجاتها خاصة لهجات الجزيرة.

5 - معرفة جيدة بالتاريخ العبري لعصري الهيكل الأول والثاني.

6 - معرفة جيدة بتاريخ جزيرة العرب قبل الإسلام.

7 - معرفة جيدة ومفصلة بجغرافيا الجزيرة العربية الطبيعية والسياسية.

8 - معرفة جيدة بالقبائل العربية وأنسابها ماضياً وحاضراً وأن يكون مطلقاً على آخر الدراسات الجينية التي تتابع التنقلات البشرية.

خلاصة:

تاريخ أهل الكتاب مرحلتان يفصل بينهما تقريباً العام 600 ق.م. وهو يقارب زمن غزوة نبوخذ نصر للجزيرة العربية ووصوله لتهامة:

المرحلة الأولى: مسرحها جزيرة العرب عامة وتهامة الحجاز خاصة ومحورها أم القرى وما حولها. هذا زمن بني إسرائيل؛ زمن الهيكل الأول الذي بناه النبي سليمان (ع) بمكة المكرمة.

المرحلة الثانية: مسرحها فلسطين ومن ثم الانتشار بالشرق الأدنى والعالم، زمن الهيكل الثاني وهو بيت المقدس بالتعبير اليهودي والمسجد الأقصى بالتعبير القرآني والذي بناه الهاشميون المكيون (لا الحشمونيين المكابيين). هنا يبدأ التاريخ اليهودي.

ليس من خلاف كبير على المرحلة الثانية، إنما كل الخلاف على المرحلة الأولى التي امتدت من زمن آدم ونوح حتى زمن معد العدناني ببداية القرن 6 ق.م. وهي بيت القصيد لهذا الكتاب.

فالأرض المباركة هي مكة وما حولها وبنو إسرائيل الذين وعدت لهم استمروا بوجودهم فيها حتى اليوم كما تبين الدراسات الجينية للشعوب. وُعِدَت الأرض لإبراهيم وذريته والله لا يخلف وعده لرسله، وهُم ما زالوا فيها، لكن بعد انتهاء المرحلة الأولى بالجزيرة دخلوا في فترة من الكفر ثم أسلموا مع محمد (ص).

أما غالبية يهود اليوم فمن أصول غير إبراهيمية، كما أن فلسطين هي من أرض المهاجر الأولى، وهي أرض الهيكل الثاني الذي شيّد بعيداً عن الأول بـ 1250 كيلومتر تقريباً.

التوراة كتاب تسجيلي لتاريخ جزيرة العرب للفترة ما بين نوح ببداية الألفية الثالثة قبل الميلاد حتى زمن معد العدناني ببداية القرن السادس ق.م. وبنو إسرائيل هم من هذه الفترة؛ وبعدها صاروا من العرب البائدة لجهة كياناتهم السياسية، منهم من غادر ومنهم من تمسّك بالأرض فبقي بالجاهلية حتى أسلم مع خاتم النبيين (ص).

وقد صرّح علامة الجزيرة حمد الجاسر (ير)[1]: إن مما يزيد بلادنا فضلاً وشرفاً نسبة الأنبياء والصالحين من عباد الله إليها. وعن كتاب الصليبي قال: إننا نعتز بهذا لو كان صحيحاً، وعن مناطق قيل بأن يعقوب والأسباط من بنيه حلوّها فهذا مما تفخر به هذه البلاد ويعتز به سكانها، وإثباته من الأمور التي نحن بحاجة إليها.

وبالإضافة لدورهم الرائد في تقديم الديانات التوحيدية للعالم، نتعرف أيضاً من التوراة على بعض الإنجازات الحضارية للعرب الأوائل كتطوير الأبجديات الأولى وابتكار المراكب العابرة للبحار والعملات المعدنية المسبقة الوزن وتدوين التاريخ بأسفار، واكتشاف وإمداد العالم بطيوب البخور من راتنج نباتات المنطقة. والمأمول به أن يشكّل هذا العمل حافزاً للشباب العربي ليكون حاضره ومستقبله على مستوى إنجازات الأسلاف رجوعاً للعصور الوسطى فالقديمة ووصولاً لفجر التاريخ المدوّن.

بيروت في 14 آب/أغسطس 2019

(1) مجلة العرب ص733 (جمادى الأولى والآخرة 1411هـ).

منهج البحث عبر الخطوط العربية القديمة

﴿وَالطُّورِ ۞ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۞ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۞ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[1].

يا له من كتاب، يقسم به الله ويضعه بمرتبة البيت المعمور والطور من الأرض والسماء المرفوعة والبحر المسجور. ذهب العلماء مذاهب شتى لكن الغالب عندي أن الكتاب المقصود ههنا هو التوراة التي أنزلت على موسى بجبل الطور حيث كلمه الله جهرة، وكان الوحيد من بين الكتب المقدسة الذي كان منشوراً في رق بأيام نزول سورة الطور بمكة المكرمة في بداية الدعوة المحمدية، وقد نسب بعضهم إلى هذه الآيات سبب إيمان عمر بن الخطاب (ر) لوقعها الشديد عليه عند سماعها لأول مرة!

منهج البحث بين لسان كنعان ولهجة كنانة

قبل سنوات كنت أدرس مخطوطتين أعتبرهما الأقدم بلغتنا العربية؛ إحداهما رسالة النبي محمد (ص) إلى ساوى ملك البحرين، وقد وَجدتُ رسمها في كتاب عن الخط العربي، والثانية نسخة ضوئية جاءتني هدية من بلاد القبط عن رسالة النبي محمد (ص) للمقوقس عظيم أقباط الإسكندرية، فاسترعى انتباهي طريقة رسم بعض الحروف التي تشابه إلى حد بعيد الحروف العبرية! فرجعت إلى مخطوطات أخرى للقرآن كُتِبَت في بداية العصر الأموي بالخط الكوفي ومشكّلة على طريقة أبي الأسود الدؤلي، ليتأكد لي بوجه قاطع وجه التشابه الكبير بين الخط الكوفي المنفصل والآرامي المربع المسمى بالعبري.

(1) سورة الطور، الآيات:1 - 6.

شكّلت هذه الملاحظة حافزاً فضولياً كبيراً لإعادة قراءة التوراة لا بالإنكليزية كما درستها بالجامعة؛ ولا بالعربية كما هو متوافر بترجمات متعددة؛ بل بالعبرية! فاستحصلت على نسخة مطبوعة في بريطانيا من النص المأثور العائد إلى القرن العاشر، ودرستها على طريقة الآثاريين الذين يدرسون الكتابات القديمة دون الحاجة لأن ينطقوا بها! وعند قراءة الإصحاح الأول من سفر التكوين شعرت بأن سمتها عروبية، وتذكرت قول فيلبي بأن السامية هي العربية!

تقول أول جمل بالتوراة[1]، والنص باللفظ العبري حرفياً:

بالرأسية برأ اللاهم، ءت هاشميم وءت هاءرص. وها ءرص هيت تهى وبهو وخسك على فنى تخوم، وروح اللاهم مرهفة على فني المايم. وأمر اللاهم: يهي ءور، ويهي ءور. ويرى اللاهم ءت ها ءور ك طوب، ويبدل اللهم، بين ها ءور وبين ها خسك. وقرأ اللاهم لءور يوم: ولخسك قرأ ليلة، ويهي عرب ويهي بكر يوم أحد.

وكانت قراءتي لهذا النص بعد تحريك الحروف الصامتة (أي إعرابها) ووضع النقاط على الحروف بطريقة مناسبة:

بالرئاسة برأ اللاهم (القديم)،آية (كيان) السماين (السماءٍ بتخفيف الهمزة) وآية الأرض. والأرض هيت تيه وبهو، وغسق على فنا (فناء/وجه)التخوم، وروح اللاهم مرهَفة على فنا (فناء/وجه) الماي. وأمر اللاهم: ليهي أوار (نور)، وهيى أوار. ويرى اللاهم آية الأوار شي طيّب. وبزل اللاهم بين الأوار وبين الغسق. وقرأ اللاهم للأوار: يوم، وللغسق قرأ ليلة، وهيى غروب وهيى بكور يوم واحد!

أما «الترجمة» العائدة إلى دار الكتاب المقدس في العالم العربي فجاءت كالتالي:

في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله مرفرفة على وجه المياه. وقال الله ليكن نور فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً. وكان مساء وكان صباح يوم واحد.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 1، الجملة: 1 - 5.

هناك فرق بين القراءة والترجمة؛ لأن القراءة العروبية تحافظ قدر الإمكان على روح النص الأصلي بينما الترجمة تعطي المعنى فقط . ومن يفسر الأبيات الشعرية يسرد لنا فهمه؛ لكن تذوّق الشعر لا يكون إلا بإبقائه في قالب القوافي الموزونة، كما أن الترجمة تعطينا معنىً واحداً للكلمات بينما الصيغة الأصلية قد تحمل أكثر من وجه.

ورد في كتب الحديث أن النبي (ص) رأى مرّة عمر بن الخطاب (ر) وهو يحمل صحيفة من سفر الشريعة فغضب منه حتى احمرت وجنتاه، والأمر الذي لم يعلّق عليه أحد عند قراءة هذا الحديث هو كيف كان لعمر أن يقرأ الصحيفة علماً أن التوراة لم تكن مترجمة إلى العربية آنذاك ولا عُرِف عن عمر قراءته وكتابته لغير العربية! والشائع أن اليهود كانوا يعلّمون من يشاء من أهل المدينة المنوّرة القراءة والكتابة في مدارسهم ولم يعرف عنهم أنهم كانوا يكتبون بخطين، فلا بد أن الحروف المستعملة يومذاك كانت لكتابة كلٍ من اللغتين العربية والعبرية. قررت أن أدرس النصوص التوراتية بغرض البحث عن أوجه صلة محتملة بين التراثين العبري والعربي، فوجدت بالتوراة أسماء لا حصر لها مما كانت معروفة في الجزيرة العربية إبّان الجاهلية وفي الإسلام أمثال: علقمة، عساكر، علي، عكاشة، عبد الملك، بشر، عبيدة، رمية، بكر، عمرو، كلب، سعيا، صدقة، واقم. . . . ، والكثير من العادات المشتركة!

الغريب بالتراث العربي أنه مع كثرة نقل المرويات عن قصص الأنبياء وسيرهم بكتب التاريخ والتفسير ما من أحد من كل علماء الأمة الإسلامية تطوّع لفرض كفاية هو دراسة التوراة بلغتها الأصلية! الكل اكتفى بنقل الإسرائيليات عن أهلها، وفيها ما فيها من خلط بين الأخبار والتفاسير التلمودية والنصوص الأصلية التي هي على الأرجح ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[1] المشار إليها في القرآن الكريم، فسفر التكوين قد يكون هو صحف إبراهيم، وأسفار الخروج والعدد واللاويين والتثنية قد تكون صحف موسى!

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا﴾[2] هذه الآية وبالقياس كانت

(1) سورة الأعلى، الآية: 19.
(2) سورة التوبة، الآية: 122.

الحافز لي لتعلّم عبرية التوراة . ثم علمت بأن الذين يريدون أن يتعلموا عبرية التوراة (وهي تدرّس بمعزل عن عبرية الإسرائيليين اليوم) يتم قمعهم بشكل منظم من الدرس الأول؛ بل وتمنع عليهم أية مماهاة بينها وبين العربية ولو على سبيل تذكر المفردات، فالرد الحاسم الجاهز دائماً للتلاميذ العرب: «اللغة العربية ممنوعة في صفي»! لذلك قررت دراستها على نفسي ؛ فقمت بعمل نموذج «ثلاثي» الأسطر:

في السطر الأول تكون الكتابة العبرية الأصلية إنما بحروفنا العربية الدارجة، وفي الثالث المعنى المتعارف عليه، وبين الاثنين كتبتُ الطريقة المثلى لقراءة النص الذي يبيّن عروبته بشكل واضح. أكثر ما أفادني كان مقاربة أسماء الأنبياء والأشخاص والبلدان بين النصوص التوراتية والقرآنية على طريقة شمبليون الذي فك رموز الهيروغليفية . بالتدريج وبعد عشرات المحاولات على مدى سنوات من العمل بدأ يتضح لي بأن النص عربي بلهجة غرب الجزيرة العربية القديمة (كنانة) ومكتوب بخط الجزم الذي لإملائه خصائص تتشابه ببعض الوجوه مع الرسم العثماني الذي كُتِبت به المصاحف. ووقعتُ على قصيدة[1] مؤلفة من 22 بيتاً كل بيت منها يبدأ بحرف على ترتيب أبجد هوز؛ وكان موضوعها مواصفات المرأة الفاضلة؛ على لسان ملكة لإبنها تعينه فيها على اختيار شريكة الحياة المثالية، وانتبهت إلى أنها أشبه ما تكون كتبت بالشعر النبطي! فأيقنت أن بعض الكلمات يجب أن لا تُقرأ كما لو أنها باللغة الفصحى! من هنا بدأت أنظر في بعض الكلمات على أنها قد كُتبت كما كانت تُنطق لا كما نكتبها اليوم! كمثال أعطي اسم قاسم الذي يلفظ: كاسم وجاسم وآسم وكلها تعني الإسم نفسه، وكلمة نحن التي تلفظ في بعض الأماكن: حِنّا ونحنا ونحني وإحنا بل وإنحن وكلها كلمة واحدة! وكتابتها بشكل أو آخر لا ينفي عروبتها لأننا نتقبّلها كلهجات من لغتنا.

وكما نزل القرآن على سبعة أحرف نرى هنا الشيء نفسه فالحرف الواحد استعمل أو قرئ بأشكال متعددة حسب اللهجة أو الفترة التي كتب بها النص، والإبدال معروف ومشهور باللغة العربية[2]:

(1) سفر الأمثال، الإصحاح 31، الجمل: 10 - 31.

(2) الإبدال معجم ودراسة، أدما طربيه.

فالهمزة أول الكلمة استعملت: أ، أو لأل التعريف التي تسبق الحروف القمرية، أو عيناً؛

الباء غالباً لم تستبدل إلا مع الفاء بالنصوص الآرامية؛

الجيم قد تكون: ج، ك، غ، ق؛

الدال قد تكون: د، ذ، ز، وحتى ط وض؛

الهاء أول الكلمة هي أل التعريف التي تسبق الحروف الشمسية أو إ، وبوسط الكلمة هاء أو حاء، وبآخرها نون!

الواو قد تكون: و، أ، أو ي؛

الزين قد تكون ذالاً؛

الحاء قد تكون خاءً؛

الطاء قد تكون ظ أو تاء أو دال؛

(ى) بأول الكلمة للتسكين وبوسطها ي أو واو أو مدة ألف، وبآخرها هاء!

الكاف قد تكون قافاً أو خاء أو جيم

اللام مترادفة مع النون والراء؛

الميم مترادفة مع النون وقد تدغم معها، وفي آخر الكلمة مع ال ى تمييم مشابه للتنوين للكسر أو النصب أو الضم حسب الإعراب.

النون كثيراً ما تُخفى أو يجب أن تلفظ دون أن تكتب! وهنا نتذكر أحكام الإخفاء عند التجويد بقراءة القرآن وأن الأصل فيها الإخفاء للنون؛

السين قد تكون صاداً أو زيناً؛

العين قد تكون غيناً، وقد تلفظ كهمزة خفيفة لدرجة الإخفاء كما بلهجة كنانة[1]، وقد تكون مكان الحاء كما بقراءة إبن مسعود؛

الفاء لا تستبدل إلا مع الباء بالنصوص الآرامية؛

(1) أمثلة: أعطى (أنطى، آتى)، عزر (آزر)، عصفور (صفور)، جلعاد (جلاد جلدان) كنعان (كنانة)، فرعة (فرات)، عوج (وج)، هبعل (هبل)...

الصاد قد تكون ضاداً أو طاء (في مثل حصب والخراصون وربما مصر القرآنية)
القاف قد تكون كافاً وقد تكون جيماً؛
الراء ترادفت نادراً مع اللام وهما والنون من مخارج متقاربة ؛
الشين قد تكون سيناً وقد تكون ثاءً؛
التاء قد تكون طاء أو دالاً.

(والاختلاف كان يتم بحسب لهجة الكاتب، وهم متعددون، وقد حدث هذا مع تدوين القرآن فاشتُرِط أن يكون المملي من هذيل والكاتب من ثقيف).

والكتابة كانت بخط الجزم (الاختزال) ذي الـ22 حرفاً وغير المنقط ومن دون تشكيل، مع استعمال الأحرف لإعراب الحرف الأخير. أضف إلى ذلك حركات الإدغام كما أسلفنا وأحكام الميم و النون المعروفة لمن درس تجويد القرآن الكريم، مع كل خصائص الرسم العثماني؛ فليس كل واو هي واو في مثل الزكوة والصلوة والتي تفيد التفخيم!

عرب البادية لا تبدأ بساكن ولا تقف عند متحرك . أما باللهجات الحضرية فأهل القصيم مثلاً لا يلفظون اسم مدينة بريدة بضم الباء بل بتسكينها ؛ فإن أردنا تبيان التسكين بالإملاء القديمة كان يجب كتابتها: ى ب ر ى د ة! وكانوا إذا أرادوا تسكين الحرف الأخير يضيفون هاء! فكلمة (ى ه و ه) قد لا تقرأ يهوه على وجه الحصر بل: (هوو) وهو الاسم الرمز للهوية المطلقة لله تعالى.

وبعد أن بدأت الصورة تنجلي أعَدتُ قراءة النصوص بهذه الطريقة فبدأت بعض الكلمات والأسماء تتوضح، والجغرافيا تطل مع أسماء حجازية! فلغة «كنعان»[1] لسان بني إسرائيل ما هي إلا لهجة كنانة العربية التي تحفّف العين!

بالنسبة إلى جغرافيا النصوص تناول علماء غربيون هذا الموضوع من قبل من أمثال (Montgomery) و (Margolioth) و(Winckler) في مطلع القرن العشرين ومن قبل كتّاب عرب من أمثال د. كمال الصليبي وفرج الله ديب وزياد منى بأواخر القرن العشرين، وفاضل الربيعي وجماعة نداء السراة البحرينية ببداية هذا القرن. لم يوضح الغربيون نقاط الضعف بالرواية التوراتية ولا كيف أنها لا تنسحب على

(1) سفر: شعيا، الإصحاح 19، الجملة: 18.

الجغرافيا الحالية، بل اعتمدوا على عدم وجود لقى أثرية بفلسطين، ولم يجمعوا ما أورده التراث العربي الإسلامي عن الموضوع، بل اعتقدوا باليمن السعيد مسرحاً على الغالب، أما الصليبي فأدخل كل مسرح الأحداث في منطقة واحدة هي منطقة عسير السعودية واستعمل أسماء قبائل وقرى وبلدان لم تظهر إلا قبل عدة قرون فقط! وكان باستطاعته مراجعة كتاب مثل صفة الجزيرة الموضوع قبل أكثر من ألف عام ليتبين له أن أكثر هذه الأسماء لم تكن موجودة.

منهاج البحث الجديد هنا يتناول أيضاً الثغرة التاريخية الهامة بين نوح وإبراهيم والتي أغفلها الجميع، وسيكون سير التحقيق بإبداء نقاط الضعف بالجغرافيا التقليدية على إحداثيات النص الأصلي، ومن ثم إبداء الرأي المنطقي والعلمي المتكامل، آخذين بالاعتبار الأسماء المعروفة بقدمها فقط. وسيكون للتراث العربي الإسلامي نصيب هام في نقض النظريات القديمة وإثبات الجديدة مستبعدين كل رأي وتفسير لا ينطبق مع الواقع والمنطق والعقل .

تدوين العهد القديم

يقسم العلماء العهد القديم إلى ثلاثة أجزاء:

1 - التوراة (ومعناها الشريعة): وتضم أسفار:

التكوين

الخروج

اللاويين

العدد

التثنية

2 - الأنبياء (نبيين)**:**

وتضم أسفار الأنبياء المتقدمين:

يوشع

القضاة (الأسباط الموحى إليهم)

صموئيل الأول (سموأل1)

صموئيل الثاني (سموأل2)

الملوك الأول

الملوك الثاني

أشعيا (اسعيا)

أرميا (ارميا)

حزقيال

وأسفار الأنبياء المتأخرين الإثني عشر

هوشع

يوئيل (وائل)

عاموس

عوبديا (عبيدة)

يونان (نون)

ميخا

ناحوم

حبقوق

صفنيا (صفينة)

حجي

زكريا

ملاخي

3 - المكتوبات (كتبيم): وتضم أسفار:

المزامير (داود)

الأمثال

أيوب

نشيد الإنشاد (سليمان)

راعوث (راعية)

مراثي (بكائيات أرميا)

جامعة

استير

دانيال

عزرا (عزير)

نحميا

أخبار الأيام الأول

أخبار الأيام الثاني

لا يعترف اليهود السامريون ولا الفلاشا إلا بأسفار التوراة الخمسة فقط. بينما يعترف باقي اليهود بأسفار النبيين والمكتوبات، ويتبع السلفيون (الأرثوذكس) منهم كذلك التعاليم الشفوية المدونة بالتلمود. أما المسلمون فإنهم يعترفون من التوراة بالتشريع الذي نزل على موسى (ع) خصوصاً المدوّن بسفر التثنية. ومن الأنبياء المتقدمين أتى القرآن على ذكر يوشع (دون أن يُسمّيه) والقضاة (الأسباط) وحزقيال (ذو الكفل) ومن الأنبياء المتأخرين جاء ذكر يونان (يونس أو ذي النون) وذكر الياس واليسع وهم من أنبياء بني اسرائيل المتأخرين وليست لهم أسفار مستقلة. وبالنسبة للمكتوبات فقد ذكر القرآن أن الله أنزل على سيدنا داود زبوراً هو المزامير وهي ابتهالات دينية لتمجيد الله وتسبيحه، وكانت تتلى على أنغام المزامير (التي قد لا تكون آلات موسيقية بل حناجر منشدين مبدعين) . وكذلك ذكر القرآن عزرا (العزير).

لا أحد يعرف متى جمعت أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد، لكن الثابت بالعهد القديم نفسه أن موسى (ع) دوّن سفر الشريعة بنفسه على الألواح بعد أن كسر الألواح الأصلية التي دونت عليها يد القدرة الالهية، ثم عاد يوشع بن نون

فنسخ سفر الشريعة ووضعت النسخة بتابوت العهد، ولربما استمرت فيه إلى أن عُثِر عليها بزمن الملك واسية (يوشيا)[1] حوالى العام 622 قبل الميلاد. ولا بد أن هذه النسخة ضاعت مع السبي البابلي، وما من ذكر لوجود نصوص مكتوبة حتى عودة عزرا من بابل عام 458 ق. م. على أيام الملك نحميا؛ مع أنه كانت تتكرر عبارة «حتى كتابة هذه السطور» بأسفار صموئيل (سموأل) والملوك!

ويرى آخرون أن كتابة بعض النصوص بدأت بالقرن 8 ق. م. إلا أن يوسفوس المؤرخ اليهودي المعروف يؤكد أن الجمع النهائي للنصوص لم يتم لأول مرة إلا أيام ملك فارس أردشير الأول (465 - 424 ق. م.) وهو ما يتزامن مع العصر الذي عاش فيه العزير (عزرا).

في القرآن أخبار كثيرة متفرقة حول قصص الأنبياء الأوائل مثل نوح وهود وابراهيم ويوسف وموسى (ع)، وسيتم الاستشهاد بها بحسب التسلسل الزمني لها لا بحسب نزولها، ثم ستتم مقاربة النصوص التوراتية مع القرآنية لتبيان تطابق كل منهما مع الآخر أو مدى الاختلاف بينهما، وعرض روايات المؤرخين المسلمين ومقارنتها بالإسرائيليات.

استمرت كتابات وتداوين الأسفار عدة قرون، وضاع الكثير منها عند السبي البابلي، لكن العزير (عزرا) أعاد تدوينها بالكامل في القرن الخامس قبل الميلاد، ولذلك قالوا عنه بأنه ابن الله! ومع أنه معاصر لهيرودوتس أبي التاريخ؛ إلا أن الأخير لم يذكر لنا عنه شيئاً ولا عن التوراة ولا عن أورشليم ولا عن تاريخ بني إسرائيل!

الخطوط العربية الأولى

إذا كانت التوراة هي أقدم الكتب المنشورة بأحد الخطوط المعروفة، فإن صحف إبراهيم التي هي على الأغلب سفر التكوين تعتبر الأقدم يتبعها سفر أيوب ثم تليها أسفار موسى الأربعة (صحفه) وهي: الخروج، العدد أو التعداد، اللاويين، وأخيراً التثنية أو المثاني، وكما أسلفنا فقد أقسم الله بها في سورة الطور الآية 2 قبل الكعبة

(1) سفر الملوك 2، الإصحاح 22، الجملة: 8.

والسماوات والبحار: ﴿وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[1].

أول ما نجد بالتراث العربي عند الحديث عن أصل الكتابة تعبير «كاتب الوحي للنبي هود»، وهود (ع) أرسل إلى قوم عاد وهم من الآراميين (أو الإرميين) وعاش بنجد قبل إبراهيم أقله بستة أجيال؛ كما سيتبين في فصلي هود وصالح (ع)، وكل نبي أرسل بلسان قومه « ليتبيّنوا» على حد تعبير الآية الكريمة، فالإشارة الأولى عن الكتابة بالتراث العربي كانت للإرميين من قوم عاد الذين صنّفوا في خانة العرب البائدة . ولعل بعض ما سجّله هود قد وصل إلى إبراهيم (ع) الذي نشأ بين الإرميين بالقرن 20 ق. م. وتكلم بلغتهم إلى أن انتقل إلى أرض كنانة ومن ثم اتخذ من لغتها/ لهجتها (شفة كنعان) لساناً له ولبنيه. وفي القرآن الكريم ورد بسورة الأعلى18:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[2].

الموطن المحتمل للأبجديات الأولى

إذا نظرنا إلى الأبجديات الأربع الأقدم في الشرق الأدنى وهي: 1 الطور سينائية و2 الفينيقية - الآرامية و3 المسندية - السبئية وحتى 4 النبطية (الآرامية المربعة القريبة من الكوفي المربع المنفصل) نراها تشترك في رسم الحرف الثالث (الجيم) الذي كان اسمه: جمل، فرسم حرف الجيم بالسينائية هو لعنق وظهر جمل، أما بالفينيقية - الآرامية والسبئية فإننا نرى رسماً جانبياً لرأس وعنق الجمل الطويلة، وبالنبطية مصغر لجمل كامل؛ علماً أن الأبجديات الأولى قامت على أساس رسم يذكر بالحرف الأول لاسم شيء عام ومتداول في الحياة اليومية للشعب الذي تكلم اللغة بحيث لا يحيد الذهن عند رؤيته إلى أي شيء آخر بل يتعرف إليه فوراً ؛ كما يبين هذا الجدول لمعنى الحروف الفينيقية - الآرامية، وهو على ترتيب أبجد هوز السامي المعروف:

(1) سورة الطور، الآيات: 1 - 6.
(2) سورة الأعلى، الآيتان: 18 و19.

أ - اسمه ألف - يصّور على شكل رأس ثور (أليف)؛

ب - اسمه بيت - يصور على شكل بيت، وخصوصاً بالسينائية، وهي الأبجدية السامية/العربية البدائية؛

ج - اسمه جمل - وشكله مثل رقم ثمانية (٨ الهندي) مع امتداد طويل للجانب الأيمن بما يمثل دون شك رأس ورقبة جمل – الحيوان المعروف؛

د - اسمه دلادة - (ومعناه باب)؛

هـ - اسمه هو - وله علاقة بالإله والدعاء؛

و - اسمه واو - رسمه وتد الخيمة؛

ز - اسمه زين - ويرمز إلى السلاح (الذي هو زينة الرجال عند العرب)؛

ح - اسمه حيط - ويرسم على شكل قاطع بين غرفتين؛

ط - اسمه طاقة بمعنى نافذة! ورسمه دائرة بداخلها علامة x ؛

ى - اسمه يد - ويرسم على شكل ذراع كاملة؛

ك - اسمه كف - ويرسم على شكل باهم و3 أصابع!

ل - اسمه لمّاذ - ويرسم على شكل العصا التي يساق بها الثور؛

م - اسمه ميم - ورسمه على شكل موجة بحر؛

ن - اسمه نون - ويرسم على شكل نهّاش وهو الثعبان؛

س - اسمه سمك - ويمثله هيكل عظمي لسمكة؛

ع - اسمه عين - وشكله مدور على شكل العين؛

ف - اسمه فوه - وهو على شكل فم مفتوح؛

ص - اسمه صاد - ورسمه صنّارة صيّاد؛

ق - اسمه قاف - ورسمه قلب أو قصبة الكتابة؛

ر - اسمه راس - ورسمه رقبة إنسان؛

ش - اسمه شين - ورسمه شنّة وهي القوس القديمة؛

ت - اسمه تاو - علامة التقاطع ورسمه كعلامة x.

من يدرس صور الحروف يتضح له من رسم الحروف أن الكتابة الطورسينائية هي الأقدم بين الأربع لأنها تحوي القدر الأعلى من التصاوير بينما خطوط المسند أحدث منها، وقد استعملت الأخيرة فيما بعد باختلافات يسيرة في طول وعرض الجزيرة العربية وصولاً إلى أرض الصفاة واللحيانيين، كما انتشرت بشرق إفريقيا على أيدي من هاجر إلى الحبشة من الجزيرة. وكانت النبطية الأحدث بين الأربع فانتشرت بالشمال العربي ثم دخلت الجزيرة عن طريق الحيرة بالنصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد. أما التي استعملت على الصعيد الواسع بالعالم القديم فهي الكتابة الفينيقية - الآرامية، وبداية جاء الفينيقيون بها إلى شرق المتوسط ربما من الجنوب العربي؛ فقد وجدت في تمنع عاصمة قتبان عملات محلية نقشت عليها كتابات بالخط الآرامي، كما أنها أبجدية مسلّة تيماء الشهيرة المكتشفة بقصر طليحان في 1884م والمحفوظة إلى اليوم بمتحف اللوفر بباريس. قام الفينيقيون بنقلها إلى اليونان فكانت أساساً لأبجديتهم ثم إلى اللاتين من بعدهم، ولما تبنّتها الدولة الإخمينية ببابل فيما بعد أصبحت خط الكتابة الرسمي لغرب آسيا، وجرى استعمال خطها من المتوسط غرباً حتى الهند شرقاً. والفينيقيون تسميتهم محل جدل بين علماء ما يسمّى بالساميّات، ويرى الأستاذ علي محسن بكتابه عن المهرة ولهجاتها أن كلمة فينق تعني مستكشفاً باللهجة الجبالية الأمهرية (بمنطقة ظفار العمانية) وبأن الفينيقيين الأوائل عندما أرادوا أن يعرّفوا بأنفسهم قالوا: نحن فينيق أو فينق أي مستكشفون! والهمداني الملقب بلسان اليمن، وهو من أعظم جغرافيي العرب في القرن العاشر الميلادي، فسّر في تعليقه على «معرفة قسمة الأقاليم لبطليموس» بلاد فونيقا (وكتبها أيضاً فونيقى) على أنها بلاد اليمن! مع أنه كان على معرفة طيّبة ببلاد الشام والمدن اللبنانية، فهل كان ذلك لمعرفة أصيلة لديه من التراث اليمني بأن انطلاقتهم كانت من الجنوب العربي؟ ويتماهى ذلك مع ما ذكره هيرودوتس أبو التاريخ (القرن الخامس ق، م،) بأنهم قدموا من بلاد البحر الإريتيري (أي الأحمر) الذي كان في مفهوم اليونان يشمل بحر القلزم (الأحمر الحالي) وبحر العرب (من كتاب الطواف حول البحر الإريتيري) حتى الخليج العربي، وهو الذي ذكر أيضاً بأن أول من نقل الأبجدية الفينيقية إلى اليونان كان قدموس الصوري ومعه الغفاريون! وبنو غفار بن مليل بطن من كنانة، فهل هذا في أصل مقولة أن الفينيقيين هم «كنعانيون»؟

والفينيقيون جالوا في الآفاق المتوسطية ووصلوا بتجارتهم إلى الجزائر البريطانية، وأسسوا مستعمرات لهم من قبرص وكريت حتى الجنوب الفرنسي وجزائر الباليارد وهم من أطلق على إسبانيا هذا الاسم كما رأى العلامة الراحل فؤاد أفرام البستاني (إش بانيا معناها أرض الأرانب)، وبقرطاجة أسسوا أول أمبراطورية سادت غرب المتوسط بضعة قرون إلى أن نهضت روما بهذا الدور بعد سقوط هنيبعل في القرن الثالث ق م. وبمقاربة الأسماء التي أطلقها الفينيقيون على بعض ما أسّسوا ببعض المدن في الجنوب العربي نجد: صور اللبنانية وصور العُمانية، وجبيل اللبنانية وجبيل على شاطىء الخليج العربي، وأرواد الجزيرة السورية اليوم وأرواد (أراد) الاسم القديم لجزيرة المحرّق البحرينية، وحضرميت الاسم القديم لسوسة التونسية اليوم وإقليم حضرموت الغني عن التعريف بالجنوب العربي. ولا عجب من إنجازاتهم العظيمة بالتجارة البحرية بمدة قصيرة من وصولهم إلى شاطىء المتوسط إذ كانوا من سلالة أسياد الملاحة والتجارة في بحر العرب. والعُمانيون الصوريون كانوا أول من طوّر تقنية بناء السفن العابرة للبحار بربط الألواح بحبال الألياف المصنوعة من جوز الهند الموجود في بلادهم وهي ما عرف بالتدسير. وصور اللبنانية كان اليونانيون (وما يزال كل الأجانب إلى اليوم) يطلقون عليها اسم (Tyros) أو (Tyre)، أما اسم صور فتسمية فينيقية عربية، واسم قدموس نفسه عربي ومعناه القديم، قال عبيد بن الأبرص:

لقد ورثنا داراً عن الأقدم القدموس من عم وخال

وقيل القدموس المشرقي: وقيل العظيم، مثل جيش قدموس أي جيش عظيم. وقد لاحظ فرج الله صالح ديب[1] أوجه شبه بين الرموز بالنقوش الفينيقية والسبئية في مثل رمز الهلال والشمس في حجر قرية فيع اللبنانية ونقش الأقمر اليمني من مجموعة مطهر الأرياني؛ بعد أن جرّب قراءة النصوص السبئية والفينيقية على أنها نصوص عربية، وذلك عائد إلى حقيقة أن الفينيقيين كما أسلفنا هم أصلاً من الشعوب القديمة التي سكنت في الجنوب العربي، أما من سكن قبلهم في شرقي المتوسط

(1) كذبة السامية وحقيقة الفينيقية، فرج الله ديب.

فهم أبناء حضارة محلية تأثر جنوبيها باشعاع الحضارة المصرية وشماليها بإشعاع بلاد الرافدين.

أهل التوراة

كل الإشارات إلى أرض كنعان والكنعانيين تقريباً متأتية من نصوص العهد القديم؛ أما هيرودوتس الذي سكن في هذه المنطقة من 454 - 447 ق.م.، وسجل تاريخها المعروف في القرن الخامس ق. م. فلم يأت أحد له على ذكر كلمة كنعان، ولم يسمع بأورشليم أو التوراة أو إبراهيم أو موسى أو داود أو سليمان! كما لم يصادف إسرائيليين لا ببابل ولا بفلسطين ولا ببلاد القبط! جدير بالذكر أن عزرا كان قد أرجع آخر المسبيين من بني إسرائيل لأرضهم في العام 458 ق.م.

تفيد التوراة بأن عرب قاسط أو جديس ابن سام بن نوح (ء ر ب ك ش د) أنجب صالحاً الذي أنجب غبراً وأن غبراً أنجب ولدين: قطن (وليس قحطان) الذي هاجر إلى الجنوب العربي، وفالجاً الذي تحدر منه إبراهيم (ع) الذي هاجر إلى أرض كنانة (لا كنعان). وقد تكلم بنو إسرائيل شفة كنانة (مثلما نقول اليوم لساناً لنعني لغة) وكنانة كان ابناً لحام لا لسام، فكيف والحال كذلك يدّعون بأن اللغة الغبرية (العبرية) من اللغات السامية؟ فإبراهيم (ع) وعشيرته (وهم من المتحدرين من غبر والساكنين مع الآراميين من أيام هود) حلوا بأرض كنانة وعاشوا فيها حتى هجرة يعقوب وبنيه إلى مصر، واتخذوا من لهجتها لساناً[1] لهم علماً أن الفروقات كانت أقرب إلى اختلاف بين لَهجات منها إلى لغات، وبرأي فيلبي فالسامية هي العربية. ولم يفت شبه التطابق بين العبرية ولهجة كنانة عالم الساميات تشيم رابين[2]، لكنه لم يذهب في شكوكه للنهاية بسبب تنشئته على أن أرض كنعان كانت فلسطين. ويبقى كتابه مصدراً هاماً لمراجعة خصائص لهجات غرب الجزيرة العربية منذ القديم[3].

أبجدية ألواح موسى

لا أحد يعرف بالضبط من طوّر الخط السينائي علماً أنه لم يكن حتماً لا سينائياً ولا حتى قبطياً لأنه كما أوضحنا فإن الحرف الثالث (الجمل) يشير تماماً إلى أصل

(1) سفر اشعيا، الإصحاح 19، الجملة: 18.

(2) اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم رابين، ص: 37.

(3) نفس المصدر، الفصول: 8 - 13.

الأبجدية وهو: الجزيرة؛ فهي الحضارة التي نجحت باستئناس الجمل، وكذلك أنتجت هذه الحضارة خط المساند والزبور. وفي زمن موسى كان سكان شرقي المتوسط يكتبون بالمسمارية، والأمر واضح من نقوش أوغاريت ورأس شمراء، وكذلك من رسائل تل العمارنة المرسلة إلى بلاد القبط من فلسطين. وغير منطقي ما يدرّسونه بأن موسى تعلم قراءة الأبجدية الكنعانية وكتابتها من تأمله للنقوش على الجرار المكسورة والملقاة بفلاة مدين أثناء رعايته ماشية حميه بأعالي الحجاز.

وتشترك الخطوط الثلاثة: الطور سينائية والآرامية - الفينيقية والمسندية بعدة أحرف مما يدل أيضاً على قربها بعضها من بعض (راجع الأحرف: تاء، سين وشين، قاف، عين، نون، ميم، لام، وحتى الكاف). وغير صحيح بأن أول أبجدية طورت بالتاريخ كانت من فعل عمال مناجم الفيروز بشبه جزيرة سيناء، في وقت لم يكن هناك جمال لا ببلاد القبط ولا بسيناء ولا بكل سوريا. هنا نتكلم على منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، فما هو يا ترى الخط الذي كتب به موسى؟ نحن نعرف بأنه كان يحسن الكتابة؛ وكذلك فتاه يوشع ابن نون وأبناء هارون، فلا بد أنهم درسوا القراءة والكتابة بمصر التوراتية حيث نشأوا:

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ۝ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

هذه الألواح حطّمها موسى عندما علم بعبادة قومه للعجل الذهبي في أثناء غيبته في الجبل التي استمرت أربعين يوماً، ثم عاد هو فنقل الوصايا على لوحين جديدين[2]، ثم قام يوشع بن نون فيما بعد بنسخ سفر الشريعة على جلد حيوان احتياطاً لأن الألواح الأصلية بقيت في تابوت العهد الموضوع تحت قبّة الزمان (الخيمة الخاصة التي لا يدخلها إلا اللاويون من الكهنة) وكان ذلك حوالي عام 1445 ق. م. هذا السفر وجد طريقه إلى هيكل سليمان مع تابوت العهد عند نقله بأيام داود (ع) من قرية عروان (موقع قرية المجاهدين اليوم) إلى عرى/عُرُش السلام (مكة)؛ ووجد في أثناء تنظيف

(1) سورة الأعراف، الآيتان: 144 و145.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 34، الجملة: 1.

الهيكل وإجراء جردة بموجوداته في فترة حكم واسية (يوشيا)[1] ملك هوذة الذي حكم ابتداء من العام 640 ق. م. أي بعد موسى بثمانية قرون. ونحن نعرف بأنه بعد خروج بني اسرائيل من مصر انقطعت العلاقة بها، فلو كان السفر مكتوباً بالحروف الهيروغليفية فكيف استطاع الملك والكاهن الأكبر قراءته على الملأ بعد هذه المدة الطويلة، فالمنطق يقول أنه كان قد كتب بحروف كانت ما زالت مستعملة بأيامهم. وحتى مؤخراً كان الجميع يظن بأن الخط على الألواح كان بالحروف الفينيقية المسماة أيضاً بالغبرية القديمة التي ما زال التوراتيون السامريون يستعملونها حتى اليوم، لكن هذا غير صحيح لأنه كما أسلفنا فعلى أيام موسى كانت المسمارية هي السائدة بشرق المتوسط والهيروغليفية ببلاد القبط، ولم يثبت استعمال هذه الأبجدية إلا بعد وصول الفينيقيين إلى شرق المتوسط في القرن 12 ق. م!

خط المساند

خط المساند (شواهد القبور) النقشي الذي عرف أيضاً بالحميري والسبئي لا نعرف متى نشأ وأين، ونقوش اليمن تعود أقله إلى بدايات الألف الأول قبل الميلاد بأودية مفازة صيهد اليمنية؛ التي تقع على أطرافها شرقاً مدن وادي حضرموت مثل سيئون (صيّون) وتريم وشبام، ووادي شبوة جنوباً، وتمنع (عاصمة كتبان) غرباً، والعواصم صرواح ومأرب وقرنو وبراقش شمالاً. وقد لقي هذا الحرف الجميل انتشاراً واسعاً في طول وعرض الجزيرة العربية وخصوصاً على طريق القوافل الشمالي فنراه يظهر بنجران والفاو بوادي الدواسر قرب السليّل، وكذلك باليمامة وحائل والسراة وتهامة وأعالي الحجاز بما عرف بأشكاله بالكتابات الثمودية واللحيانية، وكذلك بالشام بكتابات الصفاة قرب بصرى جنوبي دمشق، وظل مستعملاً باليمن إلى ما بعد ظهور الإسلام بقرون. وكانت «تمنع» عاصمة الكتبانيين المكان الذي تمر فيه القوافل لدفع الضرائب، وكان يجري فيها كيل المحاصيل من الصموغ العطرية المحمّلة على الجمال ومن ثم يؤخذ ربعها ضريبة بينما يدفع عن باقي البضائع ذهب وفضة. ولحساب الضريبة يجب أن تكون هناك وسيلة للضبط والتسجيل، وقد وجد

(1) سفر الملوك 2، الإصحاح 22، الجملة: 8.

المنقبون مسلّة في وسط سوق تمنع مكتوب عليها بخط المساند ما يستحق من ضرائب على كل تاجر يمر ببضاعته في المدينة، فربما لهذه الأسباب أطلق على دولة تمنع اسم دولة الكتبانيين ومعناها الكتبة، وظلت تمنع المدينة الرائدة في التطوير اللغوي والتشريعي من حيث الاقتصاد والسياسة. وكذلك كان هذا الخط مستعملاً بالهضبة الحبشية لوثوق العلاقة بينها وبين الجزيرة العربية من أيام إبراهيم وربما قبلاً. هذا الخط (المسندي) هو على الأرجح الخط الذي كتبت به القدرة الإلهية الوصايا والمواعظ على الألواح؛ ذلك لأنها الأبجدية الوحيدة المستعملة بزمن موسى على الضفتين الشرقية والغربية للبحر الأحمر؛ فمن المنطقي أن يكون موسى ويوشع بن نون وأبناء هارون قد تعلموا الكتابة بخط المساند بالحبشة وأكملوا استعمالها بتهامة والحجاز فيما بعد. ولم أطلق على هذا الخط اسم السبئي بهذا الكتاب لأن استعماله سابق على الممالك السبئية باليمن. صحيح أن بعضهم قد أطلق على بعض أنماطه إسم «الثمودي» إنما ذلك عائد إلى قرية اسمها ثمود اكتشف فيها أول نموذج من هذا الخط. وإن تعبير كاتب الوحي لهود يدل على وجود سابق للكتابة يعود إلى زمن عاد؛ وهي حضارة سادت بالأطراف الجنوبية لليمامة كما سنرى بفصل عاد وثمود.

وكانت الكتابة بخط المساند في الحبشة من اليمين إلى اليسار مثل سائر جزيرة العرب حتى غيّرها أهل أكسوم بالقرن 4 ميلادي بتأثير من الحضارة البيزنطية؛ فصارت من اليسار إلى اليمين وبقيت كذلك حتى اليوم.

خط الزبور

ولخط المساند شكل نسخي غير الشكل النقشي (الملوكي) بتطوره من الوضع العمودي للوضع الأفقي[1] وهو ما عرف بخط الزبور، وقد جاء له ذكر بالشعر الجاهلي في مثل أبيات لامرئ القيس:

أتـت حجج بـعـدي عليها فأصبحت كـخـط زبــور فـي مـصـاحـف رهـبـان

و

لـمـن طـلـل أبـصـرتـه فـشـجـانـي كـخـط زبــور فــي عـسـيـب يـمـان

ومن شعر لبيد البيت الذي يقال بأن الفرزدق سجد لسماعه:

وجـلا الـسـيـول عـن الـطـلـول كأنها زبــر تـجـد مـتـونـهـا أقـلامـهـا

(1) أبجدية القرآن من مملكة سبأ، محمد عقل: 238 - 239.

وتكرر ذكر الزبر وهي الكتب المزبورة أي المكتوبة بخط الزبور بآيات القرآن الكريم (ما فرطنا في الكتاب من شيء):

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1].

﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[2].

﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[3].

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾[4].

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾[5].

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[6].

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾[7].

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[8].

لم يبق لنا شيء يذكر من كل المخطوطات المزبورة، تم تدمير كل شيء تحت مسمى أن الإسلام يجبّ ما قبله! مع كراهية لتدوين أخبار الجاهلية بل للتاريخ والمؤرخين! لذلك قلما نجد شيئاً مدوناً من القرن الهجري الأول، ولم يبدأ التدوين الفعلي عن أهل الأخبار العرب إلا بالعصر العباسي. ثم إننا نجد المفسرين اعتمدوا في الوصول إلى تفاصيل القصص القرآني على ما يسمى بالإسرائيليات وهي أخبار أهل الكتاب عن المواضيع، ثم نراهم يشكون منها دون أن يكلف أحدهم عناء فرض كفاية عن الأمة لجهة دراسة النصوص الأصلية واكتشاف النصوص الوارد فيها أخبار النبي المختار (ص). وهذا العمل أول مجهود جدي يأخذ هذا المنحى منذ 14 قرناً ولا فخر.

(1) سورة الأنبياء، الآية: 105.
(2) سورة النساء، الآية: 163 وسورة الإسراء، الآية: 55.
(3) سورة آل عمران، الآية: 184.
(4) سورة النحل، الآيتان: 43 و44.
(5) سورة الشعراء، الآية: 196.
(6) سورة فاطر، الآية: 25.
(7) سورة القمر، الآية: 43.
(8) سورة القمر، الآية: 52.

الخطوط الآرامية

أقدم نقوش فينيقية وجدت من القرن 11 ق.م.، ومن الخط الفينيقي[1] اشتق الخط الآرامي الذي سمي بالعبري القديم حوالي القرن 8 ق.م.؛ وهو الذي تبنته الأمبراطورية الإخمينية ونشرته في أراضيها، ثم بدأ منذ القرن 3 ق.م. يظهر خط جديد اشتق من الآرامي القديم عرف في البتراء بالنبطي وبالتدمري نسبة لاستعماله في مملكة تدمر العربية، وظهر كذلك في الحيرة بالعراق على مقربة من الكوفة، وقد نسبه أهل الحيرة إلى بني إياد الذين كانوا يقيمون في بادية الشام غرب الفرات، ومن هذا الخط اشتق الكوفي العربي وسابقاً ما سمي بالآرامي المربّع أو العبري الجديد. ثم كان منه ما عرف فيما بعد بخط الجزم وهو نبطي ممشوق أي متصل، وكان مستعملاً في صدر الإسلام وبه كتبت المصاحف الأولى والرسائل النبوية. وفي العصر الأموي تمت إضافة حركات الإعراب والنقط تسهيلاً لغير العرب لقراءة القرآن الكريم على الشكل الصحيح عرف بالموزون في مرحلة ما قبل المرحلة الكوفية وصولاً لاحقاً لتكوينات الخط العربي المنسوب المعاصر[2].

التوراة والتحريف

جاء في القرآن الكريم:

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[3].

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ﴾[4].

يرى ابن عباس وابن منبه والبخاري وابن تيمية بالفتاوى أن التحريف طاول المعنى أما اللفظ فهو محفوظ. وهناك بالتراث اليهودي أن النصوص الأصلية للتوراة كانت مكتوبة بخط مغاير (غير معروف، ويدّعي السامريون بأنه الآرامي القديم - الفينيقي، وعندي أنه الزبور) ثم قام العزير ببابل بنقلها إلى خط آخر هو الآرامي القديم المشابه للفينيقي وبه كتبت لفائف البحر الميت التي وجدت بقمران ثم نقلت للآرامي المربع بعد القرن 3 ق.م. وبعد السبي الكلداني لم تعد اللغة الأصلية محكية في جالية العراق ولا فلسطين فيما بعد، فعمل الملك بطليموس

(1) The Book of Hebrew script, p: 7.

(2) أبجدية القرآن من مملكة سبأ، ص: 201.

(3) سورة النساء، الآية: 46.

(4) سورة المائدة، الآية: 13.

بالاسكندرية لترجمة النصوص لليونانية بالقرن 3 ق.م. ثم عكف علماء النصوص المأثورة (الماسورة بقراءتهم!) من يهود طبرية على دراسة النصوص العبرية الأصلية ومحاولة ضبط وتسهيل قراءتها، واستمروا في ذلك من القرن السادس إلى العاشر الميلادي، لكن كانت النتيجة أنهم صاروا ينطقونها على غير حقيقتها الأصلية (لياً بألسنتهم بصيغة القرآن)، فضاعت دقة الأسماء مع الجغرافيا الأصلية والأنساب.

أقدم مخطوطة توراتية كاملة وصلتنا بالآرامي المربع هي النسخة الحلبية، التي كتبت في فلسطين في القرن العاشر الميلادي وأحرق جزء منها في احتجاجات حلب ضد اليهود في العام 1947. وضعت قواعد الكتابة والإملاء بهذا الخط في أندلس القرن 11 الميلادي على يد الأديب اليهودي الشهير إبن ميمون، واستمروا بعده في تطوير الشكل والتنقيط قروناً عدة. وقد لا يعرف الكثيرون بأن التلمود الفلسطيني في القرن الخامس للميلاد والتلمود البابلي في القرن السادس للميلاد قد **كتبت جميعها بالخط الآرامي القديم وليس بالعبري المربع**، ناهيك عن دليل أكبر وهو النقوش على العملات المعدنية اليهودية المتداولة التي ظلت تضرب بالآرامية - الفينيقية حتى القرن الثاني الميلادي إبان الحكم الروماني لفلسطين. ولو كان الحرف العبري المربع هو الخط القومي لليهود لكان من الطبيعي أن تتبنّاه دولة اليهود الأحرار التي قادها شمعون بن كوكبا للاستقلال عن روما في العام 133م، لكن الأمر لم يكن كذلك. وفي القرن الـ19 ميلادي عادت الحركة الصهيونية فأحيت اللغة القديمة وهذا الخط الذي كان مقتصراً على النصوص الدينية من قبل. ومن المفارقات الغريبة أن أغلب اللقى الأثرية التي حملت الحروف الآرامية المربعة وجدت ببلاد الأنباط العرب إما في الأردن (البتراء) وإما سوريا (تدمر) وليس في فلسطين. وهذه الحروف أشبه ما تكون بالحرف العربي الكوفي، إذ يكفي لمن يستطيع أن يقرأ العربية أن يتصور الخط الكوفي المربع غير منقّط وبأحرف مقطّعة غير موصولة، ولا يتبقى إلا قلب بعض الحروف العربية من الوضع الأفقي إلى العمودي وذلك بإدارتها 90 درجة بعكس اتجاه عقارب الساعة لتظهر أمامنا أوجه التطابق مع الكوفي:

أ ب ج د ه و ز ح ط ى ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت

א ב ג ד ה ו ז ח ט י כ ל מ נ ס ע פ צ ק ר ש ת

فبتدبّر صور هذه الحروف والتأمل فيها سيكون بالمستطاع قراءة النصوص العبرية مع بعض التمرين. وسأعقّب بنموذجين: واحد بالعبرية من سفر التكوين (الإصحاح 16) وآخر بالآرامية من سفر العزير (الإصحاح5)، ووضعتُ لهما دراستي الخاصة التي توضح بأنهما بالقراءة الصحيحة نصان عربيان مع الأخذ بالاعتبار أن أسلوبهما يعود إلى أكثر من 2500 سنة. ولغة كنانة (العبرية) هي لغتنا العربية نفسها تقريباً ولكن بأسلوبها القديم، وهو الأسلوب نفسه الذي استخدمه موسى (ع) في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، أما لغة القرآن فكانت بالأسلوب المبين بعده بألفي عام تقريباً؛ فلغة مضر لم تنضج إلا قبل قرنين فقط من مجيء الإسلام، وأرى أن معنى كلمة التوراة نفسها תורת **قد** يتوضح برد الكلمة إلى جذرها الثلاثي بعد حذف أحرف العلة ليصبح (ت ر ت)، فيحتمل أن يكون: **التراث**، وقد تكون التوراة الماسورة هي «**التراث المأثور**».

ما تركه موسى لبني إسرائيل، وإن سمّي توراةً ليس كله وحياً منزلاً! وبحسب ابن كثير فما أوحي إلى موسى هو فقط أسفار الشريعة وهي الممثلة بسفر اللاويين وبعض أجزاء الخروج والعدد والتثنية، أما باقي العهد القديم فهو من الصحف التي كتبت فيها وقائع التراث المأثور (التاريخ) الذي وصل إلى بني إسرائيل، والذي تلقاه موسى من الشيوخ الذين حفظوه كابراً عن كابر، ثم دونه وتركه في عهدة يوشع بن نون الذي زاد عليه[1]، وكذلك فعل باقي الأنبياء والكتبة بعهد الملوك حتى حدوث السبي لبابل.

سأحاول محاكاة ما جرى بالقديم بإعطاء مثال حي من التاريخ المعاصر عن ماهية التحريف. نعرف جميعاً ما حدث في جمهورية تركيا بعد انتهاء الحقبة العثمانية من تغيير الخط المستعمل من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني؛ هذا هو التحريف بامتياز كما قصده القرآن لا أن نصوص التوراة تم تغييرها. لكن

(1) سفر يوشع، الإصحاح 24، الجملة: 26.

لو فرضنا أنّا أخذنا مصحف الأتراك المدون بالحرف اللاتيني إلى أمريكا وطلبنا من أمريكي لم يسمع قراءة القرآن في حياته أن يقرأ النص فهل سيكون النص المسموع منه كما نعهده نحن معشر المسلمين من قراءات متواترة عن النبي (ص)؟ ثم تصوروا أن يأتي شخص أمريكي مسلم بعد 1500 سنة يعلم بأن الأصل لهذا النص لم يكن من تركيا بل من بلاد العرب وبخط مغاير لم يعد معروفاً! وأنه يود أن يعرف النطق الأصلي للكلمات والأسماء. وتخيلوا لا سمح الله بأن اللغة العربية قد انقرضت من الوجود ويحاول الأميركيون المسلمون إعادة إحيائها إنما باللفظ الذي تخيلوه عبر مئات السنين التي انقطعوا فيها عن أي قراءة عربية أصيلة، فكيف سيكون حال اللغة العربية الوليدة؟ هذا ما حدث بالفعل بالنسبة للتوراة العربية الأصل؛ ونستطيع العمل على استرداد الأصل العربي آخذين في الاعتبار التطور الطبيعي للغة في بيئتها الأصلية. والفائدة المادية المرجوة اليوم من محاولة استقراء النصوص الأولى قبل التحريف تفوق المرجوة من المثل الذي أعطيته لأن العهد القديم فيه معلومات قيمة جداً عن تاريخ وسكان الجزيرة العربية وخصوصًا الحجاز للفترة ما بين نوح ونبوخذ نصر الخلداني (الكلداني)، فهي كانت أرض حضارات لا مجرد صحاري وقفار.

العهد القديم هو بحق ديوان العرب المفقود؛ وقد أعثرنا الله عليه بفضله، وها نحن نعمل على استخراج كنوزه من غياهب التاريخ. الجغرافيا لا تتغير، وبمعرفة اللغة الصحيحة للقراءة نستطيع إعادة كتابة تاريخ منطقتنا والإستدلال على أصول أكثر الأنساب والقبائل، خصوصاً بعد التخبط الذي بدأ يظهر من نتائج تحليل الأحماض النووية. هذا باب تم فتحه، وأتصوره مدخلاً للكثير من الأعمال التي ستليه؛ منها معه والكثير ضده، وأنا راض ومؤمن بآية ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[1].

هذا الكتاب وهو الجزء الأول من البحث أسميته «التوراة الحجازية» (تاريخ الجزيرة المكنوز) يحتوي على شرح للنظرية عن عربية التوراة ككل مع تفصيل لجهة

(1) سورة الرعد، الآية: 17.

قصص الأنبياء والشعوب ومساكنها. يتبعه إن شاء الله الجزء الثاني الذي أسميته «صحف إبراهيم وموسى» ويتناول قراءة حرفية نصيّة لكل المواد غير التشريعية الدينية الواردة في أسفار التوراة الأربعة: تكوين، خروج، تعداد، تثنية. ثم هناك جزء ثالث أسميته «من الفتح حتى الجلاء» يستكمل قراءة النصوص الحرفية عن الحقبة التاريخية من يوشع بن نون حتى السبي البابلي للجزيرة العربية. الجزء الثاني والثالث للمهتمين أكثر بالتفاصيل لأنهما بالكامل على طريقة ثلاثية الأسطر لينظر المهتمون بطريقة كتابة النصوص القديمة وقراءتها في طريقة جديدة وميسّرة، كما هما مهمان لجهة السير في طريق أبحاث مماثلة والنظر في أصول الجزيرة العربية والأنساب والتاريخ الجاهلي لجزيرة العرب وقد يتبع جزء رابع يكون معجماً للأسماء والأماكن بمفاهيمها الجديدة. وتالياً أورد مثالين على تقنية ثلاثية الأسطر غير المعروفة كثيراً في عالمنا العربي واحدة من نص عبري (تكوين 16)، والآخر آرامي (عزير5) لأنه بالمثال تتوضح الصورة بشكل أفضل عن تفاصيل الجهد، وماهية الكتب القادمة:

1 - في السطر الأول: نقل حرفي من الرسم «العبري» لرسمنا العربي المعاصر.

2 - في السطر الثاني: القراءة «العربية» للسطر الأول.

3 - في السطر الثالث: المعنى المتعارف عليه بكل الترجمات.

مقاربة بين خط نسخي وكوفي وعبري:

زرع ورش درج ورد

زرع ورش درج ورد

זרע ורש דרג ורד

زر دار ود إن أردت ورودا زادوك ودا إن رأوك ودودا

زر دار ود إن أردت ورودا زادوك ودا إن رأوك ودودا

זר דר וד אנ אודת ורוד זדוך וד אן ראוך ודוד

قراءة ثلاثية الأسطر من التوراة الحجازية تكوين 16 (عبري)

1- وش ری ءش ة ءب رم ل ء ی ل د ہ ل و و ل ہ ش ف ح ہ م ص ری ة و شم ہ ہج ر
وثرى[1] أنيسة أبرام[2] لا ولدت له ولها سافحة مصرية واسمها هاجر
وسارة أنثى أبرام ما ولدت له ولها جارية مصرية واسمها هاجر

2- و ت ءم ر ش ری ء ل - ء ب رم ہ ن ہ - ن ء ع ص ر ن ی
وتأمر ثرى إلى - أبرام: هنا عسّرني
وتأمر سارة إلى أبرام: هوذا عسّرني

ی ہ و ہ م ل د ت ب ء - ن ء ء ل - ش ف ح ت ی
«هو»! ما ولدت! بوأن إلى - سافحتي
«الله»! ما ولدت! بوأن إلى جاريتي

ء و ل ی ء ب ن ہ م م ن ہ وی شم ع ء ب رم ل ق ول ش ری
عوالي أبني منّها . وسمع أبرام لقول ثرى
رجائي أتبنى منها . وسمع أبرام لقول سارة

3- وت ق ح ش ری ءش ة - ء ب رم ءة- ہج ر ہ م ص ری ة ش ف ح ت ہ
وتقحو ثرى أنيسة - أبرام آية - هاجر المصرية سافحتها
وتلقح سارة أنثى أبرام ذات هاجر المصرية جاريتها

م ق ص ع ش ر ش ن ی م ل ش ب ت ءب رم ب ء رص ك ن ع ن
من قضا عشر سنين لثبات أبرام بأرض كنانة
من قضاء عشر سنين لثبات أبرام بأرض كنانة

و ت ت ن ء ت ہ ل ء ب رم ء ی ش ہ ل و ل ء ش ہ
وتوتين آيتها لأبرام أنيسها له أنثى
وتعطي إياها لأبرام زوجها له زوجة

(1) سارة كان اسمها ثرى ثم ثريا، سارة قراءة قديمة تقديرية.
(2) أبرام الاسم القديم لإبراهيم ثم تغير لأبراهم أو إبراهيم.

قراءة ثلاثية الأسطر من التوراة الحجازية تكوين 16 (عبري)

1- وش رى ءش ة ءب رم ل ء ى ل د ه ل و و ل ه ش ف ح ه م ص رى ة و شم ه ه ج ر
وثرى[1] أنيسة أبرام[2] لا ولدت له ولها سافحة مصرية واسمها هاجر
وسارة أنثى أبرام ما ولدت له ولها جارية مصرية واسمها هاجر

2- و ت ءم ر ش رى ء ل - ء ب رم ه ن ه - ن ء ع ص ر ن ى
وتأمر ثرى إلى - أبرام: هنا عسّرني
وتأمر سارة إلى أبرام: هوذا عسّرني

ى ه و ه م ل د ت ب ء - ن ء ء ل - ش ف ح ت ى
«هو»! ما ولدت! بوأن إلى - سافحتي
«الله»! ما ولدت! بوأن إلى جاريتي

ء و ل ى ء ب ن ه م م ن ه وى شم ع ء ب رم ل ق ول ش رى
عوالي أبني منّها . وسمع أبرام لقول ثرى
رجائي أتبنى منها . وسمع أبرام لقول سارة

3- و ت ق ح ش رى ءش ة - ء ب رم ءة - ه ج ر ه م ص رى ة ش ف ح ت ه
وتقحو ثرى أنيسة - أبرام آية - هاجر المصرية سافحتها
وتلقح سارة أنثى أبرام ذات هاجر المصرية جاريتها

م ق ص ع ش ر ش ن ى م ل ش ب ت ءب رم ب ء رص ك ن ع ن
من قضا عشر سنين لثبات أبرام بأرض كنانة
من قضاء عشر سنين لثبات أبرام بأرض كنانة

و ت ت ن ء ت ه ل ء ب رم ء ى ش ه ل و ل ء ش ه
وتوتين آيتها لأبرام أنيسها له أنثى
وتعطي إياها لأبرام زوجها له زوجة

---

(1) سارة كان اسمها ثرى ثم ثريا، سارة قراءة قديمة تقديرية.
(2) أبرام الاسم القديم لإبراهيم ثم تغير لأبراهم أو إبراهيم.

4- وي ب ء ءل - ءج ر وت ءر . وت ره ك ى ءرت ء وت ق ل ج ب ر ت ء ب ع ى ن ى ء
ويوأ إلى - هاجر وتهير . وترى كون هارت وتقل كبيرتها بعينيها
ويوأ إلى هاجر وتحمل . وترى كون حملت وتقل سيدتها بعينيها

5- وت ءم ر ش رى ءل - ءب رم ح م م ى ع ل ى ك
وتأمر ثرى إلى - أبرام حممي عليك
وتأمر سارة إلى أبرام: فوراني عليك

ء ن ك ى ن ت ت ى ش ف ح ت ى ب ح ى ق ك
أكون نطيت سافحتي بحوقك
أكون وضعت جاريتي بمحيطك

وت ر ء ك ى ء ر ت ء و ء ق ل ب ع ى ن ى ء
وترى كون هارت وأقل بعينيها!
وترى كون حملت فاقل بعينيها!

ى ش ف ط ى ء و ء ب ى ن ى و ب ى ن ك
يسقّط «هو» بيني وبينك
يصطفي «الله» بيني وبينك

6- وي ءم ر ء ب رم ء ل - ش ر ى ء ن ء ش ف ح ت ك
وأمر أبرام إلى - ثرى: هنا سافحتك
فقال أبرام إلى سارة هنا جاريتك

ب ي د ك ع ش ى - ل ء ء ط و ب ب ع ى ن ى ك
بيدك غِشي - لها الطيب بعينيك
بيدك إصنعي لها الطيب بعينيك

وت ع ن ء ش رى وت ب رح م ف ن ى ء
وتعنّها ثرى وتبارح من فِنَائها
فأعنتها سارة وتبارح من وجهها

7- وى م ص ء ء م ل ء ك ى ء و ء ع ل - ع ى ن ء م ى م
وامساها ملاك «هو» على عين الماين
ووجدها ملاك «الله» على عين الماء

ب م د ب ر		ع ل - ه ع ى ن	ب د ر ك	ش و ر
بمدى بر	؛	على - العين	بطريق	شرى
ببرية	؛	على - العين	بطريق	شرى

8- وى ءم ر	ه ج ر	ش ف ح ة	ش رى	ء ى -م ز ه	ب ء ة	و ء ن ه	ت ل ك ى
وأمر:	هاجر	سافحة	ثرى	أين من ذا	بائثة	وأين	تـلجي
وأمر:	هاجر	جارية	سارة	أين من ذا	مبوءة	وأين	تلجين

و ت ءم ر	م ف ن ى	ش رى	ج ب ر ت ى	ء ن ك ى	ب ر ح ت
وتأمر:	من فناء	ثرى	كبيرتي	أكون	بارحت
وتقول:	من وجه	سارة	سيدتي	كنت	بارحت

9- و ى ء م ر	ل ه	م ل ء ك	ى ه و ه		ش و ب ى	ء ل -ج ب ر ت ك
وأمر	لها	ملاك	«هو»	:	ثوبي	إلى - كبيرتك
وأمر	لها	ملاك	«الله»	:	ثوبي	إلى سيدتك

وه ت ع ن ى	ت ح ت	ى د ى ه
وإتعني	تحت	يديها
واعنتي	تحت	يديها

10 - وى ءم ر	ل ه	م ل ء ك	ى ه و ه	ه ر ب ه	ء ر ب ه
وأمر	لها	ملا ك	«هو» :	الربا	أربي
وأمر	لها	ملاك	«الله» :	الربا	أربي

ء ة - ز رع ك	ول ء	ى س ف ر	م ر ب
آية- زرعك	ولا	يسفر	من الربا
عديد زرعك	فلا	يسفر	من الربا

11 - وىءم ر	ل ه	م ل ء ك	ى ه و ه	ه ن ك	ه ر ه
وأمر	لها	ملاك	«هو»	إنك	هارة
وأمر	لها	ملاك	«الله»	إنك	حامل

وى ل د ة	ب ن	و ق ر ء ة	ش م و	ى ش م ع ء ل
ووا لدة	بن	وقارءة	اسمه	اسماعيل
ووالدة	ابناً	وداعية	اسمه	إسماعيل

ك ى - ش م ع	ى ه و ه	ء ل - ع ن ى ك
كون سمع	«هو»	إلى عناك
كون سمع	«الله»	إلى عنائك

12 - و ه و ء	ى ه ى ه	ف ر ء	ء د م	ى د و	ب ك ل
وهو	يهيى	فراء	أدم؛	يده	بكل
وهو	يأتي	حاذق	جلديات؛	يده	بالكل

و ى د	ك ل	ب و	و ع ل - ف ن ى	ك ل - ء ح ى و	ى ش ك ن
ويد	كل	به	وعلى فِناء	كل - أخويه	يسكن
ويد	الكل	به	وعلى وجه	كل إخوانه	يسكن

13 - و ت ق ر ء	ش م - ى ه و ه	ه د ب ر	ءل ى ه	ء ت ه
وتقرأ	اسم - «هو»	المدابر	إليها :	أنت
وتدعو	اسم «الله»	المحاور	إليها :	أنت

ءل رءى	ك ى	ء م ره	ه ج م	ه ل م
ألّ رائيّ	كون	أمرت	الجمّ	هلم
البصير	كون	قالت	يكفي	هنا

رء ى ت ى	ءح رى	رء ى
رؤيتي	آخري	رائيّ!
رؤيتي	خلفي	ناظري!

14 - ع ل - ك ن	ق ر ء	ل ب ء ر	ب ء ر	ل ح ى	ر ء ي
على - كنهه	قرىء	لبئر	بئر	الحي	رائي
على كنهه	دعي	لبئر	بئر	الحراء	

ه ن ه	ب ى ن - ق د ش	و ب ى ن	ب ر د
هنا	بين - قادس	وبين	برود
هنا	بين قادس[1]	وبين	البرود[2]

(1) قادس: من أسماء مكة.
(2) ماء البرود: آخر محطة على درب زبيدة قبل الوصول لمكة.

15 - و ت ل د	ه ج ر	ل ء ب رم	ب ن	و ى ق ره
وتلد	هاجر	لأبرام	بن،	وقرأ
وتلد	هاجر	لأبرام	إبناً،	ودعا

ء ب رم	ش م- ب ن و	ه ش ر - ى ل د ه	ه ج ر	ى ش م ع ء ل
أبرام	اسم - ابنه	الصار - ولدت	هاجر:	سماع أل
أبرم	إسم إبنه	الذي ولدت	هاجر:	اسمعيل

16 - و ء ب رم	ب ن- شم ن ى م	ش ن ه	وش ش	ش ن ى م
وأبرام	بن - ثمانين	سنة	وست	سنين
وأبرام	ابن ثمانين	سنة	وست	سنين

ب ل د ة - ه ج ر	ء ة - ى شم ع ل	ل ء ب رم
بولادة - هاجر	آية - اسماعيل	لأبرام
بولادة هاجر	ذات إسمعيل	لابرام

قراءة ثلاثية الأسطر من التوراة الحجازية عزير ـ 5 (آرامي)

1 - و ه ت ن ب ى	ح ج ى	ن ب ى ء ه	و ز ك ر ى ه
واتنبا	حجي	النبيء	وزكريا
وتنبأ	حجي	النبي	وزكريا

ب ر - ع د و ء	ن ب ى ء ى ء	ع ل - ى ه و د ى ء	د ى	ب ى ه و د
بر عدوة	نبايء	على الهودي - ال	ذي	بهود
بن عدوة	نبوءات	على اليهودي	الذي	بهوذة

و ب ر و ش ل م	ب ش م	ء ل ه	ى ش ر ء ل	ع ل ى ه و ن
ويعرى السلام	بسم	إله	اسرائيل	عليهن
ويعرى السلام	باسم	إله	إسرائيل	عليهم

2 - ب ء د ى ن	ق م و	ز ر ب ب ل	ب ر - ش ء ل ت ى ء ل
بإذِ	قاما	ذر بابل	بر سؤلة إل
عندئذٍ	قام	ذر بابل	بن سؤلة الله

و ى ش و ع	ب ر - ى و ص د ق	و ش ر ى و	ل م ب ن ء	ب ى ت
ويشوع	بر صادق	وساروا	لمبنى	بيت
ويسوع	بن صادق	وسارا	لبناء	بيت

ء ل ه ء	د ى	ب ى ر و ش ل م	و ع م ه و ن	ن ب ى ء ى ء
الله ال	ذي	بعرى السلام	ويمهن	نبيئو
الله	الذي	بعرى السلام	وبجانبهم	نبيو

د ى	ء ل ه ء	م س ع د ى ن	ل ه و ن
ذي	الإله	مساعدين	لهن
ذي	الإله	مساعدين	لهم

3 - ب ه	زم ن ء	ء ت ء	ع ل ى ه و ن	ت ت ن ى	ف ح ت	ع ب ر - ن ه ر ه
بها	الزمان	أتى	عليهن	تاني	فاقد	عبر النهر
بذاك	الزمان	أتى	عليهم	ثاني	مفتش	عبر النهر

و ش ت ر	ب و ز ن ى	و ك ن و ت ه و ن
والشاطر	بو زيني	وقنواتهن
والشاطر	بو زيني	وأسلاكهم

و ك ن   ء م ر ى ن   ل ه م   م ن   ش م   ل ك م   ط ع م
وكنهه   أمران   لهم: من   سن   لكم   دعم
وكنهه   أمرا   لهم: من   شرع   لكم   ترميم

ب ى ت ء   د ن ه   ل ب ن ء   و ء ش ر ن ء   د ن ه   ل ش ك ل ل ه
بيت   ذان   للبنا   والسوران   ذينة   لشكلها
بيت   هذا   للبناء   والأسوار   هؤلاء   لتشديدها

4 - ء د ى ن   ك ن م ء   ء م ر ن ء   ل ه م   م ن   ء ن و ن   ش م ه ة
إذٍ   كمان   أمرنا   لهم   من   آننا   سميات
عندئذٍ   أيضاً   طلبنا   لهم   من   فورنا   أسماء

ج ب ر ى ء   د ى   د ن ه   ب ن ى ن ء   ب ن ى ن
كبرا   ذي   ذينة   البنيان   بانيين
كبراء   الذين   ذاك   البنيان   يبنون

5 - و ع ى ن   ء ل ه ه م   ه و ت   ع ل - ش ب ى   ى ه و د ى ء   و ل ء
وعين   اللاهم   هيت   على شياب   الهودية   ولا
وعين   اللاهم   أتت   على شيوخ   اليهود   ولا

ب ط ل و   ه م و   ع د - ط ع م ء   ل د ر ى و ش   ى ه ك
بطلوهم   حتى ظاعناً   لداريوس   يحق
أوقفوهم   حتى مبعوثاً   لداريوس   يأتي

و ء د ى ن   ى ت ى ب و ن   ن ش ت و ن ء   ع ل - د ن ه
وإذٍ   يثيبون   نشدان   على ذينة
وعندئذٍ   يثيبون   مناشدة   على ذاك

6 - ف ر ش ج ن   ء ج ر ت ء   د ى   ش ل ح   ت ت ن ى   ف ح ة   ع ب ر - ن ه ر ه
فرقان   الجريدة ال   ذي   سلـّخ   تاني   فاقد   عبر النهر
فحوى   الرسالة   الذي   أسلك   ثاني   مفتش   عبر النهر

و ش ت ر   ب و ز ن ى   و ك ن و ت ه
والشاطر   بو زيني   وقنواته
والشاطر   بو زيني   وأسلاكه

ء ف ر س ك ى ء   د ى   ب ع ب ر   ن ء ر ه   ع ل - د ر ى و ش   م ل ك ء

الفرازقي   ال   ذي   بعبر   النهر   على داريوس   الملك

الفرازقة   الذي   بعبر   النهر   على داريوس   الملك

7- ف ت ج م ء   ش ل ح و   ع ل و ء ى   و ك د ن ه   ك ت ى ب   ب ج و ه

فتق   ان   أ   سلخوا   عليه   وكذينة   كُتب   بجوّاها:

جواب   أسلكوا   عليه   وهكذا   كتب   بداخلها:

ل د ر ى و ش   م ل ك   ء ش ل م   ء ك ل ء

لداريوس   ملكي   أل سلام   أل كلي

لداريوس   ملكي   السلام   الكلي

8- ى د ى ع   ل ه و ء   ل م ل ك ء   د ى   ء ز ل ن ء   ل ى ه و د

يذاع   له   أ   لملك   أل   ذي   أنزلنا   لهودة

يبلغ   له   الملك   الذي   أنزلنا   لهودة

م د ى ن ت ء   ل ب ى ت   ء ل ه ء   ر ب ء   و ه و ء   م ت ب ن ء

مدينة   أ   لبيت   الإله ال   رب   وهو إل   متبنى

مدينة   البيت   الإله   الرب   وهو   المبنّى

ء ب ن   ج ل ل   و ء ع   م ت ش م   ب ك ت ل ى ء   و ع ب ى د ت ء   د ك

ألبان   جليلة   ووعا   متوسّم   بالكتل   وعبادة   ذيك

بأحجار   جليلة   وخشب   موضوع   بالكتل   وعمل   تلك

ء س ف ر ن ء   م ت ع ب د ء   و م ص ل ح   ب ى د ه م

الزفران   ال   متعبدة   ومنصلح   بيدهم

الأعراف   المشغولة   وصالحة   بيدهم

9 - ء د ي ن   ش ء ل ن ء   ل ش ب ي ء   ء ل ك   ك ن م ء   ء م ر ن ء
إذٍ   سألنا   للشباب   أولاك؛   كمان   أمرنا
عندئذٍ   سألنا   للشيوخ   أولئك؛   أيضاً   قلنا

ل ه م   م ن   ش م   ل ك م   ط ع م   ب ي ت ء   د ن ه
لهم: من   سن   لكم   دعم   بيت   أل   ذين
لهم: من   شرّع   لكم   ترميم   البيت   ذاك

ل م ب ن ي ه   و ء ش ر ن ء   د ن ه   ل ش ك ل ه
المبنى   والسوران   ذينة   لشكلها
المبنى   والأسوار   هذه   لشدّها

10 - و ء ف   ش م ه ت ه م   ش ء ل ن ء   ل ه م   ل ه و د ع و ت ك   ك ي
ووافي   سمياتهم   سألنا   لهم   لإوزاعتك   كي
وكامل   أسمائهم   سألنا   لهم   لإعلامك   كي

ن ك ت ب   ش م   ج ب ر ي ء   د ي   ب ر ء ش ي هم
نكتب   اسم   كبار   أل   ذي   برأسهم
نكتب   اسم   كبار   الذين   برأسهم

11 - و ك ن م ء   ف ت ج م ء   ه ت ي ب و ن ء   ل م م ر   ء ن ت ن. ء   ه م و
وكمان   فتقان   إثابوني   الأمر: أنتم   إ   هم
وكمان   جواب   أثابوني   الأمر: أنتم   هم

ع ب د ي و ه ي   د ي   ء ل ه   ش م ي ء   و ء ر ع ء
عباده   ذا   إله   السَما   والرّعايا
عباده   ذا   إله   السماء   والرعايا

و ب ن ي ن   ب ي ت ء   د ي   ه و ء   ب ن ه   م ق د م ة   د ن ه   ش ن ي ن   ش ر ج ي ء ن
ويانون   بيت   أل   ذي   هو   بني   من قديمة   ذين   سنين   شجاين
ويانون   البيت   الذي   هو   بني   من قديم   ذا   سنين   ممتدة

و م ل ك   ل ي ش ر ء ل   ر ب   ب ن ه ي   و ش ك ل ل ه
وملك   لاسرائيل   رب   بناه   وشكّله
وملك   لإسرائيل   كبير   بناه   وزينه

12 - ل ه ن م ن د ى ه ر ج ز ر ء ب ه ت ن ء ل ء ل ه ش م ى ء ى ه ب ه م و

لحين من ذا إرجزوا أبهاتنا لإله السما وهبهم

لوقت أن أذنب آباؤنا لإله السما دفعهم

ب ى د ن ب و ك د ن ص ر م ل ك - ب ب ل

بيد نبوقد نصر ملك بابل

بيد نبوقد نصر ملك بابل

ك س د ء ه و ب ى ت ه د ن ه س ت ر ه و ع م ه ء ج ل ى ل ب ب ل

جسيد وابيت ذين ستر وعمه إجلى لبابل

جديس والبيت هذا غيّب وقومه أجلى لبابل

13 - ب ر م ب ش ن ة ح د ه ل ك و ر ش م ل ك ء د ى ب ب ل ك و ر ش

برم بسنة حد لكورش ملك إ دى ببابل: كورش

دار بسنة واحد لكورش ملك الذي ببابل: كورش

م ل ك ء ش م ط ع م ب ي ت - ء ل ه ء د ن ه ل ب ن ء

الملك إ سن دعم بيت الله ذينة للبنا

الملك شرّع تدعيم بيت الله هذا للبناء

14 - و ء ف م ء ن ى ء د ى - ب ى ت - ء ل ه ء د ى د ه ب ه و ك س ف ء

ووافي من آنيه إل ذي ببيت - الله إل ذي ذهب وكسف

وكاملِ من الآنية التي ببيت الله التي ذهب وفضة

د ى ن ب و ك د ن ص ر ه ن ف ق م ن - ه ى ك ل ء دي

إل ذي نبو قد نصر إنفق من الهيكل إل دي

التي نبو قد نصر صرف من الهيكل الذي

ب ى ر و ش ل م و ه ى ب ل ه م و ل ه ى ك ل ء د ى ب ب ل

بعرى السلام وهابلهم للهيكل إل ذي ببابل:

بعرى السلام وجمّعهم للهيكل الذي ببابل:

ه ن ف ق ه م و ك و ر ش م ل ك ء م ن - ه ى ك ل ء د ى

إنفقهم كورش الملك من هيكل إل ذي

أنفقهم كورش الملك من الهيكل الذي

ب ب ل   و ى ه ى ب و   ل ش ش ب ص ر   ش م ه   د ى   ف ح ه   ش م ه
ببابل   ووهب   لشيش بصر   اسم   ال ذي   فاقد   سمّى
ببابل   ووهب   لشيش بصر   إسمه   الذي   مفتشاً   سمّى

15 - و ء م ر - ل ه   ء ل ه   م ء ن ى ء   ش ء   ء ز ل - ء ح ة   ه م و
وأمر له: أولاء   من الآنية   إ شبّع   أنزل - أحطهم
وأمر له: أولاء   من الآنية   شبّع   إنزل ضعهم

ب ه ى ك ل ء   د ى   ب ى ر و ش ل م   و ب ي ت   ء ل ه ء   ى ت ب ن ء
بهيكل إل   ذي   بعرى السلام   وبيت   الله   يتبنّى
بالهيكل   الذي   بعرى السلام   وبيت   الله   يتبنّى

ع ل - ء ت ر ه
على أثره
على مكانه

16 - ء د ن ى   ش ش ب ص ر   د ك   ء ت ء   ى ه ب   ء ش ى ء   د ى - ب ى ت
إذِ   شيش بصر   ذاك   أتى   يهب   إسي إل   ذي ببيت
عندئذٍ   شيش بصر   ذاك   أتى   يقدم   أسس   الذي ببيت

ء ل ه ء   د ى   ب ى ر و ش ل م   و م ن - ء د ن ى
الله إل   ذي   بعرى السلام   ومن إذِ
الله   الذي   بعرى السلام   ومن وقتئذٍ

و ع د - ك ع ن   م ت ب ن ء   و ل ء   ش ل م
وحتى كحين   متبنى   ولا   سُلِّم
وحتى الآن   يبنى   ولا   سُلِّم

17 - و ك ع ن   ه ن   ع ل - م ل ك ء   ط ب   ى ت ب ق ر   ب ب ى ت   ج ن ز ى ء
وكحين   إن   على الملك   طاب   يتبقر   ببيت   كنز إل
والآن   إن   على الملك   طاب   يبحث   ببيت   الخزينة

د ى - م ل ك ء   ت م ه   د ى   ب ب ب ل   ه ن
ذي ملك إ   تام   ال ذي   ببابل   هنا
خاصة الملك   التام   الذي   ببابل   هنا

٥ن	ءىتى	دى-من-كورش	ملكء	شىم	طعم	لمبنء
إن	أتى ال	ذي من كورش	ملك إ	سوام	دعم	لمبنى
إن	أتى	الذي من كورش	الملك	إذن	تدعيم	لمبنى

بيت-ءل٥ء		دك	بىروشلم	
بيت	- الله إ	ذاك	بعرى	السلام
بيت	الله	الذي	بعرى	السلام

ورعوة	ملكء	عل-دن٥		ىشلح	عليnء
ورعاية	الملك	على	ذين	يسلخ	علينا
ورعاية	الملك	على	هذا	يسلك	إلينا

خلاصة:

كتبت الأسفار بعصر الهيكل الأول بخط الزبور الذي هو الصيغة النسخية من خط المساند، ثم نقلت إلى الخط الآرامي القديم المشابه للفينيقي ببابل في أثناء فترة السبي الكلداني، ثم نقلت إلى الخط الآرامي الجديد المربع المشابه للخط النبطي بفلسطين في فترة الهيكل الثاني، وبقيت على ذلك حتى القرون الوسطى عندما اشتغل علماء المأثور على ضبط قراءتها. وقد استعملت الحركة الصهيونية نفس الخط الأخير في إعادة إحياء اللغة العبرية في القرن التاسع عشر ميلادي. فتعدد النقل من خط إلى آخر عبر آلاف السنين أدى إلى اختلاف في قراءة النصوص أضاعت دقة الأسماء العائدة للأماكن والأقوام بحيث صار من الصعب تمييز الأسماء الأصلية منها، وأوضح دليل على ما نقول هو سفر المزامير الذي هو كتاب شعري غنائي من الطراز الأول؛ إنما بنقله من خط لآخر أصبح خالياً من الأوزان والقوافي[1] وهو ما ليس مألوفاً في اللغات السامية!

(1) السنن القديم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر المزامير، المقدمة.

آدم والجنة الأرضية

في البدء كانت الكلمة،

وكانت الكلمة مع الله، وكانت الكلمة كلمة الله.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

ليس ثمة تناقض بين نظرية داروين والنظرة القرآنية إلى الخلق. وإن خمسة بلايين سنة في عرفنا قد لا تساوي عند الله زمن كلمة كن، فالزمان والمكان هما مصطلحان إنسانيان للمعرفة وليسا كذلك في عرف الله ضرورة.

وقد جاء في الذكر الحكيم:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[3].

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[4].

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[5].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾[6].

(1) سورة ياسين، الآية: 82.
(2) سورة آل عمران، الآية: 59.
(3) سورة العنكبوت، الآية: 20.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 30.
(5) سورة نوح، الآية: 17
(6) سورة النور، الآية: 45.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[1].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[2].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾[3].

حلقة آدم هذه من أصعب الحلقات لأنها متعلقة ببداية التاريخ. هل بدأ التاريخ عند بداية الخلق أم عند بداية الجنس البشري أم عند بداية الأنسنة بنفخ الروح الإلهية فيه وتكريسه خليفة لله في الأرض؟ فخلق آدم من ماء وتراب أي طين ليس بالضرورة قد تم بثانية من توقيتنا نحن البشر. وبالنسبة إلى الله فقد تمت كلمته بأن خلق الكون وانتهى، وفي علم الله قامت القيامة ودخل أصحاب الجنة الجنة وأصحاب النار النار، ورجع الخلق كلهم إليه؛ فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف، بينما ما زلنا نحن نشهد الأحداث يوماً بيوم وساعة بساعة لأننا ما زلنا في طور الوعي العقلي الخاضع للمكان والزمان في هذه الحياة الدنيا.

ما يهمنا أن الإنسان - ابن آدم انتقل من الجنة (مرحلة الجمع واللقط) إلى مرحلة الصيد ومن ثم إلى مرحلة الرعي (بتسخير الحيوانات له أو تدجينه لها لا فرق لأنه كله بأمر الله) ثم بانتقاله إلى الزراعة.

إذا سرنا في الأرض لنرى كيف بدأ الخلق ماذا نرى؟ لن ترينا الحفريات فحسب وجوداً للديناصورات التي يعود تاريخها إلى 100 مليون سنة بل سنرى أيضاً عظاماً لبشر تعود إلى مئات الآلاف من السنين. وأكثر ما يلفت النظر هو ازدياد حجم الجماجم كلما اقتربنا من العصور الحديثة وقد استقر حجم الدماغ البشري منذ حوالي 30000 ألف سنة مع سيطرة السلالة الأخيرة التي ننتمي إليها (Homo sapiens).

ليس المجال هنا للتعمق في معطيات الأنثروبولوجيا ولكننا نذكر أن القرآن يشير إلى هذا التطور البشري بـ:

(1) سورة نوح، الآية: 14.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 12.

(3) سورة الأنعام، الآية: 133.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[1].

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[2].

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾[3].

والقرآن يشير إلى أن هناك بشر قبل آدم في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

لعلمهم بأنه قبل آدم كان هناك بشر يفسدون في الأرض ويسفكون فيها الدماء، وكذلك بالآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[5].

فهنا نص واضح بأن اصطفاء آدم على العالمين من البشر في زمانه كان بالوحي الإلهي له، وهو الأول في التاريخ البشري حسب ما علّمنا الله.

جغرافية جنة آدم الأرضية

لم يتطرق القرآن الكريم إلى تفاصيل جغرافية حول جنة آدم الأرضية إلا:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾[6]، فماذا جاء عنها بحسب التوراة؟

جاء بسفر التكوين[7] (وهو الأقرب ما يكون للتصور الإسلامي لصحف إبراهيم):

وضع الله جنة بعدن من قدوم أي شرق عدن وهي من أسماء عدة مواقع بجوار جبل شدا كما ذكر الدكتور أحمد بن سعيد قشاش بكتابه البحثي في التاريخ الجغرافي

(1) سورة المؤمنون، الآية: 12.
(2) سورة نوح، الآيتين: 13 و14.
(3) سورة الشعراء، الآية: 184.
(4) سورة البقرة، الآية: 30.
(5) سورة آل عمران، الآية: 33.
(6) سورة طه، الآية: 118.
(7) سفر التكوين، الإصحاح 2، الجملة: 8.

للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة[1]. فكأن الجنة الأرضية كانت بشرق سراة الباحة، ومن السراة خرج نهر ليسقي الجنة، ومن ثم انفرز لأربعة رؤوس:

1 - **(ف ى ش و ن)**: (بالفاء العبرية وبالباء اليونانية) بيشان (وادي بيشة بنجد عسير وصيغة الجمع هنا لوجود عدة بيشات: بيشة النخل والقمح وابن سالم وابن مشيط) المتلقي صبيب كل أرض (ح و ى ل ه) حوالة (القبيلة الأزدية المعروفة) قرب الباحة، حيث ثم الذهب والبلدح (شجر الدوم) وحجر اليشم (الجزع).

2 - **(ج ى ح و ن)**: (جوحان) المتلقي صبيب (ك و ش) هنا جاش/ أرض الغوث، وجوحان واد وقرية مسكونة إلى اليوم بالقرب من أبها، فالمقصود هنا وادي تثليث.

3 - **(ح د ق ل)** حجدل بللحمر الوالج شرق (ء ش و ر) أثور بشرق عسير، من أودية بيشة أيضاً.

4 - **(ف ر ت)**: ثراد (كما أخبرني ناس من أهل الباحة لأنه في لهجة محلية هناك ترادف بين الفاء والثاء كما جاء بالقرآن الكريم كلمة فومها بدل ثومها). وثراد من أهم فروع وادي رنية ويمر قرب عقيق الباحة.

نعرف قصة الشجرة المحرمة ومن ثم إبعادهما عن الجنة، فإلى أين كان المنفى القصاص:

أُبعِد آدم شرقاً[2] لأرض القحط، وتم إسكان كروبيين من ذوي الحراب المعقوفة إلى الشرق من عدن لحراسة طريق شجرة الحياة (للحيلولة دون عودة آدم إليها).

وبعد قتل قنا لحابل تم إبعاد قنا لأرض نود[3] (نيد وهي نجد بلهجة أهل السراة)

---

(1) **أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة** د. أحمد بن سعيد قشاش طبعة مؤسسة الانتشار العربي 2018.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 3، الجملة: 24.

(3) سفر التكوين، الإصحاح 4، الجملة: 16.

للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة[1]. فكأن الجنة الأرضية كانت بشرق سراة الباحة، ومن السراة خرج نهر ليسقي الجنة، ومن ثم انفرز لأربعة رؤوس:

1 - (ف ى ش و ن): (بالفاء العبرية وبالباء اليونانية) بيشان (وادي بيشة بنجد عسير وصيغة الجمع هنا لوجود عدة بيشات: بيشة النخل والقمح وابن سالم وابن مشيط) المتلقي صبيب كل أرض (ح و ى ل ه) حوالة (القبيلة الأزدية المعروفة) قرب الباحة، حيث ثم الذهب والبلدح (شجر الدوم) وحجر اليشم (الجزع).

2 - (ج ى ح و ن): (جوحان) المتلقي صبيب (ك و ش) هنا جاش/ أرض الغوث، وجوحان واد وقرية مسكونة إلى اليوم بالقرب من أبها، فالمقصود هنا وادي تثليث.

3 - (ح د ق ل) حجدل بللحمر الوالج شرق (ء ش و ر) أثور بشرق عسير، من أودية بيشة أيضاً.

4 - (ف ر ت): ثراد (كما أخبرني ناس من أهل الباحة لأنه في لهجة محلية هناك ترادف بين الفاء والثاء كما جاء بالقرآن الكريم كلمة فومها بدل ثومها). وثراد من أهم فروع وادي رنية ويمر قرب عقيق الباحة.

نعرف قصة الشجرة المحرمة ومن ثم إبعادهما عن الجنة، فإلى أين كان المنفى القصاص:

أُبعِد آدم شرقاً[2] لأرض القحط، وتم إسكان كروبيين من ذوي الحراب المعقوفة إلى الشرق من عدن لحراسة طريق شجرة الحياة (للحيلولة دون عودة آدم إليها).

وبعد قتل قنا لحابل تم إبعاد قنا لأرض نود[3] (نيد وهي نجد بلهجة أهل السراة)

(1) **أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة** د. أحمد بن سعيد قشاش طبعة مؤسسة الانتشار العربي 2018.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 3، الجملة: 24.
(3) سفر التكوين، الإصحاح 4، الجملة: 16.

ثم إن الله عوّض (ح و ه) (حواء[1] أي الحاوية؛ قيل سميت كذلك لأنها كانت أم كل نفس حية) عن حابل فولدت ش ى ت (شاد أو شدا).

وابن شيت (أو شدا) كان اسمه الناس، وقيل إنه بزمانه «بدأ القرء» (أي الدعوة) بسم الله!

هنا يجب أن نتوقف عند هذه الكلمة «القرء أو القراءة»: لأن هذه الكلمة استعملها جبريل مع نبينا المصطفى (ص) بادئ الأمر عندما قال له: اقرأ! فجعل منها المفسرون أنها حث من الدين على العلم والقراءة بينما الأمر لم يكن كذلك لأن جبريل كان يعلم أميته (ص)، ولو كان الأمر كذلك لم يذهب (ص) إلى ورقة بن نوفل العالم باللغات القديمة: والذي كان بمثابة ترجمان مكة. وبالفعل فهم ورقة على الفور بأن الأمر كان الدعوة لله وليس القراءة، وأن محمداً نبي ذاك الزمان، وأن الذي جاءه كان الناموس الأكبر الذي نزل على موسى (ع).

ثم نجد ذرية (ش ى ت) (ويشبه الاسم شدا) بن آدم[2]:

الناس الذي ولد قنان (ويشبه الاسم قنا وقنونا) الذي ولد

م ه ل ل (ويشبه الاسم محايل تهامة) الذي ولد

ى رد (ويشبه الاسم عارض العرضية) الذي ولد

ح ن و ك وفي نسخة (ح ن و ح) (ويشبه الاسم حناحنة بجيلة لاحقاً) الذي ولد

(م ت ص ل ح) الذي ولد

ل م ك (وهو اسم معروف بين الأزد الذين منهم آل اللمكي بعُمان) الذي ولد

نوحاً (ع).

(1) سفر التكوين، الإصحاح 4، الجملة: 25.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 5، الجملة: 3.

في جغرافية طوفان نوح

مقدمة

إن مسحاً بسيطاً للتاريخ العتيق يبيّن لنا بأنه ليس هناك من مرويّات عن طوفان عام أو في أساطير كل من بلاد القبط والشام وإيران وأوروبا والصين؛ مما يحصر الموضوع بين الجزيرة العربية جنوباً والقوقاز شمالاً. لكن لو كان سام مع أبيه نوح (ع) في القوقاز فلماذا يترك تلك البلاد الخصيبة والمعتدلة المناخ ليذهب إلى الجزيرة العربية القاسية المناخ (منذ انتهاء العصر الجليدي الأخير)، والتي يُجمع الكل على أنها كانت مهد السامية!

مرويات بلاد الرافدين

أقدم ما دوّن حول طوفان كبير كان في نص تومال من موقع نيبور السومري؛ حيث تذكر السجلات الملكية أسماء ثمانية ملوك قبل الطوفان، وأن الملوكية نزلت من السماء في مدينة أريدو، ثم جاء الطوفان فقضى على البشر ولم ينج إلا البطل أوتنابشتيم الذي بنى سفينة له ولعائلته، ثم حلت الملوكية بمدن كيش قرب بابل.

أهم مكتبة وجدت بالشرق كانت لأثور بانيبال الملك الأثوري وقد جمعها إبان حكمه ما بين 668 و633 ق.م؛ واكتشفت في 1853 من قبل هرمز رسام. في هذه المكتبة ملحمتان للأبطال جلجامش وأترهة وكلّ منهما تتكلم عن طوفان هائل دفع الأبطال لبناء سفينة كانت السبب في نجاتهم ونجاة عائلاتهم. ولا نعلم على وجه

التحديد إن كانت الملحمتان هنا قد تأثرتا بأساطير سومر أم أنهما جاءتا مع البابليين الأوائل من الجزيرة العربية!

طوفان نوح (ع) في التراث العربي الاسلامي

لن أذكر مرويّات مفسّري القرآن لأنهم تأثروا إلى حد بعيد بالإسرائيليات، وسأعتمد على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ومدوّنات أهل الأخبار العرب لتبيان ما في تراثنا من معلومات عن هذا الموضوع التاريخي الموغل في القدم. نبي الله نوح هو ابن لمك بن متصالح بن حنوك بن عارض بن محايل بن قنان بن الناس ابن شدا بن آدم (ع) بحسب الرواية التوراتية التي اعتمدها المؤرخون عندنا نقلاً عن أهل الكتاب، وقد راعيت قراءة مختلفة للأسماء.

أين عاش نوح وقومه قبل الطوفان؟ حتى أهل الكتاب لا يعطون فكرة عن الموضوع. ابن الكلبي أورد في كتاب الأصنام أن اسم الطائف هو من طفا يطفو، وألمح إلى علاقة بين الاسم وطوفان نوح (ع)!

أما لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (المتوفى في القرن العاشر الميلادي) فقد أورد خبر تنازع بني مذحج وبني ثقيف على الأحقية في أرض وج (الطائف) عند النبي (ص) وما قضى به فيها على رواية الشعبي الذي أورد أن ظبيان ابن كدادة المرادي، وهو من مذحج، ورد على النبي (ص) وهو في مسجده بالمدينة فسلّم ثم قال: ،،،، **إن وجاً وشرفات الطائف** كانت لبني مهلائيل بن قنان (بن الناس ابن شدا بن آدم)، غرسوا أوديتة وذللوا خشانه، ورعوا قريانه، فلما عصوا الرحمن هب عليهم الطوفان، فلم يبق منهم على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح،،،،،، وقد وافقه خصمه الأسود بن مسعود بن مغيث الثقفي على هذا الشق من الكلام، مما يدل على أن العرب كانت لديها معلومات عن **موطن قوم نوح قبل الطوفان**، وبأنه **على الأرجح كان في منطقة الطائف في الحجاز** بالمملكة العربية السعودية، والجدير ذكره هنا أن النبي (ص) سمع هذا الكلام من كلا الطرفين ولم يعلق عليه بالنفي أو التكذيب!هل نستطيع التحقق من ذلك؟ وهل ذكر القرآن - وهو النص المنزل الذي كان يدون حال ورود الوحي ولم يختلف فيه - ما يؤيد هذا الكلام؟

التحديد إن كانت الملحمتان هنا قد تأثرتا بأساطير سومر أم أنهما جاءتا مع البابليين الأوائل من الجزيرة العربية!

طوفان نوح (ع) في التراث العربي الاسلامي

لن أذكر مرويّات مفسّري القرآن لأنهم تأثروا إلى حد بعيد بالإسرائيليات، وسأعتمد على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ومدوّنات أهل الأخبار العرب لتبيان ما في تراثنا من معلومات عن هذا الموضوع التاريخي الموغل في القدم. نبي الله نوح هو ابن لمك بن متصالح بن حنوك بن عارض بن محايل بن قنان بن الناس ابن شدا بن آدم (ع) بحسب الرواية التوراتية التي اعتمدها المؤرخون عندنا نقلاً عن أهل الكتاب، وقد راعيت قراءة مختلفة للأسماء.

أين عاش نوح وقومه قبل الطوفان؟ حتى أهل الكتاب لا يعطون فكرة عن الموضوع. ابن الكلبي أورد في كتاب الأصنام أن اسم الطائف هو من طفا يطفو، وألمح إلى علاقة بين الاسم وطوفان نوح (ع)!

أما لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (المتوفى في القرن العاشر الميلادي) فقد أورد خبر تنازع بني مذحج وبني ثقيف على الأحقية في أرض وج (الطائف) عند النبي (ص) وما قضى به فيها على رواية الشعبي الذي أورد أن ظبيان ابن كدادة المرادي، وهو من مذحج، ورد على النبي (ص) وهو في مسجده بالمدينة فسلّم ثم قال: ،،،، **إن وجاً وشرفات الطائف** كانت لبني مهلائيل بن قنان (بن الناس ابن شدا بن آدم)، غرسوا أوديتة وذللوا خشانه، ورعوا قريانه، فلما عصوا الرحمن هب عليهم الطوفان، فلم يبق منهم على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح،،،،،، وقد وافقه خصمه الأسود بن مسعود بن مغيث الثقفي على هذا الشق من الكلام، مما يدل على أن العرب كانت لديها معلومات عن **موطن قوم نوح قبل الطوفان، وبأنه على الأرجح كان في منطقة الطائف في الحجاز** بالمملكة العربية السعودية، والجدير ذكره هنا أن النبي (ص) سمع هذا الكلام من كلا الطرفين ولم يعلق عليه بالنفي أو التكذيب! هل نستطيع التحقق من ذلك؟ وهل ذكر القرآن - وهو النص المنزل الذي كان يدون حال ورود الوحي ولم يختلف فيه - ما يؤيد هذا الكلام؟

إذا استعرضنا الآيات القرآنية التي وردت عن قصة نوح نرى بعض التفصيل عن أصنام قوم نوح الذين دعاهم لترك عبادتها:

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا۝ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا۝ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا۝ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[1].

وقد أورد الكلبي[2] أن أصنام نوح إنما نحتت على عهد يارد بن مهلائيل بن قينان ابن أنوش بن شيث بن آدم وما زال أمرها يشتد حتى أدرك نوح، فبعثه الله نبياً،،، فدعاهم إلى الله،،، فعصوه وكذبوه؛ فأمره الله أن يصنع الفلك، ففرغ منها وركبها، فعلا الطوفان وطبق الأرض كلها! وأهبط هذه الأصنام من جبل لوذ وجعل الماء يشتد جريه وعبابه من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة ثم نضب الماء وبقيت على الشط فسفت عليها الريح حتى وارتها! وكان للكاهن الخزاعي عمرو ابن لحي رئي من الجن جاءه مرة وقال له: عجل بالمسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة! قال جير (هجرة)... والا إقامة! قال الرئي: ايت ضف (شاطئ) جدة تجد فيها أصناماً معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادعو العرب إلى عبادتها تجب! فأتى شط جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة، وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة، وأجابته القبائل كلها، فدفع إلى كلب وداً حيث أقر بدومة الجندل، وإلى هذيل سواعاً، وهي أول من اتخذ الأصنام من ولد اسماعيل وغيرهم فكان لهم برهاط من أرض ينبع، وإلى مذحج وأهل جرش: يغوث وكان بأكمة في اليمن يقال لها مذحج، وإلى همدان يعوق فكان بقرية لهم يقال لها خيوان. وإلى حمير نسراً فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع، ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي (ص) فأمر بهدمها.

القرآن يؤكد أن هذه الأصنام كانت لقوم نوح، وبما أنها وجدت في مكان واحد وعلى شاطىء جدة؛ فلا نستبعد منطقياً أن يكون الطوفان قد نقلها من مرتفعات

(1) سورة نوح، الآيات: 21 - 24.
(2) كتاب الأصنام، الكلبي، ص: 9 - 11، و: 51 - 59.

الطائف عن طريق سيل وادي مر الظهران الذي يستمر كوادي فاطمة حتى يصب بالبحر الأحمر جنوب جدة.

مصير الفلك

وتتابع الآيات الكريمة:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ۞ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾[1].

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ۞ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ۞ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ۞ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ۞ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[2].

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ۞ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[3].

وجاء في معجم معالم الحجاز[4] بأنه قيل إن ابن نوح عندما قال ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ كان يعني موضعاً اسمه ركبة، وهو أرفع الأراضي كلها، وقال أبو داود في كتاب الشهادات: ركبة موضع بالطائف، ولعل المقصود بالجبل هنا جبل حضن.

لا يحدثنا القرآن عن طول فترة الطوفان، الذي توقف في نهاية الأمر:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[5].

---

(1) سورة هود، الآيات: 40 - 42.

(2) سورة القمر، الآيات: 10 - 14.

(3) سورة هود، الآيات: 41 - 43.

(4) معجم معالم الحجاز، الجزء 4، ص: 68.

(5) سورة هود، الآية: 44.

مسار الانحدار الجغرافي للمياه من سراة الحجاز يسير بحسب قانون الجاذبية؛ فمن المنطقي أن تسيل المياه شرقاً عبر عالية نجد فاليمامة وإقليم البحرين القديم وصولاً إلى الخليج العربي! ومن المنطقي أن يكون أول حاجز طبيعي تصطدم به سلسلة من الجبال العالية؛ وليس مثل جبل طويق الذي كان يسمى بعارض اليمامة ما يضاهيه في ذلك. ومن عند الدرعية بجانب جبل العارض يخرج درب الجودي بعد أن يقطعه من الغرب إلى الشرق ليسير شرقاً وصولاً إلى قرية جودة على أطراف منخفض حرض. وبتفصيل من صحف إبراهيم (ع) وهي سفر التكوين من التوراة نعلم أنه بعد أربعين يوماً من الطوفان رسا التابوت على جبل (ء ر ر ط)[1]؛ الذي قد يكون مرتبطاً بوادي أراط الواقع تحت سفوح طويق الشرقية بمركز عودة سدير باليمامة 150 كيلاً شمال غرب الرياض. وبالنسبة إلى اسم أرارات الأرمني فلا يعرف أحد أصل هذه التسمية! فلا الجغرافيون اليونان ولا الرومان أتوا على ذكرها، وأول ما ظهرت كانت على لسان موسى الحراني (of Chorene)، وقد أطلقها على **المقاطعة الوسطى** بأرمينيا، أما الجبل الذي يسميه الأوروبيون اليوم جبل أرارات فالأرمن يسمونه جبل «ماسيس»، والأتراك يطلقون عليه اسم أغري - داغ (Agri - Dagh)!

روى ابن عوف: قال رسول الله (ص): أربعة جبال من جبال الجنة،وأربعة أنهار من أنهار الجنة،وأربع ملاحم من ملاحم الجنة، قيل: فما الأجبل؟ قال: جبل أحد،يحبنا ونحبه، والطور: جبل من جبال الجنة، ولبنان: جبل من جبال الجنة،والجودي: جبل من جبال الجنة، لكن النبي (ص) توقف عن تحديد المكان.

فمن أراد البحث عن فلك نوح فلينطلق من عودة سدير ويدرس المنطقة ما بين البلدة القديمة التي بوادي سدير (المعروف قديماً بوادي الفقي) ووادي أراط وصولاً لجبل طويق المحاذي من الغرب. وأسطورة غيلان هناك على اسم (ع ى ل م) ابن شام / سام / ثام / تام ومنه ربما اشتقاق الثمامة وتميم.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 8، الجملة: 4.

ذرية نوح (ع)

هذه الأسماء[1] تبقى مفتوحة للتحقيق في ضوء البحث المستمر، وتعجب من قدم بعض الأسماء الحالية والتي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحقيق:

1 - فيد (يافث) ومنه: شمر، مأجوج (شمال القوقاز)، ميدي، عيينة. العبل، موسك، وتاراس، وربما تكون هذه أسماء لقبائل عربية لم نهتد إليها!

وبنو شمر: عوشز، ورافد وتويجر

وبنو عيينة: الوجه، والأدارسة، قطن، والدوادم

2 - حِمى (حام) ومنه: غوث ومصر وفودة وكتانة

وبنو غوث: صهيب، حوالة، زبيد، ورغوان وسيتن

وبنو رغوان: سبأ وذي يزن (حمير)

وغوث ولد مراد، ومنه بنو صياد، وبلي

ومصرٌ ولد الألوذيين والعنان واللهيبين والمفتاح (شمال اليمن)، والقرشاط وأهل كسلا (جنوب السودان) والشقتريين. وكتانة ولد سعداً بكر، والحوتة والياسي وعمرو، والقرقاشي، والحاقي وذا العرقي، والسايتي والعرضي، والسمري، والحماتي، وكانت تخوم الكتاني من مساكن بني سعد جنوب الطائف إلى كرّاء وبني عمرو وصولاً إلى ظبيان (بلاد زهران)، وتهامة للجايزة ولليث جنوباً.

3 - سُميّ/ ثمام (سام): غيلان وثور، وعرب كسيد (قاسط أو جديس) ولوز وإرم

وإرم ولد: عاد وحايل وجاسر (تميم) وماشي

وعرب كسيد (قاسط أو جديس) ولد صالح، وصالح ولد غبر

غبر ولد فالج لأن على أيامه انفلجت الأرض، وقطن

وقطن (قحطان) ولد: المضاض، والسلف، وحضرموت، ووراخ، وحضور، وأوزال، وجديلة وعبيل، والبومايل، وسبأ ويعفر وخولان وأيوب (البيوب) وكانت مساكنهم من المخا حتى ظفار شرقاً.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 1.

خلاصة

الطوفان كان حدثاً محلياً في الجزيرة العربية، ولم يكن بالضرورة قد شمل المعمورة كافة:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾[1].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾[2].

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[3].

وبما أن رسالة نوح لم تكن عامة لجميع سكان الأرض بل مخصوصة بقومه، فإن الطوفان لم يشمل حكماً الأقوام الذين لم تبلغهم رسالته ولم يكذبوه. **ويبدو** أنه عاش في منطقة وادي وج (بالطائف) وأنه بنى طوفاً كبيراً من جذوع الأشجار المربوطة بالحبال (ذات ألواح **ودسر**) ووضع فيه أهله وأزواجاً من حيواناته الأليفة، ومع شدة الطوفان (موج كالجبال) فقد كان تحت نظر العناية الالهية (تجري بأعيننا) إلى أن توقف المطر الشديد الذي طال أمره، ومن ثم رست السفينة (التابوت) على جبل الجودي (باليمامة) حيث نزل الجميع إلى الأرض قرب بطن أراط بعودة سدير باليمامة، ومنها عادوا فانتشروا وأعمروا البلاد.

نبذة عن شريعة نوح

ورد في سورة الشورى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[4].

فما هو التشريع الذي أنزل على نوح؟ ورد[5] أن الله أحل كل النبات ولحم كل الدواب؛ على أن لا يؤكل بدمه! وأن النفس بالنفس، وكان عهد من الله أن لا يهلك البشر بطوفان تارة أخرى.

(1) سورة الفرقان، الآية: 37.
(2) سورة الأعراف، الآية: 64.
(3) سورة الصافات، الآية: 77.
(4) سورة الشورى، الآية: 13.
(5) سفر التكوين، الإصحاح 9، الجملة 3 وما بعدها.

هود (ع) وإرم

نبي الله هود (ع) ليس من أولي العزم من الرسل ولكن حقبته الزمنية ضرورية لفهم الفترة التاريخية بين نوح وإبراهيم (ع). بل إننا لا نستطيع فهم نشأة العبرانيين وبروز الكلدانيين دون معرفة هذه الحقبة. وأبدأ بمقدمة عن الأنساب، فقد جاء في العهد القديم[1] أن أبناء نوح كانوا ثلاثة:

سام (سميّ/ثمام) و (حميّ) حام وفيد (يافث)، وأن سميّ أنجب:

غيلان، أثور، عرب كسيد (قاسط أو جديس)، لاوذ، وإرم

وإرم أنجب عاد وحايل وجاسر (تميم) وماشي

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2].

والأحقاف جمع حقف وهي الرمال ولم يعيّن القرآن موقعها. صحيح أن بعض الإخباريين يقولون بأن موقعها بين حضرموت وعمان إلا أنه لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل الإسلام، ولعلها الربع الخالي الواصل لأطراف نجد الجنوبية. أما بلدة قبر النبي هود المعروفة إلى الشرق من سيئون في حضرموت فقد تكون مقاماً لذاك النبي العربي فحسب، لاسيما وأن القبر الحضرمي ما كان معروفاً على أيام الأزرقي مؤرخ مكة بمنتصف القرن الهجري الثالث، وقد ذكر في كتابه «أخبار مكة» أن نبي الله هود(ع) مدفون في مكة!

---

(1) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 1.

(2) سورة الأحقاف، الآية: 21.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾[1].

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وهنا دليل تاريخي على أن هوداً يأتي في المرتبة الزمنية التالية بعد نوح وليس بينهما أي من الأنبياء المشهورين.

وكنا قد بيّنا بأن فلك نوح قد رست على الجودي وهو العارض قرب بطن إراط بمركز عودة سدير، فكلمة خلفاء من بعد نوح تعني أنهم كانوا في الأرض نفسها في اليمامة.

يقول المؤرخ العربي ابن خلدون بأنّ الخوالد النجديين هم رهط نبي الله هود، ويقول الهمداني بأن الخلود هم من عاد، ويقول المسعودي كذلك بأن بني خالد حي من جديس.

التوراة العبرية التي بين أيدينا تستعمل اسم (ك ش د) كسيد (قاسط أو جديس) بينما التوراة اليونانية التي قد تكون مترجمة عن نسخة أخرى تستعمل اسم كالد أو خالد للجماعة نفسها! فيبدو أن عاداً وجديساً وبني خالد هم ذرية أصلها واحد وقد سكنوا اليمامة، وما زال بنو خالد فيها إلى يومنا هذا. ولا علاقة لبني خالد بالصحابي خالد بن الوليد (رض) الذي لم يترك ذرية معروفة بالتراث العربي.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۞ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۞ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3].

فهل كان بنجد مثل هذا الوصف للمصانع وهي القصور المبنية والجنّات والعيون؟ نعم يحدّثنا الهمداني بكتابه «صفة الجزيرة» فيصف ديار جديس باليمامة: «حصونهم

(1) سورة هود، الآية: 50.

(2) سورة الأعراف، الآية: 69.

(3) سورة الشعراء، الآيات: 128 - 135.

ويتلهم الواحد بتيل وهو هنٌ مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين. قال وجديس كانت تسكن الخضرمة (بين الرياض والخرج)، ووَصَفَ قرية بني سدوس وفيها قصر سليمان بن داود (ع) مبني بصخر منحوت عجيب، ثم وتر لبني غبر وهي نخيل وحصون عادية وغير عادية... ثم تصعد في بطن الفقي فترد الحائط حائط بني غبر (حوطة سدير اليوم)... ثم تخرج منها إلى الروضة روضة الحازمي (روضة سدير اليوم)... وأنت في النخيل والزروع والآبار طول ذلك.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[1].

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ۞ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾[2].

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3].

إذاً نجاه الله والذين آمنوا معه فمن كانوا وأين ذهبوا؟

جاء في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ۞ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾[4].

يعني كان هناك عاد أولى بديار جديس ثم هلكت، ثم لا بد كانت أخرى من الذين نجوا مع هود، ومن هؤلاء ربما كان الخلدان/الكلدان الذين تغلبوا على دولة الأثوريين (الذين خرجوا بحسب التوراة من بلاد شنعار/شعار ومن نجد عسير ليؤسسوا دولة بنينوى) وأعادوا الملك إلى بابل فيما سمي الدولة البابلية الجديدة أو الثانية أو الدولة الخلدانية (الكلدانية).

إرم ذات العماد

أكبر واد في الجزيرة العربية هو وادي الرمة - الباطن الذي يبدأ من السفوح الشرقية لجبال منطقة المدينة المنورة ويتجه إجمالاً إلى الشرق ليعدّل اتجاهه العام

(1) سورة هود، الآية: 58.
(2) سورة الحاقة، الآيات: 6 - 8.
(3) سورة الأعراف، الآية: 72.
(4) سورة النجم، الآيتان: 50 و51.

بعد مروره من جنوب بريدة في القصيم إلى الشمال الشرقي، فيعبر صحراء الدهناء ليعود ويظهر كوادي الباطن الشهير الذي يمرّ بمدينة الحفر ثم الرقعي الواقعة على نقطة الحدود بين السعودية والكويت والعراق. ويستمر محاذياً حدود الكويت مع العراق إلى أن يصب في شط العرب عند منطقة الزبير. وهذه الأسماء قديمة العهد وقد ذكرها الهمداني (المتوفى في 334هـ - القرن 10م) في صفة الجزيرة فسمّى الوادي ببطن الرمة، وهناك قرية على درب زبيدة تسمى الرمة بين العوسجة وإمرة لكن من المحتمل أن جميع هذه التسميات تعود لبني إرم بن سام.

استعملت كلمة إرم بالتوراة لتعني الأرض العالية وهو معنى نجد نفسه، فبنو إرم أو الأراميون ما هم إلا بنو إرم أبي عاد، وكما قال ابن خلدون فإن بني خالد متحدرون منهم!ويبدو أن ما عُرف لاحقاً بدرب البخور الشرقي كان درباً دهرياً للهجرات المتتالية للشعوب التي نزحت إلى بلاد الرافدين قادمة من الجزيرة العربية التي يعتبرها المستشرقون والآثاريون مهد السامية! كل تلك الشعوب من أكادية وبابلية وأثورية وكلدانية مرت من هذه المنطقة لتؤسس على ضفاف دجلة والفرات تلك الأمبراطوريات العظيمة، شأن ما فعله العرب من بني العباس فيما بعد بتأسيس دولتهم الكبيرة وتأسيس المدن العظيمة مثل بغداد وسامراء والكوفة والبصرة، آخذين معهم لغتهم مثلما فعلت لخم وربيعة ومضر وبكر وعنزة فيما بعد.

جعل الهمداني قوم عاد إحدى عشرة قبيلة ومنهم الخلود، وهم رهط النبي هود (ع)، وفيهم بيت عاد وشرفهم، وهم بنو خالد أنفسهم كما أورد بالإكليل[1] ولعلهم الكلدان أنفسهم لترادف حرفي (الكاف والخاء) باللهجات، ولكتابة الحرفين بصورة متقاربة بالآرامي المربع (وحتى بالكوفي المربع).

جاء في سورة الفجر

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞.... الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾[2].

(1) الإكليل، الهمداني، ج1 ص: 87.

(2) سورة الفجر، الآيات: 6 - 12.

في هذه الآيات دعوة لأن نرى لنعتبر، وكيف لنا أن نرى إن لم تظهر لنا آثار إرم منذ نيف و14 قرناً زمن نزول الآية! وقد وجدوا وبار بعمان بواسطة الأقمار الصناعية ولكنهم لم يجدوا إرم. وقد ذهب العلماء مذاهب شتى في تحديد موقع إرم ذات العماد فمنهم من قال بأنها جلق الشام، ومنهم من قال بأنها الإسكندرية. وهذا لا يعقل لأنهما بقيتا معمورتين مسكونتين منذ إنشائهما وحتى اليوم.

المدينة التي كانت من عجائب الدنيا السبع وقريبة من الإرميين ولها آثار باقية هي مدينة بابل ومعنى الاسم باب إل أي باب الله، مما يعني أن من أسسها كان يعرف الله وربما كان من ذرية نوح أو هود. كانت بابل في زمانها أعظم مدن الأرض قاطبة حسب وصف هيرودوتس أبي التاريخ في القرن5 قبل الميلاد. وكانت تمتاز بمعابدها ذات الأبراج المدرجة (ذات العماد) وجنائنها المعلقة التي كانت إحدى عجائب الدنيا السبع (التي لم يخلق مثلها في البلاد)، ثم إن الزمان دار عليها، فهجرها أهلها واندرست معالمها، بعد أن تحول مجرى نهر الفرات عنها (ونقل السلوقيون العاصمة إلى سلوقيا على نهر دجلة) فاستحقت أن تصبح مثلاً يضرب. وعن الطغيان في البلاد فحدث عن البابليين ولا حرج كما وصفوا هم أعمالهم في المسماريات بمن غلبوا من شعوب. وأما عن الفساد فقد تعجب منه هيرودوتس نفسه، الذي لف أغلب العالم القديم، إذ قال: كانت الفتاة عندهم (أي عند أهل بابل) إذا بلغت تحبس في معبد عشتار ولا تخرج منه حتى يثبت أنها أقامت علاقة جنسية غير شرعية مع أحد الأغراب!

أما الإعتقاد بأن إرم هي المدينة التي زعم أحد الأعراب لمعاوية بأنه دخلها عندما ضل له جمل في تيه أبين شرقي عدن وبأنها مليئة بالأحجار الكريمة وأعمدتها من الذهب فهو من الوهم الخالص؛ ولا يعدو أن يكون تلفيقاً أراد منه صاحبه التكسب من الخليفة الأموي. صحيح أن بابل ذكرت في القرآن بالإسم لكن هذا لا يمنع أن تكون تسمت باسم ثان أيضاً مثلما ذكرت مكة كبكة وأم القرى، ومثلما ذكرت المدينة المنورة تحت مسمى يثرب أيضاً. فذكر بابل بالاسم لا يناقض إعادة الإشارة إليها باسم «إرم ذات العماد»، والله أعلم!

ولئن اختفى اسم هود (ع) ردحاً من الزمان إلا أننا نراه يظهر مجدداً في اسم واحد

من أسباط بني اسرائيل وهو (ى ه و د ه) ابن سيدنا يعقوب (اسرائيل)، فالحرف الأول ليس ياءً بل ألف مقصورة لتسكين الحرف الأول برسم الجزم؛ كما أن الهاء الأخيرة ليست تاءً بل هاء السكن.

كما جاءت إشارات إلى اليهود في القرآن الكريم بلفظة هود نفسها:

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ﴾[1]

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ﴾[2].

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ﴾[3].

من أسباط بني اسرائيل وهو (ى ه و د ه) ابن سيدنا يعقوب (اسرائيل)، فالحرف الأول ليس ياءً بل ألف مقصورة لتسكين الحرف الأول برسم الجزم؛ كما أن الهاء الأخيرة ليست تاءً بل هاء السكن.

كما جاءت إشارات إلى اليهود في القرآن الكريم بلفظة هود نفسها:

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾[1]

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾[2].

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾[3].

(1) سورة البقرة، الآية: 111.

(2) سورة البقرة، الآية: 135.

(3) سورة البقرة: الآية: 140.

صالح (ع) وحجر اليمامة

نسبه

هو صالح بن قنان بن عرب قاسط أو جديس (ء ر ب ك ش د) بن سمّي ثمام (سام) بن نوح عليهم السلام[1].

أرضه

ذكرنا في فصل نوح بأن الفلك رست على جبل العارض باليمامة. لا أحد يعرف أصل تسمية اليمامة بذلك لكن قد تكون ليمامة نوح علاقة بالقرية التي على اسمها في هذا الإقليم من نجد. ولم يحدد القرآن مساكن ثمود، وإنما يظهر من قول الله تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أن مساكنهم كانت في مناطق جبلية أو في هضاب صخرية. عيّن بعض الرواة وادي القرى على أنه الوادي المذكور واستنتجوا أن قرية الحجر الواقعة 22 كيلاً شمال شرقي مدينة العلا (ديدان قديماً) هي المكان الذي كانت به ديار ثمود على اعتبار المنحوتات الجبلية البديعة الموجودة بقربها فأُطلق عليها بمرور الوقت تسمية « مدائن صالح»! لكن هذا المتحف المفتوح المكون من 131 مدفناً هو عائد إلى القرن الميلادي الأول وطراز الحضارة النبطية فيه متأثر بشكل واضح بالإسلوب الروماني، وهي ليست مساكن ولا تعود إلى الحقبة الثمودية التي هي أقدم ب 2500 سنة تقريباً.

وقد نقل الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في توضيح المشتبه عن البرزالي قوله: (ومدائن صالح التي بالقرب من العلا في طريق الحاج من الشام بلد إسلامي،

(1) سفر التكوين، الإصحاح 11، الجملة: 10 وما بعدها.

وصالح المنسوبة إليه من بني العباس بن عبد المطلب، وفيها قبور عليها نصائب تاريخها بعد الثلاثمئة هجرية)، فيبدو أن الأمر اشتبه على الناس مع تقادم الزمن وقلة العلوم فظنوا بأن صالح العباسي هو نبي الله صالح (ع). صحيح أن النبي (ص) نزل بالحجر مع أصحابه في غزوة تبوك ونهى أصحابه عن شرب مائها ودخول منازلها؛ لكنه لم يسم صالحاً أو ثمودَ بالإسم بل دعاها: ديار الذين ظلموا! فأين كانت ديار ثمود إذاً؟

بالقراءة الصحيحة[1] يتبين لنا أن نبي الله صالح (ع) كان من عرب جديس. ماذا نعرف عن مساكن جديس وهل تنطبق طبيعة أرضهم على الوصف القرآني لثمود قوم صالح ؟ يقول الهمداني[2] في كتابه النفيس «صفة الجزيرة» أن جديساً سكنت جوّ اليمامة (مستوطنة البنّة شمال شرقي قرية اليمامة على طريق الرياض الخرج) وقرية الحجر (الرياض اليوم) قبل بني حنيفة وعدّد بعضاً من قصورها ومنها «معتّق» و«الشموس»، وقصوراً كانت بالحجر، وذكر أن قرية بني سدوس كان فيها قصرٌ عظيم من الصخر؛ وبأنه كان من صخرة واحدة! و«جعدة» حصنٌ فيه قصر قديم، و«خضراء حجر» كان فيها قصور وأبنية مربعة مثل الصوامع مستطيلة وعالية جداً في السماء، و«الخضرمة» أيضاً فيها آثار قديمة كثيرة.

وقد وصف القرآن بلادهم على لسان صالح بسورة الأعراف:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3].

وأيضاً بسورة الشعراء:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[4].

(1) سفر التكوين، الإصحاح 11، الجملة: 11.
(2) صفة الجزيرة، الهمداني، ص: 254.
(3) سورة الأعراف، الآية: 74.
(4) سورة الشعراء، الآيات: 146 - 150.

فمساكنهم بالنص هي مساكن عاد التي بيّنا في حلقة هود أنها كانت في نجد أيضاً فهم استخلفوهم في ديار عاد الأولى نفسها. **فكيف يضع بعضهم عاداً في جنوب الجزيرة وثمود في شمالها؟**

وإني لأرى ههنا وصف الهمداني للقصور العديدة وخصوصاً المنحوت من صخرة واحدة بقرية بني سدوس ما يشابه الوصف الذي جاء بسورة الأعراف، وكذلك قصور «خضراء حجر» المتعالية الأسطوانية والمربعة ما يضاهي البيوت الفارهة الموصوفة بسورة الشعراء. وصالحٌ كان أربعة أجيال بعد نوح الذي كان باليمامة، وابنه كان غبر، وبنو غبر كانوا في وقت الهمداني ما زالوا باليمامة[1]، وكانت حوطة سدير معروفة باسم حائط بني غبر، فتكون اليمامة هي بلاد ثمود والله أعلم.

وجاء في سورة هود على لسان شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾[2] ولو كانت مدين شعيب بتبوك وصالح بالعلا لقال: وما قوم صالح منكم ببعيد، لكن كما سنرى فمدين ربما كانت شرق ترعة ثقيف والمؤتفكات قرى قوم لوط كانت ببلاد زهران وهي بالفعل الأقرب لهم مقارنة بالطائف بلد قوم نوح واليمامة بلاد عاد وثمود.

ناقة صالح و استئناس الجمل

هود وعاد أقدم من صالح وثمود بقليل، ولما منّ الله عليهم بالأرزاق قال:
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ۝ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ۝ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[3].

لم يفصّل ماهية الأنعام، ولفظة الناقة لم ترد في كل القرآن الكريم إلا بمعرض قصة صالح! فلربما لم يكن الجمل قد استئنس على أيام عاد الأولى. وما كان من حاجة لاختراع أسطورة لا تصدق حول حجمها وخروجها من الصخر، الإبل في ذاتها

(1) صفة الجزيرة، الهمداني، ص: 205.
(2) سورة هود، الآية: 89.
(3) سورة الشعراء، الآيات: 132 - 134.

فمساكنهم بالنص هي مساكن عاد التي بيّنا في حلقة هود أنها كانت في نجد أيضاً فهم استخلفوهم في ديار عاد الأولى نفسها. **فكيف يضع بعضهم عاداً في جنوب الجزيرة وثمود في شمالها؟**

وإني لأرى ههنا وصف الهمداني للقصور العديدة وخصوصاً المنحوت من صخرة واحدة بقرية بني سدوس ما يشابه الوصف الذي جاء بسورة الأعراف، وكذلك قصور «خضراء حجر» المتعالية الأسطوانية والمربعة ما يضاهي البيوت الفارهة الموصوفة بسورة الشعراء. وصالحٌ كان أربعة أجيال بعد نوح الذي كان باليمامة، وابنه كان غبر، وبنو غبر كانوا في وقت الهمداني ما زالوا باليمامة[1]، وكانت حوطة سدير معروفة باسم حائط بني غبر، فتكون اليمامة هي بلاد ثمود والله أعلم.

وجاء في سورة هود على لسان شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾[2] ولو كانت مدين شعيب بتبوك وصالح بالعلا لقال: وما قوم صالح منكم ببعيد، لكن كما سنرى فمدين ربما كانت شرق ترعة ثقيف والمؤتفكات قرى قوم لوط كانت ببلاد زهران وهي بالفعل الأقرب لهم مقارنة بالطائف بلد قوم نوح واليمامة بلاد عاد وثمود.

ناقة صالح و استئناس الجمل

هود وعاد أقدم من صالح وثمود بقليل، ولما منّ الله عليهم بالأرزاق قال:

﴿وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ۝ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ۝ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[3].

لم يفصّل ماهية الأنعام، ولفظة الناقة لم ترد في كل القرآن الكريم إلا بمعرض قصة صالح! فلربما لم يكن الجمل قد استئنس على أيام عاد الأولى. وما كان من حاجة لاختراع أسطورة لا تصدق حول حجمها وخروجها من الصخر، الإبل في ذاتها

(1) صفة الجزيرة، الهمداني، ص: 205.
(2) سورة هود، الآية: 89.
(3) سورة الشعراء، الآيات: 132 - 134.

من أعاجيب خلق الله، والإشارة إلى كمية المياه التي تستهلكها نسبة إلى بقية الماشية دليل على أن الأمر كان جديداً على الناس لأن الجمل لم يكن مألوفاً ببيئة ثمود، وفي ذلك إشارة إلى بداية استئناسه في النصف الثاني من الألفية الثالثة قبل الميلاد.

من بين كل الحيوانات التي ابتدعها الخالق اختار الإبل للدلالة على الإعجاز في الخلق. فمن القدرة الفائقة للأمعاء على تخزين الأكل والماء إلى القدرة المدهشة للكلى على إعادة استخراج الماء قبل مرحلة البول، إلى الأهداب التي تمكّن من الرؤية وسط العواصف الرملية، إلى الخف القادر على التنقل على الكثبان الرملية المتجمرة! ومن اللسان القادر على تحمل الأشواك التي يستسيغها إلى البوصلة الداخلية التي تحوله وهو متوقف بحيث تكون المساحة المقابلة من جسمه للشمس في الحدود الدنيا لتقليل كمية التبخر عبر الجلد، وأخيراً وليس آخراً قدرته على امتصاص الحرارة داخلياً بعيداً عن جلده بحيث يستطيع رفع حرارة دمه أكثر من خمس درجات مئوية قبل أن يبدأ جلده بالتعرق وذلك توفيراً للمياه داخل جسمه! فسبحان الله.

هذا الحيوان العجيب صديق العرب عبر تاريخهم الطويل لا شك قد تم استئناسه في بلادهم؛ فأصبح مرافقاً لهم ومكنهم من غزو الفيافي والقفار ومن فتح الجزيرة على العالم الخارجي، وجلب لهم الإزدهار عبر طرق البخور التي ابتدعوها لمدّ تجارتهم ومباعدة أسفارهم، والجدير ذكره أن بيئة نجد كانت هي الأنسب لتربية الإبل في كل الشرق الأوسط، وظلت تمد الدولة العثمانية بألفين من الجِمال التي تحتاجها الهجانة كل عام حتى الحرب العالمية الأولى.

نهاية الكفرة من قوم صالح

كانت الناقة فتنة لهم لامتحان صبرهم، فلما عقروها تحدياً لأمر الله حقّ عليهم العذاب فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. صحيح أن المفسدين كانوا تسعة كما ذكر القرآن[1] لكن الدمار شملهم وشمل كل المدينة؛ فالفتن لا تصيب الذين ظلموا خاصة!

(1) سورة النمل، الآيات: 48 - 52.

ذرية صالح

ورد بصحف إبراهيم[1] أن صالحاً ولد (ع ب ر) الذي هو غبر أبو الغبريين أو بني غبر وليس العبريين!

وغبر ولد (ف ل ج) أي فالج

وفالج ولد راعي

وراعي ولد (س ر و ج) الذي ممكن أن يقرأ سراج

وسراج ولد نحور

ونحور ولد (ت ر ح) وهو طريح (والإسم القرآني آزر)

وطريح ولد: أبرم (الاسم القديم لإبراهيم عليه السلام)، ونحور، و: (ح ر ن).

ومولد إبراهيم (ع) كان ب: (ء و ر ك ش د ى م) بحسب النص الغبري للتوراة (حاير القاسطيين/ الجديسيين) و: ء و ر الكالديين / الخالديين بحسب النص اليوناني للتوراة (حاير الخالديين) والحاير لغة هو البركة. وكما أوردنا فقد ذكر المسعودي أن بني خالد حيٌّ من جديس! وابن خلدون قال بأن بني خالد كانوا رهط نبي الله هود (ع)! فيبدو أن خير البرية وخليل الله ولد في ديارهم باليمامة.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 11، الجملة 14.

آرام التوراة لم تكن سوريا

تكلمنا في فصلي عاد وثمود عن أرض الإرميين وأنها كانت باليمامة، وكلمة (ء رم) بلغة التوراة تعني العلو وهو النجد، فآرام هي نجد موطن الآراميين الأوائل الذين دخلوا منها إلى أرض السواد وأسسوا الدولة البابلية الأولى والثانية. والمعروف بأن هذا الشعب كما الأكادي والأثوري من الشعوب السامية التي أتت من الجزيرة العربية التي هي بإجماع المؤرخين مهد السامية. وذكرنا بفصل نوح (ع) أن سمياً تماماً (سام) كان باليمامة من يوم حطت الفلك على جبل العارض - طويق قرب بطن أراط الذي هو اليوم غرب عودة سدير، وبأن من طويق يخرج درب الجودي من قرب الدرعية متوجهاً إلى المنطقة الشرقية.

وتقول التوراة[1] وما بعدها أن الذي خرج فأسس بابل (الأولى) كان من كوش (الغوث) بن حميّ حامي/حام؛ وأن ديارهم كانت بشنعار التي تعني شعار عسير، فمن نجد عسير خرج الآراميون الأوائل الذي هناك إجماع على أصلهم السامي، وأن الجزيرة العربية هي مهد السامية. كذلك مؤسسو دولة أثور (هكذا يلفظها أهلها بدل أشور) أتوا من المنطقة نفسها وهي القريبة من الفاو التي كان بها بنو ثور ملوك كندة الأوائل. والفاو هي كاهل التي قد تكون كالح نفسها[2] والتي أنشأها بنو ثور بعد نينوى العراقية. وكاهل أيضاً هو اسم أكبر آلهة كندة ومذحج التي هي من مراد (لا نمرود) ابن الغوث الذي خرج من أرض نجد شعار نفسها بحسب النص نفسه.

(1) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 8 وما بعدها.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 11.

وهناك مناطق كثيرة ارتبطت بآرام وهي نجد وفسرت خطأً على أنها ببلاد الرافدين:

1. **آرام نهرٍ** ليست بلاد الرافدين بل وادي الدواسر؛ وفيه مدينة الفاو/كاهل حيث مملكة كندة الأولى، وفيه كدمة وفيه قديمة عقيل عامر المذكورة بسفر التكوين على أن يعقوب توجه إليها بهجرته المؤقتة لعند خاله لبن بخيران[1].
2. **فدن/بطن آرام** واعتبرت جزءاً أو طرفاً من الأولى، فجعلوها بتركيا وأسموها حرّان بشرق الأناضول وهي بالحقيقة خيران قرب السليل في منطقة وادي الدواسر. في هذه المنطقة توقف والد إبراهيم (ع) بهجرته من اليمامة؛ ومنها أمر الله خليله بالتوجه إلى الأرض المباركة مكة لرفع قواعد البيت العتيق والأذان للناس بالحج إليه. كانت الطريق تمر عبر وادي الدواسر بمحاذاة جبل طويق وصولاً إلى السليل فرنية فحرة البقوم فتربة فالطائف فمكة؛ وكانت الوحيدة بين شرق الجزيرة وغربها في نصفها الجنوبي؛ وأصبحت درب التجارة والبخور فيما بعد. ونَجِد بقصة يعقوب (ع) أنه توجه عبر أراضي بني قديم وهم من ذرية إسماعيل، وفي عودته مع قطعانه استغرق 11 يوماً حتى قطع المسافة إلى جبل جلعاد وهو حرة المناصف شمال رنية اليوم. طول المسافة بين خيران ورنية هي 325 كلم تقريباً فتكون مدة 7 أيام كافية لكي يدركه خاله لَبَنْ فيها بعد مطاردته. وبعد اتفاقه مع خاله أن يكون جبل جلدان/المناصف الشاهد على تصافيهما نجده يخشى مواجهة أخيه العيص (ع ش و) ولقبه (ء د و م)عدّان (عدنان) الذي كان يسكن بسراة الحجر. ونرى فيما بعد أن ظنّه كان بمحله إذ قطع أخوه عليه الطريق بعد اجتيازه مخاضة البقوم أي وادي تربة، وكانت هناك مصالحة شكلية بينهما قبل أن يكمل إلى مظللة بنجد الطائف حيث استراح.
3. **آرام ضبة** وهي التي ظهر اسمها بحروب داود مع ملكها الودّ عزر؛ وكانت ربما بالفاو لأنها من اسم الملك كانت تتعبد للإله ود وهو كاهل نفسه الاسم الآخر للفاو. امتد طموح داود (ع) لمد سلطانه إلى «النهر» الذي هو وادي الدواسر الذي يصل إلى أطراف مملكته عند تثليث، فانتصر عليه داود واحتل

(1) سفر التكوين، الإصحاح 29، الجملة: 1.

مدنه وصادر النحاس الكثير منها. ونرى في سفر الملوك سليمان يبني تمرة بالبر (شرق السليّل) ربما لحماية ثغور مملكته الشرقية، وهي التي ترجموها بتعسف إلى «تدمر الصحراء» لمجرد ذكر ذلك في بيت شعر للنابغة الذبياني!

والجدير ذكره عند كتابة اسم «إدّ» التالي: (ه د د) بالجزم قُرِأت إدّ والودّ (اسم الإله) وهدد أو هدّاد وأدد ببعض المصادر، وحداد بأخرى، وربما نكتشف يوماً بأنه قد يكون الأزد أيضاً لأن اثنين من ملوك السراة حيث بلاد الأزد كان اسمهما (ه د د)، فكأن (ه د د) هنا نزلت على سبعة أحرف لتخدم 7 لهجات وكلها قد تكون صحيحة!

4. آرام بيت رحاب هي ربما رحبة من بلاد عذرة قرب جبل حضن.

5. آرام (ج ش ور) هي نجد قشير، وهي بلد قشير بن كعب بن صعصعة من هوازن.

6. آرام (م ع ك ة) هي ربما مكعت أو قمعة بالإقلاب؛ بنجد بلجرشي.

7. آرام دمشق وهي ليست العاصمة السورية المعروفة ببلاد الشام فهذه كانت تعرف عند العرب باسم جلق؛ أما دمشق فاسم توراتي تم إسقاطه على المدينة الشامية بالعصر اليوناني ولم تذكر بمدونات هيرودوتس التي لف كل سوريا والعراق وبلاد القبط. أما الدماشقة الأصليون فما تزال بقايا منهم بين شدادي بنيوس تعرف بالبدوة وأصلهم من الأزد الكهلانيين من مأرب من أرض مذحج، وعبيدة وادي أبراد في الشمال الشرقي من مدينة مأرب، وهم أيضاً من مذحج. وكان ورد بالتوراة بسفر التكوين 10 أن مراد (مذحج) كبير صياد كان ابتداء مملكته بشعار (عسير) ومنه كان كهلان أبو الأزد وأراشة التي منها عسير عنز. وكانت نجران فيما مضى تتوسط ديار مذحج وتشكل حصنها الحصين؛ فمن الممكن أن تكون هي دمشق التوراة.

أول ذكر لدمشق بالتوراة نجده بعصر إبراهيم (ع) وحرب ملوك بسراة الحجاز[1]، ومن ثم نعرف أنها بلد العازِر مولى الخليل. ولا نعود نسمع عنها حتى زمن نبي الله

(1) سفر التكوين، الإصحاح 14: الجملة: 15.

الملك داود (ع) وأنه أخضع دمشق لملكه[1]. ولاحقاً أنه ثار رزان ابن الأيادي الإرمي على الود عزر ملك ضبة (حاكم الفاو/كاهل) ثم جمع جيشاً واحتل دمشق (نجران)، وفي أيام سليمان (ع) عادى رزان بني إسرائيل[2] وبدأت حرب الاستقلال الآرامية. وبأيام (ب ن ه د د) (بن حداد) صار الدماشقة قوة يحسب لها حساب وخاف منهم بنو إسرائيل بالحجاز. وبأيام حزائيل (هذال) أعظم ملوكهم الذي عاصر النبيين إلياس واليسع (ع) قام الدماشقة باحتلال جلدان تثليث وبيشة حتى وادي رنية؛ بعد أن هادنوا المحتل الأثوري الطامع من الشمال، وقد دام حكم هذال 46 سنة من 886 - 840 ق.م. وخلفه ابنه (بن حداد).

صعدت أثور ببلاد الرافدين وأسقطت بابل وغزا تغلاث بلاسر (دجلة بلا إسر) الجزيرة العربية من شرقها ثم نزولاً عبر وادي الدواسر واحتل نجران الدماشقة في 734 ق. م.

وبعيداً عن تقسيمات قحطان وعدنان أشدّد على نسب مذحج الأقدم بغرب الجزيرة، فقد بدأ في وقت مبكر بعد الطوفان، وأبكر بكثير من وصول قطن بن غُبر إلى اليمن والذي كان قبل وصول الخليل إلى الحجاز بخمسة أجيال. وربما يوجد رابط تسلسلي بين الأب الجاهلي أراشة بن مراد (بن كوش/غوث بن حام) وبعده بزمن طويل: أراشة بن عنز بن وائل بن قاسط بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد العدناني، ذاك أن أسماء الجدود تتوالى في العشائر نفسها. ولنتذكر توجه أبناء نزار إلى أفعى نجران لاستشارته بوصية أبيهم؛ ذاك أن ديارهم كانت قريبة من أرضه دون شك.

8. رمث جلدان أو رمث المصفى: وهي موقع قريب من حرة المناصف، واليوم نجد بشمال شرقي المنطقة محمية بسم أم الرمث! إنها الذاكرة الشعبية التي تحفظ الأسماء. والبلدة الرئيسية بالمنطقة هناك هي الخرمة؛ وكانت المنطقة وصفت بأنها بالأطراف الشمالية الشرقية لمملكة داود وسليمان (ع).

(1) سفر سمؤال 2، الإصحاح 8، الجمل: 5 - 6.

(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 11، الجمل: 23 - 25.

9. حما/ حمى ضبة، حمى/حماطة وهي منطقة معروفة بآبارها وآثارها، وهي في منطقة تقع 130 كيلاً شمال نجران في منطقة متوسطة على الطريق إلى الفاو. وقد ورد[1] أن ملكها طي أبو عرم كانت له حروب مع الود عزر ملك ضبة حاكم الفاو/كاهل على الأرجح، ولذلك صار صديقاً لنبي الله داود الذي هزم الود عزر واحتل أرضه.

فآرام هي نجد، واللغة الإرمية أو الآرامية هي اللغة العربية بلهجة شرق الجزيرة. وعندما تفيد النصوص بالعهد القديم[2] ما فحواه أن إبراهيم (ع) وبني إسرائيل من بعده تكلموا «شفة كنعان» فمعناها أنهم باتوا يتكلمون بلهجة غرب الجزيرة (لهجة كنانة) فهو أمر بسيط كالفرق بين قراءة حفص التميمية وقراءة ورش الليثية الكنانية. أما ما روي من الأحاديث النبوية عن أن إسماعيل (ع) كان أول من تكلم بالعربية المبينة فالقصد اللغة الفصحى التي أخذها عن أهل الجنوب لأنه نشأ ببرية فروان بتهامة قرب وادي قنا؛ بعد أن غادر وأمه مكة عند بلوغه الـ 14من عمره. واللغات الإرمية من بابلية وأثورية التي هي سامية باعتراف الجميع ما هي إلا لهجات عروبية، وكذلك اللهجة السريانية لغة أهل الجزيرة الفراتية التي اعتبرت ابنة شرعية للغة الإرمية أي فرعاً من فرع. كل هذه اللهجات دوّنت كما كانت تلفظ ولم تكن هناك لغة مبينة أي فصحى نمطية كلغة القرآن الكريم لتجمع كل هذه الشعوب، فتطور كل منها باتجاه، ولنا في لهجة أهل مالطا العربية مثال حي. والآن نجد من ينظر في غريب القرآن باحثاً عن أصول محتملة لكلمات مأخوذة من لغات غريبة؛ بينما الحديث أنه نزل على سبعة أحرف واضح لجهة أن كل هذه لهجات استوعبتها اللغة الأم؛ والتي وصفت في عشر آيات بأنها «عربية» مبينة، فليس بعد كلام الله إضافة أو تسميات.

(1) سفر السموأل 2، الإصحاح 8، الجملة: 9.

(2) سفر أشعيا، الإصحاح 19، الجملة: 18.

إبراهيم (ع) وآله في جزيرة العرب

هذه الحلقة من أهم الحلقات، ليس لأنها تغطي فترة تاريخية طويلة نسبياً بل لأنها تؤسس لما بعدها، فسيدنا إبراهيم أبو الأنبياء هو الأب ليس لهذه الأمة فقط بل لجميع الديانات السماوية التي تؤمن بالله الواحد واليوم الآخر والعمل الصالح وقد مدحه الله وسماه أمة قائمة واتخذه خليلاً له في وقت لم يكن هناك من مسلمين في الأرض:

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[1].

إبراهيم العبري؛ الآرامي التائه (البدوي المترحل من نجد)

كيف ارتبط اسم إبراهيم (ع) بالعبرانيين وبالآراميين؟

رأينا في فصل صالح (ع) أن غبر بن صالح كان الجد السادس للخليل وأن بني غبر كانوا باليمامة بين وادي صلبوخ وحائط بني غبر (حوطة سدير اليوم) حتى أيام الهمداني (صاحب كتاب صفة الجزيرة)، وهذه هي أيضاً تقارب ديار جديس وديار بني خالد المعروفة! وتقول التوراة الغبرية بأن إبراهيم (ع) ولد في حاير (بركة) القاسطيين/الجديسيين بينما الترجمة اليونانية تقول أنه ولد في حاير الخالديين! ووادي الحاير الآن بأطراف الرياض الشمالية الشرقية ليس بعيداً عن وادي صلبوخ حيث كان الغبرة /بنو غابر فضلاً عن قرية الحائر الواقعة شمال حوطة سدير الذي

(1) سورة الحج، الآية: 78.

كان اسمها حائط بني غبر على أيام الهمداني[1]، ثم نعلم أنه انتقل مع أبيه[2] من اليمامة إلى خيران قرب السليل بوادي الدواسر.

هل سُكِن وادي الدواسر بالزمن القديم؟ بالتأكيد؛ فنحن نعلم من موقع الفاو القريب عن وجود أطلال حضارة وركامات أثرية هامة جداً. ويبدو أن المنطقة برزت كمركز تجاري لوقوعها على طريق التجارة الوحيد بين اليمن والمنطقة الشرقية للجزيرة العربية وصولاً إلى بلاد الرافدين.

كانت تنقلات هذه المجموعات وهجراتها تتم على ظهور الإبل التي تكرر ذكرها بالنصوص التوراتية التي يعود زمن قصصها إلى بداية الألفية 2 ق. م؛ فقد جاء في قصة البحث عن زوجة لإسحاق[3]: واختار العبد عشرة جمال وحَمّلها من جميع خيرات مولاه التي في يده، وقام وانطلق إلى مدينة نحور (أخي إبراهيم). وهناك أناخ الجمال خارج المدينة عند بئر الماء وقت المساء، في موعد خروج المستقيات من النساء. وجاء في قصة يعقوب، عن سرقة رخل (راحيل) زوجة يعقوب لأصنام أبيها: فدخل لبن خيمة كل من يعقوب ولية والجاريتين فلم يجد شيئاً، ثم خرج من خباء لية ودلف إلى خيمة رخل، وكانت رخل قد أخذت الأصنام وأخفتها **برحل الجمل** وجلست عليها، فبحث بكل الخيمة دون أن يعثر على شيء[4].

الجدير ذكره هنا أن البروفسور الأمريكي وليم البرايت - عالم أثريات الفترة التوراتية الشهير- قد عاين أغلب المواقع على طرق القوافل بين بلاد القبط وفلسطين وسوريا والعراق في منتصف القرن العشرين[5]، ومنها مدونات ملوك ماري (Mari) المدينة الواقعة على الفرات والتي كانت على الطريق الرئيسية ما بين شمال العراق وشمال سوريا للفترة ما بين 2500 إلى 1400 ق. م. فلم يجد أي أثر لاستعمال الجمال؛ وهي المنطقة المفروض أن تقع فيها فدان آرام بحسب المفهوم التقليدي لجغرافيي التوراة.

(1) صفة الجزيرة، الهمداني، ص: 255.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 11، الجملة: 32.
(3) سفر التكوين، الإصحاح 24، الجمل: 10 - 11.
(4) سفر التكوين 31، الجمل: 33 - 34.
(5) The Camel and the wheel, Richard W. Bulliet.

ولا يبدأ ظهور أي ذكر للجمل في المدونات المسمارية لبلاد الرافدين حتى ندخل في الألف الأولى قبل الميلاد إبان الحقبة الأثورية (الأشورية). فقد ذكر في مدونات فترة الملك Tukulti – Ninurta الثاني (890 - 884 ق. م.) أنه تلقى 30 جملاً من جملة ما تلقاه كجزية من مدينة هندانو. وفي مدونات سلام النصر (شلمنصر) الثالث 858 - 824 ق. م. أن من جملة من حاربهم في معركة قرقر جندب العربي الذي كان على رأس ألف من الهجّانة. وكان الجمل من أهم غنائم تغلاث بلاسر (745 - 727 ق.م) من الملكة العربية شمسة، وفي الجزية السنوية التي دفعها حزائيل (الملك العربي النجدي هذال) لأسرحدون الأشوري (680 - 669 ق. م). ثم إن الجمل لم يصبح مستعملاً من قبل الأثوريين أنفسهم حتى عهد سرجون الثاني (721 - 705 ق. م.) وكان ذلك لحمل العتاد للجيش الأثوري فقط. ولعل استعماله في العراق لم يصبح شائعاً إلا بعد سيطرة الكلدانيين (الخلدان) على الوضع في بلاد الرافدين.

أما في بلاد الشام فالأثر الملموس الأول في استعمال الجمل كحيوان للركوب كان في عملة معدنية رومانية عائدة إلى ما بين الأعوام 58 و54 ق. م. لأنها ضربت بمناسبة استسلام (Aretas) أي الحارثة ملك الأنباط، الذي حكم البتراء في الأردن، وعلى أحد الوجهين صورة جمل وعليه سرج ركوب. ولم توجد عظام جمال عائدة إلى حقبات قديمة لا في سوريا ولا في لبنان ولا في فلسطين ولا في بلاد القبط كما أكد الدكتور ألبرايت.

هذا الأمر هو في غاية الأهمية لأنه فيما خص فلسطين يرمي شكوكاً حول مصداقية ثابتة أن الآباء العبرانيين الأوائل قدموا إلى هذه البلاد وعاشوا فيها. وعلى ذمة المنقبين الأثريين بفترة الانتداب البريطاني على فلسطين الذين عملوا بمدينة الخليل في موقع ما كان يجب أن يكون مغارة (المكفيلة) التي دفن فيها كل من سارة وإبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام؛ لم يجدوا سوى خزان مجصص لتخزين مياه الشتاء! ولا يمكن أبداً أن يشكل ولو مدفناً عادياً، فكيف بمدفن يليق بأنبياء! وهذا هو ما بني فوقه الحرم الإبراهيمي الحالي، علماً بأن التاريخ التعريفي لهذا الموقع وبناء أول قبة فوقه كان على عهد هيرودس الكبير، الملك الأدومي، وذلك قبيل الميلاد ببضعة عشر عاماً فقط.

وهنا يجب التذكير بأن الإرميين الأوائل دخلوا العراق من نجد عبر البادية ولم تكن نقطة إنطلاقهم قط من الحواضر الشامية. وقد تم هذا الدخول بعد عصر إبراهيم (ع)، وليس هناك من دليل مادي على وجودهم في غرب سوريا إبان الدولة الأكادية في العراق أي في نهايات الألف الثالثة.

آلهة قوم إبراهيم (ع)

التفاصيل في القرآن الكريم عن آلهة قوم إبراهيم لا نجدها في أي مصدر آخر، فنراه يراجع نفسه ويتأمل في شأنها:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ۝ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

في هذه الآيات إشارات واضحة إلى عبادة الثالوث الكوكبي المتمثل بسين (القمر) وذات حميم (الشمس) وعثتر (الزهرة)، وهي العبادات التي كانت معروفة في الجزيرة العربية.

أما في بلاد ما بين النهرين، وهي التي لم يكن إبراهيم (ع) قد عاش فيها،فقد كانت ديانة الأكاديين (المعاصرين لإبراهيم والقادمين من الجزيرة العربية) متأثرة إلى حد بعيد بديانة السومريين وهم سكان بلاد الرافدين القدماء. وكان في هيكل آلهتهم الكثير منها ولكن في الطليعة نرى أنه برز (Anu) ملك الآلهة و(Enlil) ملك الهواء و(Enki) إلهة الحكمة، وتبعتهم بعد ذلك نعمة (Nimah) أم الحياة و(Damuzi) أو تموز الملك الراعي وكذلك (Ninurta) إله الحرب. صحيح أنهم عرفوا (Nanna) القمر و(Utu) الشمس و(Inanna) الزهرة لكن الظاهر أن

(1) سورة الأنعام، الآيات: 75 - 79.

عبادة هذه الثلاث الأخيرة قد دخلت إليهم بتأثير من الموجات السامية التي كانت الجزيرة العربية تبثها فترة بعد أخرى.

ومن الممكن أن تحطيم الخليل للأصنام ثم معجزة تخليصه من النار كانت بالفاو قصبة وادي الدواسر بالعصر القديم، وربما نكتشف في يوم من الأيام المعبد الذي كان مركز العبادة في تلك المنطقة. المهم أن إبراهيم (ع) امتثل لأمر ربه ونزح عن خيران (ح ر ن) إلى الأرض المقدسة، وكان يومذاك يتكلم اللهجة الآرامية شأنه شأن أسلافه النجديين، بل وسمّى أول أبنائه باسم آرامي هو إسماعيل و معناه: سماع الله أي استجابته. ثم تقول الآيات:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[1] فأين كانت هذه الأرض؟

إبراهيم الخليل ومكة المكرمة

المعروف عند المسلمين أن إبراهيم الخليل (ع) أعاد بناء الكعبة المشرفة التي كانت قد أنشئت في وقت مبكر جداً من نشوء الانسانية:

إن أول بيت وضع للذي ببكة مباركاً، فيه آيات مباركات: فيه مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً.

وموقع الكعبة التي هي قبلة المسلمين مهم جداً، وهناك اعتقاد بأنها كانت منذ عهد آدم، وعند حدوث طوفان نوح ضاعت معالم البيت تحت الكثبان الرملية، وكانت الناس تعرف بوجود البيت في الوادي دون الاهتداء إلى مكانه، ولذلك جاء على لسان إبراهيم عند تركه هاجر والطفل إسماعيل في وادي مكة:

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾[2].

قال عند بيتك المحرَم مع أنه وقتذاك كان البيت ما زال مطموراً تحت الكثبان الرملية، ولكن الله ألهمه لإيجاد موقعه:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾[3].

(1) سورة الأنبياء، الآية: 71.
(2) سورة إبراهيم، الآية: 37.
(3) سورة الحج، الآية: 26.

﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾[1].

التطهير هنا من الرمول التي تغطيه من وقت طوفان نوح (ع).

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

أسماء مكة[3]:[4] وعددها 56: العروش،السيل، مخرج صدق،البيّنة، المعاذ، أم زحم، أم القرى، أم صبح، البلد، البلدة، البلد الأمين، البلد الحرام، الرتاج، الناشر، حرم الله تعالى، بلد الله تعالى، فاران، الباسّه، النّاسه، طيّبة، القادس، المقدسة، قرية النمل، نقرة الغراب، قرية الحمس، الصلاح، الحاطمة، الكوثى، السبوحة، السلام، العذراء، النادرة، الوادي، الحرم، النجر، القرية، بكة، مكة، العرش، العُرش، العُرُش، العروش، الحرمة، العريش، ترّه، الساق، البيت العتيق، الرأس، القادسية، المسجد الحرام، المعطشة، المكنّان، النامية، أم روح، أم رحمان، أم كوثى.

ونعود إلى النص التوراتي الذي يقول بأن إبراهيم وصل إلى أرض مر ووجد فيها قوماً من كنانة[5].

وكنانة هي من (كنعان) بن حُميّ (حام) ابن نوح وأنجب أولاداً تحدر منهم أبناء: سعد، حوت، الباسيون (الباسة مكة)، العمريون، القرقاشيون، الحافيون، ذوو عرق، السايينيون، العراديون، السمرة والحماتيون؛ وهذه قبائل كانت وما زال بعضها معروفاً في الحجاز ولا وجود لها بفلسطين لا قديماً ولاحديثاً!

وبعيد وصوله وفي موقع اسمه شكم[6] (قرب حوية الطائف) بنى مذبحاً لله بعد أن ظهر له، ثم لاحقاً نصب خيامه بين بيت ايل (الجعرانة) غرباً والعيّ (عيفان) شرقاً حيث بنى هناك مقاماً آخر.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 125.

(2) سورة البقرة، الآية: 127.

(3) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الفاسي.

(4) الإعلام بأعلام البلد الحرام، النهرواني.

(5) سفر التكوين، الإصحاح 12، الجملة: 6.

(6) سفر التكوين، الإصحاح 12، الجملة: 6.

﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾[1].

فنستنتج بأن إبراهيم ولوط وأتباعهما انطلقوا من وادي الدواسر إلى أرض صفتها مباركة؛ فلا بد أنهم توجهوا إلى مكة لأنه لا علم لنا بأرض مقدسة سواها وإلا لكان الله أعلمنا بذلك في كتبه وعبر رسله؛ وهي ينطبق عليها وصف «باركنا فيها» فأول منازل الحجاز للقادم من نجد على طريق القوافل هو مرّ الظهران ولعل المذبح الذي أقامه كان قرب قرن المنازل التي صارت ميقاتاً لأهل نجد فيما بعد.

ثم تورد التوراة أن إبراهيم ارتحل لاحقاً مع جماعته إلى (ن ج ب ه) ومعناها الجناب وهي ترمز إلى إقليم جنوب الطائف. ثم كان رغبٌ (قحط عام) فانتقل إلى مصرٍ.

أول ذكر للجمل

ولما اقترب أبرام (هكذا كان إسم إبراهيم بداية) من مصرٍ[2] (ربما مطرة بالحبشة وصارت بآثارها الهامة داخل أريتريا بعد التقسيم) استرعى جمال ساراي (هكذا كان إسم سارة بداية) أنظار المصريين. وشاهدها أيضاً رؤساء فرعون وأشادوا بها أمامه؛ فأُخذت إلى بيته. وأُحسِنَ إلى أبرم بسببها كما أُجزِلَ له العطاء من الغنم والبقر والحمير والعبيد والإماء والإتن والجمال.

كما ورد ذكر الجمل في العرض القرآني لقصة سيدنا يوسف (ع) في أكثر من موضع، وهو من جيل الآباء الأوائل (Patriarchs) أي ابراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ۞ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۞ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾[3].

(1) سورة الأنبياء، الآية: 71.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 12، الجملة: 14 وما بعدها.
(3) سورة يوسف، الآيات: 69 - 72.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾[1].

لقد زرت وزار غيري معابد بلاد النيل وتأملنا روعة الجداريات الملیئة بشتى التصاوير للحيوانات والطيور فلم نر رسماً واحداً لجمل لا في منطقة ممفيس العاصمة الشمالية (للمملكة القديمة) ولا في المنطقة الوسطى في معابد الكرنك (عاصمة المملكة الوسطى والمملكة الجديدة) ولا في المعابد الجنوبية في أبي سمبل وفيلة!

تساؤلات إضافية حول مصر

وحتى العصر الجاهلي وبدء الدعوة كانت مصر تسمى بلاد القبط. والنبي محمد (اللهم صلّ عليه)عندما راسل الأقباط في بداية دعوته أرسل اليهم كتاباً لم تذكر فيه كلمة مصر أو المصريين:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم **القبط** سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم كل القبط. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أولياء من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» (محمد رسول الله).

وعاد المرسل ومعه هدايا منها القباطي وجاريتان قبطيتان هما ماريا وشيرين، ولم نسمع أحداً سمّى أم إبراهيم بالمصرية؛ فلقبها كان دائماً «القبطية». وسيتبع في فصل مستقل من الكتاب حيثيات أن مصر التوراتية كانت مملكة بالحبشة لا غير!

عندما نأتي إلى التاريخ المدوّن نجد أن الملك الفارسي قمبيز - من الأسرة الأخمينية - تمكن في العام 525 ق. م. من احتلال مصر معتمداً في عبوره لصحراء سيناء على مساعدة الأعراب الذين حملوا له قِرَب الماء على جمالهم، وظل حتى اللحظة الأخيرة غير متحقق من إمكانية النجاح في الوصول إلى أرض الكنانة. فقبله لم يسبق لأي جيش أمبراطوري أن اجتاز صحراء سيناء. وعلى ذمة هيرودوتس فلولا

(1) سورة يوسف، الآية: 94.

خيانة الوزير المصري فانس الذي أطلع قمبيز على ضعف البلاد الداخلي ودله على عوراتها لما تمكن من الاستيلاء عليها. أما من زعم بأن نبوخذ نصر الكلداني قد دخل إلى مصر ودمر العاصمة طيبة (الأقصر) فقد اعتمد فقط على رواية العهد القديم الذي لم يعطنا بالطبع إحداثيات المواقع الجغرافية لغزوات نبوخذ نصر. وليس هناك ما يؤكد ذلك في المدونات النيلية القبطية. وليس من المنطقي لمن وُفِّقَ في دخول مصر - جوهرة العالم القديم - أن يدمرها وينسحب منها!

كما أننا لا نستطيع التحقق من غزو الأثوريين لبلاد القبط بالاعتماد حصراً على ما ذكرته المدونات المسمارية بكلمة واحدة فقط بآخر لائحة طويلة عريضة من المدن التي أدبها سرجون الثاني (724 - 705 ق. م.) وأخذ منها الجزية. فقد جاء أنه بالسنة السابعة لحكمه (أي سنة 715 ق. م.) أدّب تمودي وأباديدي ومرسماني وخيبة وهزمهم. ثم يذكر بعد هذا الخبر أنه تلقى الجزية من شمسة ملكة أريبي ومن برعو ملك مصري ومن بتع (تبّع) أمير السبئي. وذكر أن الجزية كانت من الذهب وحاصلات الجبل والحجارة الكريمة والعاج وأنواع البذور والخيل والإبل!

وذِكر الإبل هنا إثبات بأن «مصري» لم تكن بلاد القبط التي لم يدخلها الجمل قط قبل قمبيز ولا أصبح الجمل مستعملاً فيها بشكل عادي قبل العصر الروماني. كذلك الأمر بالنسبة إلى العاج والذهب وهما من حاصلات إفريقيا.

عودة الخليل إلى الحجاز

ثم تورد التوراة أن إبراهيم (ع) عاد من مصرٍ إلى الجناب حيث افترق عن لوط بحيث سكن إبراهيم في أرض كنانة؛ ربما بمنطقة ربوع العين بأعلى وادي العرج من محافظة أضم بتهامة جنوب مكة اليوم، بينما سكن لوط على المقلب الآخر من السراة ما بين سيدان بني سيد وعامر من بلاد زهران.

وعلى مقربة شمالاً وقف الخليل[1] على جبل إبراهيم (بثرة) حيث أراه الله دائرياً الأراضي التي كتبها لتكون له ولذريته: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[2].

(1) سفر التكوين، الإصحاح 13، الجملة: 14.

(2) سورة المائدة، الآية: 21.

ووقعت حرب بين حلف عسيري (شعار، الجوئيين، السر، وعيلان) وحلف حجازي زهراني (من سيدان بني سيد وعامر وأديمة وظبيان قرن ظبي وصغرة بني حسن) كان الظفر فيه حليف العسيريين، فسبى المنتصرون فيه كل من وجدوه في طريقهم وبينهم لوط. وهبّ إبراهيم لنجدة لوط وتعقب المهاجمين واستطاع أن يسترجعه منهم، وفي عودته تلقى تهنئة من ملك صالح على دين الأنبياء الأوائل (نوح، هود، صالح) لقبه ملك الصدق وكان حاكماً لسليم من زهران.

ولو أن منازل إبراهيم ولوط كانت ما بين ما يسمى اليوم بصحراء النقب والخليل والبحر الميت لوجب أن تقع قرى المؤتفكة على طريق القوافل لكنها بعيدة عنها، ولا يستطيع الواقف بالقرب من الخليل أن يراها. فكل هذه العوامل بالإضافة إلى عدم وجود الجمال بفلسطين في تلك الحقبة يجعل من الصعب قبول الجغرافيا التقليدية المعطاة للأماكن الواردة بالعهد القديم.

ثم كانت قصة إعطاء سارة جاريتها هاجر لإبراهيم زوجة[1]؛ فلما حملت بإسماعيل غارت منها مولاتها وأذلتها فشردت منها ثم وجدها الملاك وبشّرها بإسماعيل (ع). وفي نهاية الإصحاح نعلم أصل تسمية جبل حراء (الحي راء) وتأكيد أن الموقع كان بين قادس (مكة) وماء البرود وهي آخر محطة على درب زبيدة لمكة.

ثم كانت قصة دمار المؤتفكات[2].

وجاء في القرآن الكريم أيضاً بمعرض قصة لوط أن إبراهيم (ع) كان يقيم على مقربة نسبية من منازل لوط:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۝ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ...﴾[3].

وبأن هذه المنازل كانت على طريق القوافل التي كانت تمر عليها قريش فيما عرف بالجاهلية القريبة من الإسلام بدرب الفيل:

(1) سفر التكوين، الإصحاح 16، الجملة: 3.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 19، الجمل: 24 - 25.
(3) سورة العنكبوت، الآيتان: 31 و32.

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

كما أن هلاك قرية (س د م) وهي سيدان بني سيد الزهرانية التي كان لوط يسكن فيها كان ولا شك نتيجة لبركان ثائر من حرات العقيق المجاورة للباحة مما أدى إلى دمارها الذي شهده إبراهيم بصعوده لجبل إبراهيم (بثرة) بعد ذهاب «الضيوف» من عنده ومعرفته وجهتهم؛ إذ كان قلقاً على ابن أخيه «إن فيها لوطاً»، وكان الجبل يبعد عنه فقط 25 كيلاً.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[2]:

وبالتوراة وصف للدخان كالمتأتي من خلط الجير الحي بالماء، والحجارة كأمطار من كبريت ونار[3]!

كذلك القرى الأخرى التي سماها القرآن بالمؤتفكة: ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾[4]:

نجد بسراة زهران هذا التجمع: سيدان بني سيد، عامر، أديمة، ظبيان قرن ظبي وصغرة بني حسن. وكان لوط قد وصف روضة بني سيد (سيدان) وسيلها النازل من كرا كجنة من جنان مصر! وابناه كانا فيما بعد: منهب وغنم وهما اسمان معروفان بدوس زهران.

وسارة كانت بمنطقة ربوع العين بأعلى وادي العرج بمحافظة أضم بتهامة عندما أتتها البشارة بقدوم الرسل إلى إبراهيم في طريقهم لتدمير قرى لوط:

﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[5].

فحملت سارة وولدت إسحق، وعند فطامه وقع الخلاف ثانية بين سارة وهاجر؛ فأخذها إبراهيم (ع) وإسماعيل وانتقل بهما إلى برية بئر الشباعة أي زمزم، حيث بقي إسماعيل. ثم يخبرنا القرآن بأنه لاحقاً ساعد أباه على إعادة بناء الكعبة المشرفة بعد أن بين الله له موقعها الذي كان مطموراً بالأتربة من زمن طوفان نوح:

(1) سورة الصافات، الآيتان: 137 و138.
(2) سورة هود، الآيتان: 82 و83.
(3) سفر التكوين، الإصحاح 19، الجملة: 28.
(4) سورة النجم، الآيتان: 53 و54.
(5) سورة هود، الآية: 71.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾[1].

﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[2].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3].

ولا يعترف اليهود بقراءاتهم الخاصة للنصوص بأية علاقة لإبراهيم بمكة وتهامة، وقد استطاعوا عبر تفسيرهم الخاص أن يؤثروا في تفكير المسلمين الذين والفوا بين رواية القرآن والتراث العربي ببناء إبراهيم للكعبة وبين أخبار الإسرائيليات؛ فتخيلوا أن إبراهيم، وهو وقتذاك شيخ طاعن في السن، قد قسم وقته متنقلاً بين بيته في فلسطين وعائلته في تهامة. وهو أمر لم يكن أيضاً ليتم بدون إبل وهي لم تكن متوافرة بفلسطين في ذاك الزمن فتصوروا بأنه كان يمتطي البراق ذهاباً وإياباً؛ وهو من الخيال!

ثم كانت قصة الذبيح وأنه إسحق[4] وقد أورد ابن كثير[5] بأنه ليس هناك إجماع بين علماء المسلمين على هوية الغلام مع ترجيح أنه كان إسماعيل (السهيلي وكعب على أنه إسحق) لأن البشارة باسحق جاءت معها البشارة بيعقوب من بعده وبذلك لن يكون هناك رجوع بعد الوعد الإلهي له. كما أن التوراة نفسها ذكرت[6]:

خذ ابنك وحيدك... ! مما يعني إسماعيل و ذلك قبل أن يولد إسحق.

تخبرنا التوراة بأن إبراهيم (ع) ذهب بأحد ابنيه إلى أرض «م ر ى» والمقصود بها المروة بمكة، ثم افتدى الله الغلام بالقصة المعروفة، وبعدها عاد إبراهيم (ع) إلى أرضه بربوع العين بوادي أضم حيث توفيت سارة[7]؛ فاشترى إبراهيم لدفنها أرضاً قرب شعاب نمرة بوادي سدر شمال ربوع العين بمحافظة أضم جنوب مكة. أما القبة

(1) سورة الحج، الآية: 26.
(2) سورة البقرة، الآية: 125.
(3) سورة البقرة، الآية: 127.
(4) سفر التكوين، الإصحاح 22، الجملة: 2.
(5) البداية والنهاية، ج1، ص: 159.
(6) سفر التكوين، الإصحاح 22، الجملة: 2.
(7) سفر التكوين، الإصحاح 23، الجملة: 2.

المضروبة بالخليل فقد تم إنشاؤها بعهد الملك هيرودوس الكبير قبل الميلاد ببضعة عشر عاماً، وقد نزل تحتها آثاريون بريطانيون في أثناء الانتداب فوجدوا بئراً مجصصة لجمع الأمطار الشتوية.

شعَر إبراهيم وإسحق بحاجتهما إلى ربّة منزل بعد وفاة سارة. وشاء أن لا يزوج إسحق من بني كنانة فأرسل عبده العازر وهو من دماشقة مذحج إلى موطن أهله الإرميين بخيران بمنطقة السليّل من وادي الدواسر (تكوين24)، فأتى بربقة ابنة نحور أخي إبراهيم.

ولما مات إبراهيم دفنه إسماعيل وإسحق بقبر سارة بالمغارة عند شعاب نمرة من وادي سدر شمال ربوع العين.

ذرية إبراهيم (ع)

وعاد إبراهيم فاتخذ زوجة بعد سارة واسمها قطرة/كتّارة[1] التي أكثرت له الولد؛ فأنجبت له: زمران، قيس (لا يقشان) مدّان، مدنة، السابق، والشحي. وقيس ولد شيبان ودودان (الذي يقرن ببني أسد). وكان بنو دودان: ثور وطسم وأميم. وبنو مدّان: عوف (ثقيف وعدوان ومعاوية) وغفار (جاشم العماليق) وحنش (ناصرة بلحارث)، وعبيد (سالم وسفيان والاثنان من ثقيف)، ووازع (البقوم).

إسماعيل

قصة هاجر وولدها إسماعيل (ع) كانت عند بئر الشباعة بالتسمية التوراتية، وعندنا زمزم؛ وهي تسمية مرتبطة ببني السميدع العماليق (الرفاعيين) الذين كانوا موجودين بأسفل مكة. تقول التوراة بأن نشأة إسماعيل كانت بفاران وهي أرض الفروان الواقعة بمخلاف عثر شمال صبيا وهو آخر أقاليم منطقة مكة تاريخياً، وكان في وقت مضى تابعاً لملوكه بني طرف موالي بني مخزوم. بعده جنوباً كان يبدأ مخلاف حكم المذحجيين وهو أول أقاليم مصر التوراتية لجهة تهامة؛ إذ كانت تبدأ من وادي نخلان الواقع اليوم شمال صبيا. وعندما تقول التوراة بأن أمه اتخذت له زوجة من مصر فالمقصود هنا الأرض المجاورة لأرض نشأته. وفي سفر السموأل[2] ما مفاده أن داود (ع) قبل أن

(1) سفر التكوين، الإصحاح 25، الجملة: 2.
(2) سفر السموأل 1، الإصحاح 27، الجملة: 10.

يؤتيه الله الملك احتمى من سخط شاول عند عكاش أحد زعماء الفلاسيين؛ وكان يوهمه بأنه كان يغير على جنوب أراضي هذيل وكذلك على ما جاورها من أراضي القناويين (وادي قنا) وأراضي الجرهميين (بالقراءة اليونانية)، فلربما من هنا جاء في التراث العربي أن أمه اتخذت له زوجة من جرهم! وهؤلاء (راجع ص163) هم غير جرهم التي تولت سدانة الكعبة والتي سنتناولها بفصل القضاة.

ثم نعلم أنه أولد 12 «نشمياً»، وأن أراضيهم كانت بين أرض حوالة شمالاً ووادي الشرى جنوباً[1]. وكانت أسماؤهم كالتالي: نبت، وقادر، الدعبل والمباسم، وماء السماء (مشمع) (أبوعامر أبوالأزد)، ودمة، وميشع، وحداد وتيمن، وطور، ونفاثة، وقديمة. وقدم إبراهيم (ع) عطايا لأبناء السراري وصرفهم لأرض بني قديمة الإسماعيليين.

يعقوب (إسرائيل) وذريته

أما ربقة زوجة إسحق (ع)فقد أنجبت لإسحق فيما بعد طفلين توأمين: عيص (ولقبه أدوم/عدنان!) ويعقوب؛ الذي استغل جوع أخيه لانتزاع حق البكورية منه[2] ثم خدع أباه (بتشجيع من أمه) لنيل بركته دون أخيه؛ فحقد عليه أخوه فهرّبته أمه إلى ديار خاله بخيران قرب السليّل بوادي الدواسر. وفي طريقه توقف في مكان ظهر له فيه معراج سماوي فسمى الموقع بيت إل (الجعرانة اليوم). ومكث يعقوب عند خاله لبن عشرين عاماً[3] وتزوج بابنتيه رخل (راحيل) وليئة. وكذلك من جاريتيهما زليفة وبلحة، فأنجب من الأربع زوجات اثني عشر ولداً وبنتاً واحدة اسمها دانة. وغادر يعقوب مع أهله ونصيبه من الماشية دون إذن خاله فأدركه هذا الأخير عند حرة المناصف. وهناك تصافيا وتعاهدا على طي الخلاف بينهما. وأكمل يعقوب طريقه

(1) سفر التكوين، الإصحاح 25، الجملة: 12.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 25، الجملة: 33.
(3) سفر التكوين، الإصحاحات 29 - 31 بالكامل.

نحو ديار أبيه، ولاقته الملائكة مهنئة إياه بسلامة الوصول في مكان أسماه المناحي عند تربة حيث تصارع ليلاً مع شخص غريب ووقتذاك لقب بإسرائيل أي إسراء الله. ثم بعدها التقى أخاه العيص[1] الذي أتاه من سراة الحجر، وكانت مصالحة شكلية بينهما.

ثم بنى يعقوب مظلة لغنمه وهي التي ما زالت معروفة بنجد الطائف إلى اليوم بإسم مظلّلة. ثم انتقل قرب الحوية حيث وقعت حادثة لابنته مع شكم بن حمير الحافي. ثم انتقل إلى بيت أل، ثم أكمل طريقه لوالده لكن رخل أم يوسف قضت بالطريق وهي تضع بن يُمن فدفنت بصعيد عرفة حيث أقام شاهداً على قبرها؛ وهو لليوم الشاخص فوق جبل الرحمة بعرفة[2]! ثم وصل أخيراً إلى ربوع العين أرض أبيه إسحق. وبعد موت الوالد بقي هناك وأبناؤه مع أرزاقهم المنقولة.

وحدث أن أرسل يعقوب ابنه يوسف لتفقد إخوته وهم يرعون ماشيته بنواحي أضم بين دثن وبيرين[3]. فلما رأوه ائتمروا به وكادوا له لأنهم كانوا يغارون منه لفرط محبة أبيهم له فرموه في جب حيث التقطته قافلة إسماعيليين من مدّان من نجد بلحارث كانت متوجهة من جلذان عبر ميسان والعرج إلى مصرٍ (إقليم الحبشة) حيث بيع يوسف لينشأ ببيت أحد الوجهاء المقربين من ملكها بمطرة وليمكّن الله له في الأرض. هنا بقصة يوسف القرآنية لا ذكر لفرعون! الملك لفظة كانت تطلق في بلاد العرب على ملك اليمن، وفي بلاد اليمن كانت تطلق على ملك الحبشة؛ فقد ورد بالنقوش المسندية عبارات ملك اكسمن (ملك إكسوم) وملك حبشت (ملك الحبشة). ثم كان مجيء إخوة يوسف في أثناء المجاعة التي ضربت الجزيرة بسبب الجفاف واستمرت سبع سنين عجاف انقطعت فيها الأمطار والسيول. وكان منه أن أكرم وفادتهم وردّهم إلى ديارهم معززين مكرمين بل وأعاد لهم فضتهم التي كانوا قد دفعوها ثمناً لما حملوه من الغلال. وطالت الأزمة فنراهم يطلبون من والدهم الإذن بالعودة للتزود من مصر مرة أخرى، حتى لا يهلكوا وماشيتهم

(1) سفر التكوين، الإصحاح 33، الجملة: 1.
(2) سفر التكوين، الإصحاح 35، الجملة: 20.
(3) سفر التكوين، الإصحاح 37 بالكامل.

من المجاعة، فقال لهم أبوهم[1]: «إن كان لا بد من ذلك فافعلوا، وخذوا معكم هدية للرجل، واملأوا أوعيتكم من خير جنى الأرض وبقليل من **البلسم والعسل والمسك واللاذن** والكثيراء واللوز. وخذوا معكم فضة أيضاً». هنا جملة هامة جداً وهي الدلالة على خيرات البلاد من البلسم (المشهور ببلسم مكة) والعسل (عسل جبال تهامة) والمسك (من الغزلان)، واللاذن، وهذه تجتمع إنتاجاً في أرض الجزيرة العربية، ولا تنتج في فلسطين. ثم بقية القصة معروفة حيث انتهت باستدعاء يوسف لكامل عائلة أبيه للإقامة معه في مصر (مطرة وهي اليوم بأرتريا) بشكل نهائي (تكوين 46). وقبل توجه يعقوب إلى مصر توجه إلى بئر الشباعة (زمزم) لعمرة حيث عتر لله (عند بيت الله الحرام وهناك إغفال لذلك)، ثم غادر للقاء يوسف الذي أنزل أباه وإخوته بمراعي اكسوم (ج ش ن) الخصيبة. وكانت مصر التوراة تشمل إقليمي اليمن والحبشة كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً. وعلى كل حال فمصر الحالية لم تكن جزءاً من أرض بني إسرائيل المزعومة بفلسطين حتى في أوج اتساع مملكة داود وسليمان! وعند موته تولى يوسف دفن يعقوب بقبر أبيه وجده بتهامة وعاد القوم إلى إكسوم. وبقي بنو اسرائيل بإقليم إكسوم قروناً عديدة إلى أن أذن الله لهم بالخروج على يد موسى (ع).

ذرية العيص؛ الأخ التوأم ليعقوب[2]:

الإصحاح 36 من سفر التكوين مخصص لذرية العيص الذي ضاقت به الأرض بعد خديعة أمه وأخيه فقرر الهجرة من أرض أبيه بربوع العين بأضم ويمم شطر السراة التي كان سبقه إليها عسير (ش ع ی ر) الحجري وهو من بني الحاف الكنانيين. وعاد أبناء العيص فغلبوا على بلاد الإحجور وهي لليوم من سراة عسير. وبأرض كنانة كان العيص/الغوث قد تزوج من:

1 - فتاة كنانية هي عائذة؛ وهي كنانية من بني حوت؛ (ولدت له الفايز ومن ذريته: عمليق، تيم، عامر، صفي، خثعم وقنص/ قنعز)

2 - واهلبية وهي ابنة غني بن صبعان الحافي (ولدت له: عيّاش وعلاّم، وقارح).

(1) سفر التكوين، الإصحاح 43، الجمل: 11 وما بعدها.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 36 بالكامل.

3 - فلما رأى امتعاض والديه مضى وتزوج لإرضائهما بشامة إبنة إسماعيل (فولدت له: ناهس، ذراح، شمة، ومزة)، وفي نص مغاير أن اسمها كان محلّة!

أشير نهاية إلى بعض ذرية عسير الحجري الكناني الذي صاهره العيص: حجر، أمامة، عبيل، صبعان، أياد، غني، دوس، حمدان، قرن، عقان، عوض، عرن/عدن!

أقارب إبراهيم (ع) الذين بقوا بإرم أي النجد من وادي الدواسر:

هنا نجد ذكراً لبعض الأسماء من الأجداد الجاهليين وردوا بمعرض الأنساب العربية القديمة[1]، فقد تبلّغ إبراهيم (ع) أن مليكة زوجة أخيه نحور ولدت له ثمانية أولاد ذكور هم: عاص وباز وكميل (أبو إرم)، وقاسط وحيدة وبلدس ودلاف وبتيل (أبو لبن وربقة زوجة إسحق)، أما جارية نحور واسمها رائمة فولدت له: طابخة (طابخ) وجميح (جاحم) وداحس (تاحش) ومكعت أو قمعة (م ع ك ة). وفي نسب عنز بن وائل تظهر أسماء قاسط (الذي يقرن بأسد) بحسب أكثر أهل النسب ورائمة بحسب صاحب الأغاني! وهم إخوة بكر وتغلب ابني وائل، وبنو عم عنزة بن أسد القبيلة الموجودة اليوم والتي تندرج تحتها عائلات كريمة لم يرد ذكرها بالعهد القديم وعوائل أخرى وردت أسماء عواهل منها بكتاب الملوك (آل هذال / بن حديد)! وقد جمع نسابة العرب تحت طابخة: تميم وتيم -الرباب (ثور أطحل وضبة وعدي وعكل ومزينة)، وأوردوا طابخة وقمعة (أبو خزاعة)على أنهما من أولاد إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان! وعدنان بحسب الطبري كان قد تصدى لنبوخذ نصر عند ذات عرق الميقات المكي المعروف حوالي 594 ق م! بينما بحسب التوراة فإن بعض هؤلاء الآباء الجاهليين كانوا معاصرين لإبراهيم (ع) أي عاشوا في القرن ال20 ق م!من هنا نرى لماذا ورد عن النبي (ص) كراهيته الخوض في أنساب ما فوق معد العدناني!.

التوراة المكتوبة بلهجة كنانة العربية قبل 4000 سنة (وليس بشفة كنعان) هي ديوان العرب المفقود للفترة ما بين نوح ومعد العدناني، وهي فترة تاريخية مظلمة بالنسبة إلينا؛ ولم يردنا منها سوى أسماء معدودة مثل: جرهم والسميدع والعماليق!

(1) سفر التكوين، الإصحاح 22، الجمل: 20 - 24.

ولأن العزير بحسب التراث اليهودي قد قام بإعادة كتابتها ببابل من خط قديم كتبت فيه بالأصل إلى الخط الآرامي القديم فقد ضاعت دقة أسماء القبائل والشعوب والأقاليم الجغرافية، وحاد الجميع عن الصواب عند تحديد المسرح الصحيح لأحداث التوراة! فالجدير بنا إعادة النظر بكل شيء عند مراجعة الأنساب، خاصة في ضوء نتائج الأحماض النووية الحديثة.

ولأن العزير بحسب التراث اليهودي قد قام بإعادة كتابتها ببابل من خط قديم كتبت فيه بالأصل إلى الخط الآرامي القديم فقد ضاعت دقة أسماء القبائل والشعوب والأقاليم الجغرافية، وحاد الجميع عن الصواب عند تحديد المسرح الصحيح لأحداث التوراة! فالجدير بنا إعادة النظر بكل شيء عند مراجعة الأنساب، خاصة في ضوء نتائج الأحماض النووية الحديثة.

أيوب(ع) نبي آخر من نجد

عددنا حتى الآن أربعة أنبياء لهم علاقة بنجد : نوح (ع) الذي ابتدأ دعوته بالطائف وانتهى بالقرب من عودة سدير باليمامة، ثم هود وصالح باليمامة، ثم إبراهيم (ع) الذي ولد باليمامة واهتدى بخيران وادي الدواسر ثم أمره الله بالهجرة للأرض المباركة وهي أرض كنانة بتهامة الحجاز، وأيوب (ع) هو النبي الخامس!

إذا كانت التوراة هي أقدم الكتب المخطوطة بإحدى الأبجديات المعروفة، فإن صحف إبراهيم وهي سفر التكوين هي الأقدم يتبعها سفر أيوب تليها أسفار موسى الأربعة وهي : الخروج ، العدد، اللاويين، وأخيراً التثنية؛ وهذه الأربعة كلها فيها تشريع .

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

لماذا سفر أيوب أقدم من أسفار موسى؟ لأن لا أثر فيه للتشريع الموسوي! واليهود تعتبره سفراً مترجماً عن أصلٍ آرامي أو عربي!ومما يؤكد ذلك أسلوب التعبير عن العلاقة بين الإنسان والخالق؛ فهو مغاير للإسلوب الشخصي في المخاطبة بالتوراة وعلى نحوٍ قريب مما نرى في الصياغات الإسلامية من تقديس واحترام، كما يحتوي على إشاراتٍ واضحة عن اليوم الآخر وهو ما لا نجده في التوراة فقد جاء مثلاً :

(1) سورة الأنعام، الآية: 84.

"أما أنا فقد علمت أن وليي حي وفي الآخرة على الأرض يقوم" [1].

وكما أشرنا فإن سفر أيوب خالٍ تماماً من الإشارة إلى موسى أو بني إسرائيل مما يرجّح أنه عائد لعصر أبناء إبراهيم الذين غادروا الحجاز.

وفي التراث العربي نجد عند الحديث عن أصل الكتابة تعبير «كاتب الوحي للنبي هود». وهود (ع) أرسل الى قوم عاد وهم من الآراميين(أو الإرميين) وعاش قبل إبراهيم بستة أجيال على الأقل، كما تبيّن في فصلي هود وصالح؛

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2]، فالإشارة الأولى عن الكتابة في التراث العربي كانت للإرميين من قوم عاد والذين صنّفوا في خانة العرب البائدة. ولعل بعض ما سجّله هود قد وصل إلى إبراهيم (ع) الذي نشأ في القرن 20 ق.م. بين الإرميين وتكلم بلغتهم إلى أن انتقل إلى أرض كنانة ومن ثم اتخذ من لغتها/ لهجتها(شفة كنعان) لساناً له ولبنيه.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[3].

الإرميون الأوائل هم من نسل إرم **ארם** وهو من أبناء سام بن نوح ، ومنهم كان قوم عاد (ع وص ابن إرم) الذين كانوا باليمامة ثم انتقل قسم منهم لوادي الرمة بالقصيم كما بيّنا في فصل هود. ومن نجد انطلق الخلدان (رهط هود بحسب ابن خلدون) الإرميون إلى وادي الفرات ليؤسسوا الامبراطورية الخلدانية (الكلدانية) العظيمة.

وما يلفت النظر في سفر أيوب أن لغته الراقية تعتبر من أعلى ما ورد في العهد القديم بلاغة، كما لا تضاهيه في رقة الإسلوب إلا لغة المزامير الشعرية. وهذا يطرح عدة أسئلة: من كان أيوب؟ وأين ومتى عاش؟ وأية لغة وصلت إلى هذا النضوج والرقي في تلك الحقبة الغابرة من الزمن؟ بل وبأية أبجدية كتب؟ علماً أن من علماء التوراة ، كما أشرنا، من يطرح أقدميته على سائر الأسفار باعتبار موسى كاتب الأسفار

(1) سفر أيوب، الإصحاح 19، الجملة: 25.
(2) سورة إبراهيم، الآية: 4.
(3) سورة الأعلى، الآيتان: 18 - 19.

الخمسة الأولى بما فيها سفر التكوين (وهو صحف إبراهيم)! وسفر أيوب أخّاذ ينتقل بنا من الثراء إلى الفقر المدقع، ثم إلى الثراء مرة أخرى. فيه دروس وعبر عن امتحان الله لعباده والتسليم المطلق لمشيئة الله.

مختصر قصة أيوب:

كان أيوب[1] مزارعاً ناجحاً في أرض عاد (**עוץ**) (ع و ص)، عنده الآلاف من الغنم والجمال وغيرها من المواشي، وعائلة كبيرة وعدد كبير من الخدم. ويَـمثُـل الشيطان الرجيم أمام الله مدعياً بأن أيوب إنما يتكل على الله لأنه غني ولأن كل أحواله تسير على خير ما يرام ويدعي بأن الوضع سيختلف تماماً إذا ما تغيرت الظروف من حوله. وهكذا يبدأ امتحان إيمان أيوب.

ويسمح الله للشيطان بأن يقضي على أبنائه ومواشيه، ولكنه يظل متكلاً على الله، ثم يصيبه في جسده بقروح مؤلمة ولكنه يظل صابراً. ويقول له أصحابه بأن أسباب بلواه هي معاصيه وينصحوه بالتوبة؛ ولكنه يعاني بصبر وصمت متمسكاً ببرائته.

في النهاية يكلمه الله من خلال ريح عاتية ويخر أيوب ساجداً وعاجزاً عن الكلام من خشية الله. ويوبخ الله أصحاب أيوب ويثني عليه لتسليمه بقضائه وحكمته. وتنتهي القصة باستعادة أيوب لصحته وسعادته وثروته.

أسماء الأماكن المذكورة في السفر:

عاش في أرض عاد[2]

هاجمنا غزاة شيبان[3] **שבא**

غزتنا ثلاث فرق[4] من القاسطيين (أو الجديسيين) **כשדים** كذا بالتوراة العبرية، والخلدان بالنسخة اليونانية

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص: 1076.
(2) سفر أيوب، الإصحاح 1، الجملة: 1.
(3) سفر أيوب، الإصحاح 1، الجملة: 15.
(4) سفر أيوب، الإصحاح 1، الجملة: 17.

هبت ريح شديدة من عبر الصحراء[1]

قوافل تيماء[2] وقوافل سبأ **תמא** (تيماء قد تكون طي ماء)

ومن الشخصيات الرئيسية

أيوب[3] **איוב**

الفائز التيمني[4] **התימני** والتي قد تكون إشارة لقبيلة طي ماء أو حتى تميم

بلدد الشُحي[5] **השוחי** من الشحوح من أبناء إبراهيم (ع) من قطرة/كتارة

ظافر النعمتي[6] من قبائل النعمان

أل هو بن بارك الله البازي، من عشيرة الرمة[7] **רם**

وعاد(ع و ص) هو ابن إرم ابن سام ابن نوح بحسب العهد القديم[8] وقد بيّنا سابقاً في فصل هود أنهم كانوا باليمامة ، أما قوافل تيماء وسبأ فقد كانت تسلك درب البخور التجاري الواصل ما بين بحر العرب وشمال الجزيرة العربية وكذلك شرقها عبر نجران وجبل طويق. أما كشديم الواردة في سفر أيوب فلا يصح تحت مسمى أي ترجمة أن تفسر بالكلدانيين، والتأويل الأصح أنها جديسيين بالإقلاب. وهناك احتمال أن تكون الترجمة اليونانية عن مصدر آخر قد عنت بهم الخالديين وهم من جديس بالفعل بحسب المسعودي، والفئتان تنتسبان لليمامة.

وعندنا أدلة من قصة يوسف (توراتياً وقرآنياً) على أن مسير القوافل التجارية كان ناشطاً في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. وبالنسبة لعشائر رم فالمقصود الساكنة بوادي الرمة بالقصيم اليوم.

---

(1) سفر أيوب، الإصحاح 1، الجملة: 19.
(2) سفر أيوب، الإصحاح 6، الجملة: 19.
(3) سفر أيوب، الإصحاح 1، الجملة: 1.
(4) سفر أيوب، الإصحاح 2، الجملة: 11.
(5) سفر أيوب، الإصحاح 2، الجملة: 11.
(6) سفر أيوب، الإصحاح 2، الجملة: 11.
(7) سفر أيوب، الإصحاج 32، الجملة: 2.
(8) سفر أيوب، الإصحاح 10، الجمل: 21 - 23.

فلعل أحداث قصة أيوب كانت قبل أو بمعزل عن نزول التشريع على موسى لأنه لم يأت فيها ذكر لبني إسرائيل، والأكيد أن القصة حدثت بعد عصر إبراهيم لأنه من ذريته بحسب القرآن؛ في وقت كان استئناس الجمل قد أصبح شيئاً مألوفاً بنجد، فبحسب الأبحاث التي قام بها البروفسور وليم البرايت من جامعة جون هوبكنز الأميركية في أربعينات وخمسينات القرن العشرين لم يثبت بتاتاً وجود أي عظام لجمال في أية مواقع خارج الجزيرة العربية وشرق أفريقيا حتى أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد، لذلك فمن المستبعد أن يكون أيوب قد عاش في بلاد الشام أو العراق أو بلاد القبط.

أما القبر المفترض للنبي أيوب الموجود في جبال القرا على بعد نصف ساعة من صلالة عاصمة إقليم ظفار العُمانية فلا يعدو كونه مقاماً للنبي الكريم، شأن مقام النبي هود(ع) الموجود قرب سيئون.

تساؤل مشروع: لماذا يحتفظ اليهود ضمن العهد القديم بسفر عربي لا علاقة له لا ببني إسرائيل ولا بموسى ولا بإبراهيم (ع) لو لم يكن ديواناً شاملاً لأحداث وقصص الجزيرة العربية!ومن أراد دراسة الأنساب للفترة بين آدم وغزوة نبوخذ نصر لجزيرة العرب فعليه أن ينكب على تحليل الأسماء في سفر أخبار الأيام الجزء 1 من الإصحاح 1 - 9.

مصر التوراة لم تكن بلاد القبط

بعد وصول إبراهيم (ع) إلى الأرض المقدسة[1] انتقل بسبب الرغب (القحط) إلى مصر (م ص ر ى م = مصرٍ) وهناك تلقى هدايا من بينها إبل من عاهلها فرعه (فرعون)، ومن غير المؤكد إن كانت هناك تلقت زوجته جارية اسمها هاجر (أجّر باللغة الجعزية) وهي التي أصبحت فيما بعد أم إسماعيل (ع). وجاء ذكر مصر أيضاً في قصة يوسف (ع) القرآنية وأنه التُقِطَ من قبل سيارة (قافلة تجار) إسماعيليين كانت في طريقها إلى مصر وأنهم باعوه هناك إلى العزيز وهو من كبار رجالات الدولة. كذلك إخوان يوسف كانوا يركبون الجمال بذهابهم ومجيئهم إلى مصر ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ!﴾[2] ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾[3]، وفيما بعد استدعى أباه وإخوته للإقامة معه في أرض مصر لأن الجفاف سيطول. وبقي بنو إسرائيل في أرض مصر بضعة قرون ثم أخرجهم الله منها تحت قيادة موسى (ع) ليريحهم من اضطهاد فرعون وليمنحهم الأرض المباركة التي وعدها لإبراهيم ويعقوب (ع). فأين كانت مصر هذه؟

المتعارف عليه تاريخياً أن مصر التوراة والقرآن هي أرض الكنانة، أرض النيل من أسوان إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وتضم أيضاً شبه جزيرة سيناء والقسم الشرقي من الصحراء الليبية. لكن لو أعدنا دراسة تفاصيل القصص التوراتي والقرآني

(1) سفر التكوين 12، الجملة: 10.
(2) سورة يوسف، الآية: 70.
(3) سورة يوسف، الآية: 72.

وفي ضوء العلوم التاريخية الحديثة فسيتبين لنا أن التاريخ لا يتطابق مع الجغرافيا التقليدية، كما أن هناك الكثير من الأدلة التي تشير إلى الجغرافيا الصائبة؛ وهي مدار بحثنا.

أول ذكر لمصر بالتوراة

ورد اسم مصر[1] (م ص ر ى م) كإسم لأحد أبناء الغوث (كوش) بن حُميّ (حام) ومنهم عنان ومفتاح ومطير وكسلا والفلاسة وكنانة؛ وهم كما نرى أسماء لعشائر وأقوام توزعت قديماً على الضفتين الشرقية والغربية للبحر الأحمر الذي كان اسمه بحر صوفة. كتب الهمداني وغيره من المؤرخين عن وجود لبني مطير بنواحي نجران وجيزان، كما ورد اسم مصران بالنقوش المعينية اليمنية وهي الأقدم. كما نجد في مرتفعات الحبشة آثاراً لمدينة قديمة جداً اسمها مطيرة (Metera) أو مطرة (Matara) ربما نسبة إلى قومها من المطريين من نسل كوش وحام، وكانت حاضرة لمملكة عظيمة عرفت باسم «دعمت» وهي سابقة على مملكة إكسوم، وتشهد على ذلك اللقى الأثرية التي بقربها وبينها مسلات كبيرة تذكّر بمسلات وادي النيل. بعد انفصال إريتريا صارت مطرة داخل الحدود الإريترية، وعلى مقربة داخل الحدود الإثيوبية تقع مدينة إكسوم التي كانت حاضرة الحبشة حتى وقت هجرة المسلمين الأوائل للاحتماء عند النجاشي. ولعل مطرة كانت مركز الحكم بالحبشة وقت توجه إبراهيم (ع) إليها من تهامة في زمن القحط. كذلك فعل يعقوب (ع) وبنوه للسبب نفسه؛ فأسكنهم يوسف (ع) بإكسوم التي كانت خيرة الأراضي للرعي، ومنها كان خروج بني إسرائيل على يد موسى (ع).

أما كيف صارت مطرة مصر فلتبادل الأحرف باختلاف الفترات التاريخية واللهجات في مثل ما نجد بالقرآن: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[2] (بدل حطب)، و﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾[3] (ونقول اليوم الخراطون). فيبدو أن أصل الاسم كان مصراً (ليعني مطراً أو مطرة كما صار لاحقاً). وكلمة مصرٍ قد تعني مصر من الأمصار ولكنها في

(1) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 6.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 98.
(3) سورة الذاريات، الآية: 10.

التوراة مستعملة بمعنى الأرض التي سكنها أبناء مصر بن حام. وتقول التوراة[1] ومن مصرٍ (مطر) تحدرت هذه القبائل: اللوزيون والعنانيون واللهبيون والمفتاحيون والفترسيون والكسلاحيون (الذين تحدر منهم الفلاسة والكفتاريون، والفلاسة هم الوحيدون الذين كانت لبني اسرائيل علاقة فيما بعد، بينما لم يكن هناك ذكر للباقين البتة؛ ربما لأن معظمهم كان باليمن الشمالي وجنوب السودان). وليس هناك من ذِكر لجميع هذه القبائل في تاريخ مصر القبطية! فانتقال إبراهيم من الحجاز أيام الجفاف كان إلى مملكة مطرة شمال إثيوبيا حيث المصادر المائية الدائمة،ولعل فرعة الذي قابله كان ملكها وربما هي من أقدم شعوب إثيوبيا. وفي مناطقها وجنوباً في الصومال وحضرموت ونجد والحجاز استئنست الإبل في النصف الثاني من الألفية الثالثة قبل الميلاد أي بزمن صالح (ع) وقبل إبراهيم (ع)؛ ولكنهم في الشرق الإفريقي كانوا يربّونها كماشية يستفيدون من لحومها وألبانها ولم يستعملوها للركوب مطلقاً. في تلك الأيام كان الاتصال بين البر اليمني والإفريقي سهلاً، وباب المندب كان أضيق بكثير مما هو اليوم، وقد أوجز الجغرافيون اليونان أن ما يفصل البر الآسيوي عن الإفريقي هو ست جزر بالكاد تستطيع السفن أن تمر من خلالها. وهذا كان بعد عصر إبراهيم بألفي عام علماً أنه بسبب عدم استقرار القشرة الأرضية يبتعد الساحل الإفريقي هناك عن العربي بمقدار بوصة كل عام أي 25 متراً كل ألف عام أو 100 متر منذ عصر إبراهيم إلى يومنا هذا. و قد ذكر ابن المجاور الرحالة الدمشقي[2] نقلاً عن أهل الأخبار بأنه في الزمن القديم كان أهل إفريقيا يقطعون إلى البر اليمني مشياً على الأقدام، وكذلك فعلت الحيوانات الإفريقية مثل الأسود والنعام وحمير الوحش التي ذكرت في الأشعار العربية الجاهلية، وبعض أنواع الأبقار ذات القرون الطويلة ونراها اليوم قد انقرضت بسبب انقطاع الشريان الذي كان يمد الجزيرة العربية بمواردها من هذه الحيوانات، وأيضاً بسبب إفنائها من قبل الإنسان.

وإثيوبيا هي الطيوبية أو أرض الطيوب! وقد سألت إثيوبيين من العرق الأمهري

(1) سفر التكوين، الإصحاح 10، الجملة: 13.

(2) صفة بلاد اليمن، ابن مجاور، ص: 95.

عن معنى الكلمة بلغتهم فما عرفوا! لأن الأصل ربما كان عربياً. أما الحبشة فأصل هذا الاسم عائد إلى قبائل البيجة التي سكنت سواحل أريتريا وأطلق عليها الكنانيون اسم هابيجة (أي البيجة) بإضافة الهاء وهي أداة التعريف القديمة في مثل هبل (هـبل/ البعل وهو إله البلل أو المطر) وهاشم (الإسم) وهوازن (الوازن)؛ فصارت حبيشة وتعربت بمرور الوقت فأصبحت الحبشة بإضافة أل التعريف إليها.

وأرض الكنانة ما كان أهلها يسمونها مصراً بل (Kemet) قيمة واسم فرعون لم يكن إسماً أو لقباً لعاهلها! وأقرب لفظ لكلمة فرعون بالهيروغليفية هو (Piru) ومعناه الباب العالي. واليونان منذ قديم الزمان وكذلك الأوروبيون إلى اليوم يسمونها (Egypt). والعرب في الجاهلية وحتى وقت النبي (ص) كانوا يسمونها «بلاد القبط». وفي رسالة النبي (ص) إلى المقوقس (وهو بطريرك الإسكندرية في نهاية القرن السادس للميلاد) ورد: عظيم القبط، ولم ترد كلمة مصر! وما بدأ العرب بتسمية ذلك الإقليم بمصر إلا بعد نزول الآيات المدنية المذكورة فيها قصة موسى فسأل المسلمون بالمدينة اليهود عن المقصود بمصر فأخبروهم بأن «مصر» موسى هي بلاد القبط عينها! فمن هنا بدأ إطلاق الاسم على أرض الكنانة. ولعل الأقباط لم يسمعوا بمسمّى «مصر» سوى من المسلمين العرب بالفسطاط؛ لذلك أطلقوا فيما بينهم وفقط على المنطقة حيث القاهرة اليوم اسم «مصر»؛ وما زالوا على ذلك حتى اليوم.

الأدلة على أن الحبشة هي مصر التوراة

هناك أدلة عديدة من الكتب المقدسة تشير إلى أن «مصر» هي الحبشة وليست بلاد القبط!

أدلة من التوراة

1) وجود أسماء محددة معروفة بالحبشة وغير معروفة بمصر[1]:

(ج ش ن) وهي اكسوم التي صارت عاصمة لمملكة الحبشة لاحقاً.

(س ك ة) وهي سقوطة بلدة معروفة بهضبة الحبشة.

(1) سفر العدد، الإصحاح 33، الجملة: 5 وما بعدها.

(ء ت م) وهي إدامة؛ بلدة معروفة بهضبة الحبشة.

2) غالبية الفراعنة الواردة أسماؤهم بالتوراة كانوا من أسر «غير قبطية» فجعل علماء التاريخ الأسر التي حكمت بلاد القبط أسراً «ليبية وحبشية» ليتوافق ذلك مع السياق التاريخي للتوراة، فعمدوا إلى تسييد «الليبيين» والأحباش على بلاد القبط عدة قرون وطمسوا هوية ملوكها الحقيقيين، ومن هذه أسماء ملوك مثل (SECONCHIS) و(OSORKON) و (TEHRAK).

وذكروا أن ملك مصر زوّج ابنته للملك سليمان! ويمر المؤرخون على هذا الخبر مرور الكرام مع أن تفاخر الأقباط على باقي الشعوب كان معروفاً وكذلك تحريمهم لزواج بناتهم من الأجانب. وقد حدث أن قدّم أحد الملوك الأثوريين ابنته زوجة لأحد ملوك القبط فوضعها في صف الجواري ورفض بشدة تزويج أخته للملك الأثوري لأنهم كانوا يعتقدون بقدسية الأميرات القبطيات وبأن شعب الأقباط فوق باقي الشعوب. فالذي تزوجها سليمان (ع) كانت ابنة ملك الحبشة وقد نتج من هذا الزواج ولادة أمير كوّن فيما بعد السلالة التي كان امبراطور الحبشة الراحل هيلا سيلاسي يفتخر بالانتماء إليها ويتلقب بأسد هوذة. وبكتاب «النجاشيات الكبرى» أن هذا الأمير ولد لماجدة ملكة سبأ التي تزوجها سليمان (ع) وقت زيارتها للملك بعاصمة ملكه، وعنه تأويل الآية القرآنية من سورة الشعراء التي أعجزت المفسرين:

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1].

فلم يسجل التاريخ قط أن بني إسرائيل حكموا بلاد القبط لا أيام داود ولا سليمان (ع) ولا أي ملك آخر، ومقولة «من النيل» فهم خاطئ لعبارة «نحل مصريم».

كما زوج الملك (Thekemja = Tahepenea) أخته إلى (Jeroboam) ربعان (ى ر ب ع م) الذي كان قد تمرد على الملك سليمان وفر إلى مصر أي إلى أثيوبيا. وكذلك تزوج أدد (؟ أزد) الأدومي (العدناني) أخت فرعون[2]. ثم إن الملك شيشق

(1) سورة الشعراء، الآية: 59.
(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 11، الجملة: 19.

الأول (Sheshoak I = Shishack = Seconchis) من الأسرة 22 التي حكمت بلاد الأقباط كان برأي بعض المؤرخين أثيوبياً أو بربرياً ولكنه ملك على كامل وادي النيل. غزا هذا الملك مملكة هوذة التي كان يحكمها رحبان (رحبعم) ابن سليمان لتخفيف الضغط عن مملكة اسرائيل التي كانت تحت قيادة نسيب البلاد ربعان (يربعام) في نزاعه مع الأولى. كما أن الملك (Zerah) «من الأسرة 22» أيضاً هاجم اليهودية ولكنه خسر أمام الملك آسى (ASA). لم يحدث أي غزو من قبل ملوك الأسرة 23 و24، ولكن مع قدوم الأسرة 25 للحكم تحالف شباك (Shebak II = Sebichas) مع واسع (هوشع) (Hoshea) آخر ملوك إسرائيل. كما تقدّم تراقة (Tehrak = Tirakah) وهو الآن ملك كوش (لم يعد من ملوك مصر) لمساعدة ملك اليهودية الذي كان يتعرض للحصار من الملك الأثوري سن حراب (سنحريب). وفي الحقيقة فإن التاريخ التوراتي يتصالح مع التاريخ الحقيقي لبلاد القبط فقط ابتداء من الأسرة 26 إبان حكم بسماتك (Psamatek I = Psammehichus I) ومن بعده ابنه (Necho = Neka) نقي الذي قتَل (Joshia) واسية ملك اليهودية المتحالف مع الأثوريين. فملوك مصر الأوائل المذكورين كانوا أثيوبيين أو أحباشاً حاربوا في الجزيرة العربية ولم يكونوا ملوكاً على كامل وادي النيل، كما أنهم لم يحاربوا في فلسطين مطلقاً.

3) ذكر اسم مدينة رعمسيس[1] في معرض قصة موسى التي يفترض أنها حدثت في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد. والمعروف أن أسماء رمسيس أو رعمسيس لم تظهر إلا بعد أيام موسى بسبعة أو ثمانية قرون، وإنما ذكرها المؤلفون لأنها كانت مشهورة معروفة على أيامهم ولكننا نعلم اليوم من المكتشفات التاريخية ودراسة تاريخ بلاد القبط بأن هذه الأسماء لم تكن تطلق على أية مدن هناك بزمن النبي موسى ابن عمران.

4) اسم مصرٍ (وهو لفظ توراتي) لم يكن مستعملاً في بلاد القبط وكذلك اسم فرعه الذي ورد بقصة إبراهيم ومنها ساد الظن بأنه لقب لملوك مصر، فالأقباط كانوا

(1) سفر العدد، الإصحاح 33، الجملة: 3، 5.

يدعون بلادهم باسم إيكمت (Ekmet) وكانوا يطلقون على قصر الحكم (PIRU) أي البيت الكبير، مثلما كان العثمانيون يشيرون إلى دار الحكم بلقب الباب العالي والأميركيون إلى مركز رئيسهم بالبيت الأبيض، ولكنهم لم يستعملوه على أنه اسم علم. أما شخصية فرعون القرآنية فهي اسم لشخص واحد عاش وحكم مصر أيام موسى ولم تستعمل على أنها لقب، لأن لقبه في قصة يوسف كان الملك:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾[1].

5) وفي قصة الخروج هناك رموز واضحة تشير إلى أن الأرض التي سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر إلى الأرض الموعودة كانت مزروعة بالبراكين التي كانت متفجرة؛ فكانت تنير طريقهم ليلاً وترشدهم بدخانها نهاراً[2]، ومعلومٌ بأن أرض الأقباط خالية تماماً من البراكين، وأعظم تجمع بركاني في منطقة الشرق الأوسط هو بالهضبة الأثيوبية وبعدها باليمن والحجاز. ومثير للانتباه وجود مجموعة متلاحقة من البراكين وعلى مسافات متقاربة تلحق خط سير من الشمال قرب إكسوم باتجاه جنوبي شرقي بموازاة صحراء الدناكل حتى بلوغ باب المندب؛ وهو ما يحاكي غالباً المسيرة التي تبعها بنو إسرائيل وقت خروجهم.

6) وإنه لمن غير المفهوم أن يسير موسى ببني إسرائيل ليبلغ البحر الأحمر في شرق بلاد الأقباط بينما كان باستطاعته سلوك طريق البر التي تفصل البر المصري عن شبه جزيرة سيناء؛ وهي مسافة تقدر بـ 120 كيلومتراً عبارة عن طول قناة السويس قبل شقها. هذه المسألة غير موجودة في منطقة باب المندب لأن عبور البحر هناك هو مسألة إجبارية لا مناص منها، ويبدو أن القشرة الأرضية كانت في حال عدم استقرار فكانت زلازل وبراكين. وعند وصول الأمر إلى نقطة فاصلة أوصى الله موسى أن يضرب بعصاه البحر فكانت المعجزة! هي معجزة توقيت بين الضرب بالعصا وحدوث حركة جزر هائلة كشفت عن البر الفاصل بين إفريقيا والبر اليمني مما أتاح لبني إسرائيل العبور. ثم جاء وقت ما يعرف بعلوم الأحوال الجوية بموجة التسونامي

(1) سورة يوسف، الآية: 54.

(2) سفر الخروج، الإصحاح 13، الجملة: 21.

الهائلة التي يبلغ علوها عشرات الأمتار إيذاناً بتتابع المد بعد الجزر وهذا ما أغرق فرعون وجنوده لأنه لو كان المدّ تدرّج لأمكنهم من الانسحاب في الوقت المناسب. وليس هناك في مدونات مصر القبطية ما يشير إلى هذه الحادثة ولا إلى غرق ملك البلاد وجيشه بهذه الطريقة النادرة مع أن الجداريات والبرديات قد أفردت أخباراً تعد ثانوية إذا ما قيست بهذا الحدث الفريد في تاريخ الأمم.

7) في خطبة الوداع[1] يحذر موسى بني اسرائيل بأنهم إذا لم يسيروا في طريق الإله ويحفظوا شريعته فإن الله سيخرجهم من أرضهم ويعيدهم إلى مصر ولكن هذه المرة **محملين بالسفن**! فلو كان هناك بر بين أرض مصر والأرض الموعودة كما هو الحال في بلاد الأقباط قبل شق قناة السويس فلماذا يصدر عنه هذا التحذير. لقد قال ذلك دون شك لأن العبور لا يمكن بدون سفن لوجود فاصل مائي بين البرين هو باب المندب، وهو المنطقة الوحيدة في الشرق الأوسط التي ينطبق عليها وصف ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾[2] حيث كان موسى وفتاه! وبالمقارنة فإن رأس مسندم يجمع بين بحر عمان والخليج العربي، كما أن رأس محمد يجمع بين البحر الأحمر وخليج العقبة، أما باب المندب فيجمع بين البحر الأحمر وبحر العرب.

8) كان الأقباط يتكلمون لغة غير اللغة الكنعانية وكانوا يكتبون بالهيروغليفية بينما كان سكان فلسطين وفينيقيا يكتبون بالأكادية المسمارية كما دلت على ذلك آثار رأس شمرا وكذلك رسائل تل العمارنة فمن أين تعلم موسى الخط الآرامي (الفينيقي)؟ هل يصدق عاقل ما أورده بعضهم من أنه تعلم هذا الخط من تأمل آنية فخارية مكسورة طرحتها القوافل السيارة في صحراء مدين وكانت منقوشة عليها كتابات بهذا الخط!

كيف نعلم أن موسى كان يكتب بخط آخر؟ بالعام 621 ق.م في عهد الملك واسية/يوشيا وأثناء إجراء جردة لمحتويات الهيكل عثر «حلقة» كبير الكهنة على درج فيه مجلة مسطور فيها سفر الشريعة[3]، والمرجح أن هذه إحدى النسخ التي كتبها ابنا هارون فنيس (بنحاس) وإثمار على أيام موسى. ويقول العهد القديم بأن

(1) سفر التثنية، الإصحاح 28، الجملة: 68.

(2) سورة الكهف، الآية: 60.

(3) سفر الملوك 2، الإصحاح 22، الجملة: 8.

الملك والكاتب سفيان قرآ سفر الشريعة على الملأ وبأنه أحدث ثورة روحية بين الشعب. ماذا يعني ذلك؟ بما أنه كان باستطاعتهم قراءة السفر فذلك يعني بأنه كان مكتوباً بنفس الخط المستعمل في القرن السابع قبل الميلاد وهو على الأرجح خط المساند؛ لأنه الخط الوحيد الذي كان مستعملاً وقتذاك على ضفتي البحر الأحمر بإثيوبيا واليمن والحجاز.

9) من مواصفات جبل سيناء - سينين حيث تلقى موسى الألواح أنه كان بركاناً وليس في كل شبه جزيرة سيناء بركان واحد. وبالنصوص كان هناك وادي طوى، والضنك، وبرمديني وقنا بلد حباب حمو موسى وماء ريبة، وكان هناك الرفود، وقادش برنيع. في منطقة تهامة جنوب وادي حلي (طيه) كل هذه الأماكن موجودة: طور سينين البركاني هو الأيمن من جبلين أسودين جنوب وغرب برمديني الواقعة 25 كلم جنوب خميس البحر و7 كلم غرب فرعة سنان التي بدورها 5 كلم غرب آل فروان الواقعة جنوب لتين الذي صار 5 كلم جنوب قنا. وهنا وادي بقرة، وفي الأعالي الرفود، وشمالها على ساحل تهامة كدسة بلعير (قادش برنيع)! ولعل اسم وادي مربة إلى الجنوب تحريف لاسم ماء ريبة حيث ارتاب موسى وهارون بالوحي عندما أمره ربه بضرب الصخرة على مرأى من بني اسرائيل، فأوحى له ربه بأنه جزاء لارتيابه سيحرم هو وأخوه هارون من دخول الأرض المباركة فسمي المكان ماء ريبة وصار بمرور الوقت مربة.

10) في قصص إبراهيم (ع) وإسحق ويعقوب ويوسف (ع) نلاحظ وجود مكثف للإبل! وأول ذكر للجمل في كل التوراة كان عند مصالحة إبراهيم مع فرعه (فرعون) الذي أهدى إليه فيما أهدى جمالاً! ففي زمانهم كان الجمل معروفاً في الحبشة والصومال واليمن والحجاز ونجد بينما لم يكن معروفاً في بلاد الرافدين والشام وبلاد القبط؛ حيث لم يدخل الجمل إلا مع قمبيز الفارسي الذي ساعده عرب من الجزيرة فحملوا المياه والعتاد لجيشه على ظهور الإبل عبر سيناء للوصول إلى أرض القبط. وللتذكير فإن الباحث التوراتي الأمريكي الدكتور ألبرايت جاء إلى المنطقة العربية بعد الحرب العالمية الثانية وقام على مدى سنين عديدة بدراسة عظام الحيوانات في المواقع الأثرية وتبين له عدم وجود عظام جمال خارج الجزيرة العربية وجنوبها قبل القرن 11 ق م. وفي إريتريا حيث مملكة مطرة كما ذكرنا آنفاً نجد آثار بلاد عظيمة

ونرى مسلات تذكر بمسلات بلاد النيل المعروفة. كما نجد أن الجمل هناك هو الحيوان الوطني إذا جاز التعبير، ونرى صورته حتى اليوم على العلم الجمهوري؛ بينما كل جداريات معابد النيل القبطية خالية من صور الإبل! وأرض الكنانة غير منتجة لها بل تستورد كل احتياجاتها من السودان. كذلك لا نرى صور الإبل في جداريات الرافدين قبل العهد الأثوري، وهم أول من غزا الجزيرة.

11) كذلك هناك ذكر للأبقار الكثيرة التي أخرجوها معهم من مصر[1]، والتي بقيت كثيرة معهم في التيه وهو ما ليس ممكناً في حال سيناء الحالية لعدم قدرة الأبقار على التكيف مع جوها الحار.

أدلة من القرآن

1) عندما ذكر النبي (ص) لأصحابه مشاهداته ليلة الإسراء والمعراج ورؤيته للأنبياء سألوه أن يصف لهم موسى فماذا قال؟ كأنه من أزد شنوءة! أي لم يكن يشبه لا الأقباط ولا أهل الشام!

2) أكد القرآن ما جاء في التوراة تكراراً عن استعمال الإبل في أرض مصر وذلك في قصة يوسف (ع)؛ وقد أشرنا إلى ذلك آنفاً:

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾[2].

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[3].

3) في معرض وصف القرآن لفرعون ذكر:

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾[4].

والقرآن يفسر بعضه بعضاً والأوتاد هي الجبال

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[5].

(1) سفر الخروج، الإصحاح 12، الجملة: 38.
(2) سورة يوسف، الآية: 72.
(3) سورة يوسف، الآية: 70.
(4) سورة الفجر، الآية: 10.
(5) سورة النبأ، الآية: 7.

فيكون فرعون هو ملك بلاد جبلية، وهضبة أثيوبيا هي هضبة جبلية بامتياز؛ بينما قام المفسرون بتفسير الأوتاد بالجنود لأنهم يعرفون بأن أرض الكنانة ليست بلاداً جبلية.

4) وقال فرعون يصف حاله وبلاده:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

وهو بذلك يؤكد أنه في بلاد يسيل فيها أكثر من نهر، بينما في بلاد الأقباط لا يسيل سوى نهر واحد هو النيل؛ أما هضبة إثيوبيا فتنبع منها أنهار عظيمة مثل عطبرة والنيلين الأبيض والأزرق، وجوبا شمالاً.

5) ماذا طلب فرعون من وزيره هامان؟

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[2].

فلو كان فرعون وهامان في بلاد القبط لما طلب منه هذا الطلب لأن الهرم الأكبر كان يصلح كأعظم مرصد عرفه العالم في تاريخه، وبقي حتى العام 1889 (إنشاء برج إيفل بباريس) أعلى مبنى شيده البشر.

6) يكثر الكلام عن السحر والسحرة وكأنهما أمر مألوف في حياة سكان مصر وبلاط فرعونها، وليس في جداريات وبرديات بلاد القبط ما يشير إلى أهمية السحر؛ في وقت نجد للسحر الأسود مكانة مرموقة في كل الحضارات الإفريقية.

7) قال فرعون كلمته الشهيرة:

﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[3].

والمعروف لدى علماء المصريات أن عبادة إله أوحد هو عاهل البلاد لم تكن معروفة في بلاد القبط بزمن موسى وهو منتصف الألفية الثانية ق.م. وكانت الآلهة عندهم على ثلاث فئات:

أ - الآلهة الثمانية العليا.

---

(1) سورة الزخرف، الآية: 51.
(2) سورة القصص، الآية: 38.
(3) سورة النازعات، الآية: 24.

ب - الأربعة التي تليها عند المستعبدين.

ج - جماعة أوزيريس.

أما عبادة عاهل البلاد فكان ديانة إفريقية وهو ما ينطبق على أثيوبيا.

8) جاء في تهديد فرعون للسحرة بعد أن آمنوا بموسى:

﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(1).

هنا لا تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف ولا الصلب في جذوع النخل كان من عادات التعذيب والتنكيل والإعدام في بلاد القبط وكذلك كان الحال في قصة يوسف بالنسبة إلى زميليه في السجن عندما فسر لهما مناميهما:

يا صاحبي السجن... أما أحدكما...

﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ۚ﴾(2).

9) في تعداد المصائب التي حلت بأهل مصر قبل أن يأذن فرعون لبني اسرائيل بالخروج جاء:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾(3).

هنا تلفتنا كلمة الطوفان التي تذكر بطوفان نوح

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾(4).

وما كان ذاك الطوفان؟:

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾(5).

(1) سورة الشعراء، الآية: 49.
(2) سورة يوسف، الآية: 41.
(3) سورة الأعراف، الآية: 133.
(4) سورة العنكبوت، الآية: 14.
(5) سورة القمر، الآيات: 10 - 12.

فالطوفان في مصر هنا هو طوفان من إفراط في مطر السماء وليس فيضان نهر. وفي مصر كان فيضان النيل دائماً يعتبر نعمة وانحباسه نقمة. فإلى تشبع الأرض بالمياه إلى درجة تكون كافية لإنبات الزرع في موسم أو أكثر يأتي الطمي الغني بالمعادن والضروري لتجديد حيوية الأرض. ومن المؤكد أن المقصود هنا بلاد تعتمد على الغيث في زراعتها لا على فيضان أنهرها، وهضبة الحبشة من المناطق التي تعتمد الزراعة فيها على الأمطار بالدرجة الأولى. وفي قصة يوسف تأكيد لهذه الطبيعة ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1].

فهنا بلاد تعتمد الإعاشة فيها على مواد غذائية أساسية قابلة للعصر مثل السمسم والعنب والزيتون وجميعها متوافرة في أثيوبيا بينما عصب الحياة اليومية الغذائي في بلاد القبط كان دائماً الأرز والخبز والبقوليات.

وهناك أمر في غاية الأهمية أيضاً وهو ارتباط الجفاف في بلاد كنانة (كنعان) بالجفاف في أرض مصر! وهو ما لا يحدث بفلسطين التي تعتمد الزراعة فيها على مياه الأمطار؛ بينما الزراعة في بلاد القبط تعتمد على ري مياه النيل فقط. والاعتماد في أغلب أرض أثيوبيا هو على أمطار الرياح الموسمية؛ فالغيث هنا ضروري.

10) التأكيد على وجود الأبقار الأهلية معهم في التيه وهو ما ليس ممكناً كما أشرنا: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[2].

الفراعنة بالتراث العربي

ما ورد بالتراث العربي عن ملوك مصر العماليق اعتُبِرَ ضرباً من الخيال، ولا ندري إن كان المقصود به كلاماً عن غير بلاد القبط، أو إن كان له علاقة بالملوك الرعاة، وإن كنا نورده هنا فلمجرد الإحاطة بما تم تسجيله. بالقرآن فقط عاهل مصر في زمن موسى كان اسمه أو لقبه فرعون، وما من رابط قرآني بين مصر وإبراهيم، كما أن العاهل في زمن يوسف كان لقبه الملك. وفي اليمن كان لقب عاهل الحبشة هو

(1) سورة يوسف، الآية: 49.

(2) سورة البقرة، الآيات: 70 - 71.

الملك. أما بالتوراة فلقب ملوك مصر من إبراهيم حتى عصر نبو خذ نصر كان دائماً: فرعون. وذكر التابعي قتادة: الفراعنة ثلاثة: أولهم سنان «الأشل» صاحب سارة، كان في زمن الخليل (ع) بمصر، ثم الثاني «الريان بن الوليد»؛ وهو فرعون يوسف (ع)، ثم الثالث «الوليد بن مصعب» وهو فرعون موسى (ع)!

من مصر إلى سيناء والتيه

الأماكن المحتملة لإقامة بني إسرائيل في الحبشة هي أرض إكسوم، أما مركز الحكم فكان في مطيرة أو مطِرة (Metera or Matara) التي آلت لتكون اليوم داخل الحدود الأريترية. وبقيت علاقة بني إسرائيل بهذه الأرض مئات السنين، وحدث عند غزوة نبوخذ نصر للحجاز أن فر قسم من الدنون (من عجز هوازن) إلى إكسوم وأسسوا مملكة لغتها الجعزية (وهي عربية محلية) كانت تكتب بالحروف المسندية (ما زالت مستعملة بالكنائس إلى اليوم)، وديانتها الشريعة الموسوية! وكانت 10 قبائل من القبائل الإسرائيلية الـ 12 لا تعترف إلا بصحف إبراهيم وموسى الخمس التي تؤلف التوراة دون سائر كتب العهد القديم الأخرى، وهو ما نجد عليه كل يهود الحبشة. كذلك نجد بأن كل الشعب الأثيوبي اليوم بيهودييه ومسيحييه يمارس الختان للذكور وهو سنّة إبراهيمية بامتياز! وكان العاهل الإثيوبي الراحل هيلا السيلاسي يلقب بأسد يهوذة شأنه شأن الأباطرة من أجداده على اعتبار أنه من نسل سليمان (ع)، وهذا كما ذكرنا سابقاً تأويل إضافي للآية ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾[1] وهو ما لم يحدث بتاريخ بلاد القبط مطلقاً؛ أي أنها كانت تحت سلطة بني إسرائيل.

بخروج بني إسرائيل من إكسوم انحدروا عبر الهضاب الشرقية وصولاً إلى باب المندب وعبروه بعد حدوث معجزة الجزر والمد الطبيعية في خضم فوران جيولوجي كان يلف القرن الأفريقي مفجراً للبراكين ومزلزلاً للأرض. وبعد وصولهم إلى البر الآسيوي عند باب المندب ابتدأت حلقة جديدة قبل وصولهم إلى الأرض الموعودة.

تعتبر هذه الحلقة من أصعب الحلقات على جغرافيي التوراة لأنهم لم يستطيعوا أن يجزموا بتحقيق ولو موقع في رحلة تيه بني إسرائيل من البر المصري إلى الأرض

(1) سورة الشعراء، الآية: 59.

الموعودة وإنما كانت تخميناتهم تعتمد على الظن فقط. وبداية أقول بأن الأعداد التي أوردتها التوراة لتعداد من كانوا مع موسى في رحلة التيه مبالغة جداً؛ فمن المستحيل التصديق بإمكانية ستمئة ألف نفس التنقل والعيش في صحراء مجدبة لمدة أربعين سنة. كما أن سياق القصة نفسه يحمل على الاعتقاد بأن عددهم كان بضعة آلاف فقط لأن المجموعة التي تستظل تحت ما يقارب السبعين نخلة لا يمكن أن تتجاوز هذا العدد، كما أنه من الناحية اللوجستية يصعب كثيراً الإهتمام بجيش من الرجال الأشداء في الأجواء الصحراوية فكيف بشعب يضم العجائز والصغار والنساء والرضع. لقد انتقد الرواية التوراتية الكثير من المفكرين لا سيما ابن خلدون المؤرخ العربي الذي أشار في «المقدمة» إلى أهمية الموضوعية عند كتابة التاريخ، ولعل الأعداد غير المعقولة هي من المبالغات الشرقية المعهودة!

والرواية التوراتية تجعل من الصعب التصديق بالجغرافيا التقليدية أي بأن التيه كان في ما يسمى اليوم شبه جزيرة سيناء وبأنهم انتقلوا إلى جبل موسى حيث تلقى موسى الشرائع مكتوبة على الألواح ثم نزحوا بعدها إلى شرقي الأردن حيث جبنوا عن دخول الأرض الموعودة ولذلك عوقبوا بالعودة إلى صحراء سيناء حيث بقوا ما يقارب الأربعين سنة حتى فني كل الجيل الأول الذي رفض الامتثال لأمر ربه بالقتال لفتح الأرض المباركة. وهنا اعتراف خاص من التوراة نفسها بأن العمر التقريبي لحياة الإنسان في ذلك الوقت كان بحدود أربعين سنة وبذلك يتم تصحيح المبالغات في أعمار بعض من سبق ذكره من الأنبياء الذين قيل بأن بعضهم عمّر مئتين وبعضهم الآخر ثلاثمئة سنة!

نقد جغرافيا التيه التقليدية

تقول التوراة بأن الله أمر موسى أولاً بالتوجه ببني إسرائيل إلى جبل سيناء في منطقة (ح ر ي ب) حرب وربما بحر بالإقلاب. وعند الوصول إلى صحراء سين بدأت تنزل عليهم المن من السماء واستمر ذلك 40 سنة، ولم يعرف في تاريخ مصر أنها أنتجت من سيناء مادة حلوة تتساقط مع ندى الصباح بكميات تجارية قابلة للجمع والأكل. ثم عند وصولهم إلى جبل حرب/بحر كان الجبل بلا تردد بركاناً مضطرباً صعد إليه موسى مع السبعين رجلاً المختارين. وليس في شبه جزيرة سيناء كلها

منطقة بركانية واحدة فضلاً عن مواصفات جبل موسى المزعوم بسيناء اليوم البعيد عن طبيعة البراكين. وكان هناك منطقة قريبة من جبل حرب/ بحر سميت بماء ريبة لأن موسى طلب السقيا لبني اسرائيل عندها فأمره الله أن يضرب الصخرة بعصاه فتفجرت منها العيون، ولكن لتردده وشكه في ما أوحى الله إليه وخشيته من سخرية بني إسرائيل منه في حال عدم نزول الماء حرمه الله وأخاه هارون من دخول الأرض المقدسة فيما بعد، وليس بالقرب من جبل موسى في سيناء اليوم منطقة اسمها ماء ريبة. وفي أثناء وجودهم في منطقة الرفيديين (الرفود) تعرضوا لهجوم من العماليق، والمفروض بحسب الجغرافيين التقليديين أن تكون أراضي بني عمليق في شمالي الأردن لا في جنوب شبه جزيرة سيناء.

وسمع حمو موسى كاهن مدين فجاء بزوجة موسى وولديه وكان قد تركهما تحت رعايته بذهابه إلى مصر. وبحسب الجغرافيا التقليدية فإن مدين هي في أقصى الشمال الغربي للمملكة العربية السعودية عند البدع وهي منطقة بعيدة جداً بمقياس تلك الأيام عن جنوب سيناء لحاجتهم الذهاب شمالاً ثم الالتفاف عند العقبة.

ثم أرسل موسى من (ق د ش ب ر ن ى ع) كدسة بلعير اليوم وهي بجنوب الأرض المباركة 12 كشافاً ليتفقدوا الأرض فعادوا وقد رأوا بأن الأرض تفيض حليباً وأدباساً! كما عادوا بعينة من عناقيد العنب التي احتاجت لرجلين كي يحملا العنقود الواحد! وليس في فلسطين كلها بل في سوريا إنتاج لعنب تنطبق عليه هذه الأحجام. كان الخوف يملأ قلوب عشرة منهم بينما كانت الحماسة تملأ قلبي يوشع بن نون وكليب بن جفنة. وكان أن تمرد بنو إسرائيل ورفضوا بشدة أن يحاربوا لخوفهم من بني عناق (غميقة) الطوال القامة، فكان أن أصدر الله حكمه عليهم بالعودة إلى البرية وأنه باستثناء يوشع وكليب فإن كل الجيل من الكبار سيكون محروماً من دخول الأرض المباركة وأن صغارهم هم الذين سيملكونها بعد أربعين سنة، فأقاموا في عدة محطات أغلبها بمحيط تهامة عسير وبلاد الحجر.

الجغرافيا الصحيحة المحتملة للتيه

بداية عبر بنو إسرائيل باب المندب متجهين من البر الأفريقي إلى البر الآسيوي. وباب المندب هو مجمع البحرين الذي ورد في القرآن:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[1].

وباب المندب هو المنطقة الوحيدة في الشرق الأوسط التي ينطبق عليها وصف مجمع البحرين ذلك أن رأس مسندم يجمع بين بحر عُمان والخليج العربي كما أن رأس محمد يجمع بين البحر الأحمر وخليج العقبة، بينما باب المندب يجمع بين البحر الأحمر وبحر العرب. بعدها انتقلوا إلى منطقة رجال ألمع ثم إلى رفود (رفيديم) عسير حيث هاجمهم العماليق، وعند مربة (ماء ريبة) استسقى موسى لقومه وضرب الصخرة التي انفجرت منها 12 عيناً:

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾[2].

ثم توجهوا إلى جنوب وادي قنا/بحر سكينة حيث المنطقة ذات نشاط بركاني، وهناك صعد موسى إلى الجبل المقدس (طور سيناء المسمى أيضاً سينين) حيث كانت النار وحيث رفع الله الطور:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

وهنا كتبت القدرة الإلهية على الألواح. وجاء من منطقة بر مديني المجاورة لفرعة سنان اليوم عترو (ى ت ر و) (أو حبّاب القناوي) حمو موسى الذي استبقى عنده عائلته عند عودته إلى مصر فهنأه بسلامة العودة وعلى كل ما أجراه الله لموسى ولإسرائيل وشعبه.

وفي الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من مصر أمرهم الله بالخروج والاستعداد لدخول الأرض المباركة فارتحلوا من أمام جبل سيناء (قرب فرعة سنان اليوم) باتجاه بحر صوفة (البحر الأحمر) وتوقفوا في قبرية جبل التهوى حيث التقطوا طيور السلوى وجففوها، ثم هلك الكثيرون من أكل قديدها. ثم انتقلوا إلى منطقة بني حضاريت بمنطقة كياد. ثم انتقلوا فيما بعد إلى كدسة بلعير (ق د ش ب ر ن ى ع)

(1) سورة الكهف، الآية: 60.
(2) سورة البقرة، الآية: 60.
(3) سورة البقرة، الآية: 63.

جنوب القوز ومن هنالك أرسل موسى الـ 12 نقيباً (كشافاً) ليتفحّصوا طبيعة الأرض الموعودة. وعادوا بعد 40 يوماً ومعهم العناقيد الكبيرة (زنة العنقود الواحد قد تتجاوز العشرين كيلوغراماً؛ وهذا معروف بالسراة وغير معروف بفلسطين). إلا أن عشرة من الـ 12 نقيباً ممن اختارهم موسى كانوا خائفين، أما يشوع وكليب فكانا يحثان الناس على المضي لفتح الأرض امتثالاً لوعد الله لهم بالنصر:

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

لكن الجموع نفرت وقالت لموسى:

﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[2].

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[3].

وبسبب عدم إيمانهم قضى بنو إسرائيل أربعين سنة متنقلين في تهامة مع إقامات متقطعة. وكانت الكدسة (ق د ش ه) هي الموقع الذي قضوا فيه معظم سنيّهم بالبرية. وهنا ماتت مريم أخت موسى.

بالنسبة إلى جغرافيي التوراة التقليديين فإن من بين جميع المحطات الواردة في مرحلة التيه لم يتم التحقيق ظناً سوى بمكانين هما قادش برنيع في وسط سيناء وعصيون جابر عند العقبة وفي ما عدا ذلك فليس من أثر لأي أماكن قابلة للاستيطان أو التوقف في كل جنوب سيناء. وبرأيي أنه حتى هذين المكانين خاطئان لأن قادش هي الكدسة جنوب القنفذة، وعصيون جابر (ميناء النبي سليمان الشهير كما سنرى) لا يمكن أن يكون قرب إيلات لعدم وجود ملاحة شراعية بشمال البحر الأحمر في كل الألفية الثانية والأولى قبل الميلاد لأن الرياح الموسمية لا تصل شمالاً إلى أبعد من مدينة الوجه على الجانب السعودي من البحر الأحمر والواقعة شمال غربي المدينة المنورة.

---

(1) سورة المائدة، الآية: 23.

(2) سورة المائدة، الآية: 22.

(3) سورة المائدة، الآية: 24.

أطول سورة بالقرآن هي سورة البقرة وكلنا يعرف القصة بأن موسى أخبر بني إسرائيل بأن الله يأمرهم بأن يذبحوا بقرة! فأجابوه بأن البقر تشابه عليهم ربما لكثرته بينهم! ولم يخطر ببال المفسرين الأجلاء بأنه لا حياة طبيعية للأبقار بسيناء المعروفة اليوم! وأضافت الآيات مواصفات الأراضي التي كانت واقعة بجوارهم:

إنه يقول إنها بقرة: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾[1].

أي إنها لم تستخدم من قبل بالزراعة! فلابد أنهم كانوا على مقربة من وديان زراعية تستخدم فيها الأبقار في حرث الأراضي الزراعية؛ وهو واقع الحال في وديان عسير وشهر التهامية، بينما الزراعة شحيحة في سيناء لقلة الأمطار، وإن زرع بإحدى الواحات فإن الجمل كان هو المسخّر فيها!وفي بلاد بارق بتهامة عسير واد باسم وادي بقرة تسكنه عشيرة بالاسم نفسه، فلا نستبعد علاقة للتسمية بقصة بقرة بني إسرائيل التي عادوا فذبحوها.

ولنتذكر دائماً التشابه اللفظي بين كلمتي التيه وتهامة، وكان اسم البحر الأحمر قديماً بحر صوفة كما ورد بالرسائل النبوية (ما مس بحر صوفة).

خلاصة: مصر التوراة والقرآن ليست بلاد القبط بل الحبشة. ترجمة التوراة أول مرة اللغة اليونانية بالإسكندرية في القرن الثالث ق.م. بتوصية من الملك بطليموس لضم الكتاب لمكتبتها الشهيرة ولزيادة ولاء الجالية اليهودية المزدهرة، ومصر في هذه الترجمة مذكورة «مصرايم». ويبدو أن العلماء الذين وُجدوا مازالوا يتقنون اللغة العبرية القديمة كانوا سبعين نفراً؛ فلذلك سميت بالسبعينية. وفيما بعد تمت ترجمة التوراة للغات أخرى عن هذه الترجمة اليونانية مثل الآرامية التي تمت في فلسطين، لكن التفاسير بدأت شيئاً فشيئاً تنتحل أن مصر هي بلاد القبط وكنعان هي أرض فلسطين وآرام هي سوريا! وربما تم ذلك لزيادة الولاء لأراضي المهجر ولاستقلال القرار الديني عن الجزيرة التي ربما لم يعد فيها يهود بعد نزوح الهاشميين (الحشمونيين بالتحريف) من مكة بالقرنين الذين سبقا الميلاد.

(1) سورة البقرة، الآية: 71.

موسى (ع) من مصر إلى التيه

إخفاء بعض آيات صحف موسى:

أكثر نبي ذكر بآيات القرآن الكريم كان موسى (ع): 136 مرة، ومنذ قام الدين الحنيف على أيام سيدنا إبراهيم (ع) لم يخرج عن الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح. وفي قصة موسى القرآنية هناك تكرار وتركيز على قصة اليوم الآخر بينما تخلو كل الأسفار التوراتية من الإشارة إليها.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[1].

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[2].

هنا نرى أن أول كلمة كانت لتعريف الله عن نفسه لموسى وقد وردت أيضاً بسفر الخروج[3]، إنما الكلمة الثانية عن الساعة والحساب مفقودة تماماً وبالتالي لا بد أخفيت لسبب، وقد جاء القرآن ليبين هذه الحقيقة. ونرى التعاليم التلمودية التي تفسر وتعلم أصول الدين بحسب الشريعة الموسوية تتطرق إلى مبدأ العدالة السرمدية والجزاء في الآخرة لكنها تنسبها لتراث شفوي تلقاه موسى بالإضافة للنصوص المكتوبة!

في فصل الخطوط العربية الأولى تطرقنا إلى موضوع **التحريف** الذي ذكره القرآن

(1) سورة طه، الآية: 14.
(2) سورة طه، الآية: 15.
(3) سفر الخروج، الإصحاح 3، الجملة: 6.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[1] وهنا موضوع ثانٍ تطرقت إليه الآيات القرآنية نسبة لما فعلته اليهود بنصوص التوراة لجهة الآخرة وهو **الإخفاء**! فقد جاء بسورة الأنعام:

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾[2].

موسى وفرعون

هناك شخصية واحدة في القرآن اسمها فرعون وكان ملكاً على مصر.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[3]، ليس فقط بمعنى أنه استعلى وعلا شأنه بل إنه ملك على بلاد تتميز بطبيعة هضابية مثل الحبشة.

«ثم قام ملك جديد على مصر[4] لم يكن يعرف يوسف. فقال لشعبه هوذا بنو إسرائيل شعب أكبر وأعظم منا. هلم نحتاط لهم لئلا يزدادوا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون لأعدائنا ويحاربوننا **ويصعدون من الأرض**». فاضطهد فرعون قوم موسى وكان في دفاعه عن أحدهم أن ارتكب جريمة ثم فر منهم إلى مدين (برمديني جنوب وادي قنا التهامي):

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[5].

ومدين هي اليوم منطقة بر مديني جنوب وادي قنا التهامي، والقصة تقول بأن الشيخ الذي تزوج موسى إحدى ابنتيه كان كاهن مدين الذي يدعى عترو (ى و ت ر و) وأنه عند عودة موسى إلى مصر أبقى زوجته وأولاده في رعاية حميه. وفي مكان آخر من قصة

(1) سورة المائدة، الآية: 13.
(2) سورة الأنعام، الآية: 91.
(3) سورة القصص، الآية: 4.
(4) سفر الخروج، الإصحاح 1، الجملة: 8.
(5) سورة القصص، الآية: 22.

«البرّاق وزبارة»[1] نعلم أن حمي موسى كانت كنيته القناوي وكان اسمه حباب، وما زالت هناك قرية الحباب بمنطقة بارق. وشعيب القرآن كذبه قومه، فأخذتهم الرجفة ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[2]. ولا يخبرنا القرآن تفاصيل عن موقع مدين إلا أنه يقول في سورة هود:

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾[3].

والمقصود بالقرب هنا المكان لا الزمان لأن بينهم وبين زمن لوط أكثر من أربع مئة سنة، وكنا في فصل إبراهيم قد أوضحنا بأن مدين شعيب كانوا المدان بنجد ثقيف ترعة، وأن قوم لوط كانوا بسراة زهران!

وادي قنا هو أحد فروع وادي حلي العليا، وشماله كان وادي طيه الذي قد يكون طوى القرآني. مكث موسى ببر مديني (قنا) عشر سنوات في خدمة الشيخ الذي زوّجه ابنته. وتذكر الآيات من ثم أنه كان وأهله في مكان ما بقطع من الليل فرأى ناراً:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾[4].

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[5].

(1) سفر القضاة، الإصحاح 4: الجملة: 11.
(2) سورة الأعراف، الآية: 93.
(3) سورة هود، الآية: 89.
(4) سورة طه، الآيات: 9 - 13.
(5) سورة القصص، الآيتان 29 - 30.

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۞ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۞ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۞ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۞ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾[1].

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2].

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾[3].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[4].

كلمة طغى ترمز إلى ادعاء فرعون الألوهية، وكلمة يتذكر ربما ترمز إلى رسالة يوسف في أرض مصر التي آمن بها بعض أهلها ومنهم الذي كان يذكّرهم بما حدث لقوم نوح وعاد وثمود! ولو كانوا في وادي النيل لربما ذكر إدريس (أوزيريس) فيمن ذكر من الأنبياء، ونرى فرعون يقول: أليس لي ملك مصر؟ ومن المعروف أن الأقباط القدماء أطلقوا على بلادهم لا مصر بل «**إيكمت**» **ولعل** «**إيجبت**» اليونانية مشتقة منها. وكلمة بيرو المذكورة بالنقوش ليست اسماً لحاكم بل معناها «الباب الكبير» مثلما يقال الباب العالي أو البيت الأبيض ليعني مركز القرار في الدولة. كما أن قوله ﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ لا تصح في أرض النيل التي ليس فيها سوى نهر واحد، ولتكون تجري من تحته يجب أن يكون في الأعالي فوقها؛ وهذا لا يصح في منطقتنا إلا بهضبة الحبشة التي تسيل منها الأنهار في جميع الاتجاهات ولا سيما باتجاه الشمال لتكوّن أهم روافد النيل (الأبيض والأزرق وعطبرة).

(1) سورة طه، الآيات: 42 - 47.
(2) سورة الزخرف، الآية: 51.
(3) سورة غافر، الآية: 31.
(4) سورة غافر، الآيتان: 23 و24.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[1].

فهل يعقل لملك الأقباط أن يطلب من وزيره أن يبني له صرحاً من الطين ليكون له (مرصداً) بوجود الأهرامات العظيمة التي كانت موجودة قبل عصر موسى بألف عام!

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[2].

والطوفان النقمة كما فسره ابن عباس وهو كثرة الأمطار وليس الفيضان الذي له في مصر مفهوم النعمة التي يأتي بها سنوياً من جراء الطمي الذي يزيد من خصوبة التربة ويجدد من حيويتها.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۞ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۞ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ۞ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[3]. وهنا نذكر بأنه لم يحدث في التاريخ قط أن بني إسرائيل تملكوا أرض مصر!

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[4].

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۞ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[5].

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۞ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[6].

(1) سورة القصص، الآية: 38.
(2) سورة الأعراف، الآيتان: 132 و133.
(3) سورة الشعراء، الآيات: 53 - 59.
(4) سورة الشعراء ، الآية: 52.
(5) سورة الشعراء، الآيات: 60 - 62.
(6) سورة طه، الآيتان: 77 و78.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۞ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۞ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

هنا يخرج بنو اسرائيل في الليل من إكسوم بمرتفعات الحبشة ومروا بريمس[2] ثم بسقوطة ثم بأدامة. ويتبعهم جنود فرعون في الصباح (مشرقين) عندما علموا بالأمر، ولا نعلم كم استمرت المطاردة ولكن مرويات العهد القديم تخبرنا أن الله كان قبالهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم[3] والتفسير الوحيد لهذه الظاهرة الطبيعية هو وجود براكين على الطريق ترسل الدخان بالنهار وتضيء نيرانها لهم بالليل. وإذا نظرنا إلى الخارطة الجيولوجية لمنطقة الشرق الأوسط لوجدنا أكبر تجمع براكين فيها على خط الفالق الإفريقي العظيم الممتد من شمال الحجاز إلى الأخدود في شرق إفريقيا من حيث انطلق بنو اسرائيل من إقليم اكسوم حتى وصلوا إلى البحر أمام باب المندب حيث أدركهم فرعون وجنوده. ولو كانوا في أرض النيل لاجتازوا الممر البري الذي شقته قناة السويس فيما بعد ولما احتاجوا للوقوف أمام البحر وانتظار معجزة. فإن قال قائل بأن الفراعنة كانوا يسدون هذا الممر بسواتر رملية عالية لمنع الغزو عن أرض مصر لأجبنا بأن الخروج حدث في نهاية أيام الملوك الرعاة (الهكسوس) الذين أهملوا هذا الساتر تماماً لأن الإمدادات كانت تأتيهم عن طريق سيناء ولذلك فأرضه كانت أرض مساعدة لتثبيت احتلالهم للأرض ولم يكونوا يخشون غزواً خارجياً عبره!

عند مجمع البحرين بباب المندب قال أصحاب موسى «إنا لمدركون» لأن البحر من أمامهم والعدو من ورائهم. فماذا حدث؟ طلب الله من موسى أن يعبر بني اسرائيل من أماكن جافة ما أمكن إلى أن وصل إلى منطقة عميقة نسبياً؛ وهنا طلب منه أن يضرب البحر بعصاه فانفلق البحر مخلياً لهم طريقاً يبساً ساروا عليها.

(1) سورة الشعراء، الآيات: 63 - 67.
(2) سفر العدد، الإصحاح 33، الجملة: 5.
(3) سفر الخروج، الإصحاح 13، الجملة: 21.

والتفسير العلمي لهذه المعجزة أنها بمعرفة توقيتها وهذا هو المقصود بـ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فالهداية هنا كانت هداية توقيت. أما البراكين الثائرة فتشير إلى اضطراب جيولوجي في المنطقة، ومنطقة باب المندب هي أضعف منطقة زلزالية في كل الشرق الأوسط لتحرك الكتلة الآسيوية فيها عن الكتلة الافريقية، فالضرب بالعصا لم يقدم ولم يؤخر؛ بل هو مثل: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ بقصة مريم بنت عمران عندما جاءها المخاض؛ أي الأخذ بالأسباب ولو على شكل صوري. حدث زلزال كبير في المنطقة التي كانت تشهد أيضاً فورة بركانية وهذا الزلزال أدى إلى حدوث جزر هائل مكّن بني اسرائيل من العبور بسلام إلى الضفة الأخرى علماً أنها في تلك الأيام لم تكن عميقة بل إن أهل الأخبار في الصومال يؤكدون أنه في الزمن القديم كانوا يعبرون إلى اليمن على ظهور الجمال. وفي وقت أقرب كانوا يعبرون المضيق على طوافات بسيطة معومة على قرب الماء. وقد ذكر ابن المجاور كلاماً مشابهاً عن باب المندب![1]

لنلاحظ دقة الآيات:

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾[2].

قد يكون المعنى أن اتجاههم كان شرقاً؛ وهذا موقع البر اليمني من الساحل الإفريقي، وقد يكون أن تحركهم كان وقت الشروق وهو وقت الجزر الذي مكنهم من العبور! وبعد الجزر عاد البحر وارتد بمد عظيم أغرق فرعون وجنوده ولذلك ذكرت الآيات البحر في البداية ثم اليم فيما بعد عند إغراق المصريين لأن اليم يرمز إلى المد والجزر.

ثم تمضي الآيات القرآنية فتقول:

﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[3].

وهنا نتساءل لو كانت مصر القرآنية أرض النيل فمتى ورثها بنو اسرائيل؟ هذا لم

(1) صفة اليمن، ابن المجاور، ص: 95.
(2) سورة الشعراء، الآية: 60
(3) سورة الشعراء، الآيات: 57 - 59.

يحدث قط في التاريخ! بينما إذا سرنا في نظرية أن مصر هي الحبشة نرى أنه فيما بعد تزوج نبي الله سليمان ماجدة ملكة سبأ (وكانت تملك على اليمن والحبشة) فرزقهما الله من هذا الزواج ولداً عيّنته فيما بعد ملكاً تحت عرشها على الحبشة. وكما ذكرنا سابقاً فإن أمبراطور الحبشة الراحل هيلا السيلاسي كان دائماً يردد أنه من سلالة أسد هوذة الذي هو ابن سليمان والمؤسس الأول للأسرة الملكية في الحبشة. وهناك الرواية الثانية الأكثر معقولية وهو زواجه من إبنة فرعون ملك مصر[1].

وقد حدث لغط حول الآية 92 من سورة يونس: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ !﴾[2].

فهناك من أقحم إحدى مومياءات بلاد القبط وربطها بهذه الآية بلا دليل؛ بينما كل المسألة المراد منها أن اليم قذف بجثة فرعون إلى الشاطئ حتى يتبين لقوم فرعون بأنه بشر ميت وليس إلهاً خالداً!

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[3].

فأين كانت هذه الأرض المباركة؟

الطريق إلى سيناء محطة التشريع

بعد نجاتهم من فرعون وجنوده أصبح بنو اسرائيل في المقلب الشرقي لباب المندب وهو مجمع البحرين المذكور في القرآن حيث وقائع القصة الشهيرة مع العبد الصالح والمذكورة في القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[4].

والبحران هما بحر العرب والبحر الأحمر (بحر صوفة بلغة العهد القديم).

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 11، الجملة: 1.
(2) سورة يونس، الآية: 92.
(3) سورة الأعراف، الآية: 137.
(4) سورة الكهف، الآية: 60.

وفي قصة الخروج[1]:

«وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلاستيين مع أنها قريبة. لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر»! لأن نيتهم كانت بادئ ذي بدء العودة إلى منطقة أجدادهم لدفن عظام يوسف مع آبائه وأجداده بأعالي محافظة أضم، واستخدامها كنقطة انطلاق للصعود إلى مكة وهي الطريق الأقرب. وكان في طريقهم أرض الفلاستيين بأعراض تهامة من الجايزة حتى قرين عرفة.

وتمضي القصة التوراتية[2] **أنه بعد غرق فرعون وقومه:**

«يسمع الشعوب فيرتعدون. تأخذ الرعدة السكان الفلاستيين. حينئذٍ يندهش أمراء أدوم. أقوياء منهب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنانة. تقع عليهم الهيبة والرعب. بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته. تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك».

ولا شك بأن الوصف هنا هو لحالة الشعوب المتاخمة بعدما أحسوا بالزلزال الكبير الذي حدث في المنطقة وليس أبداً من جراء غرق فرعون وقومه ونجاة موسى وبني اسرائيل. ومن منطقة باب المندب أو مجمع البحرين انتقل بنو اسرائيل إلى تهامة فعبروا[3] وادي مرة (6 كلم جنوب البرك) ومنها إلى جي سين التي هي ضنك (ضنكان) كما بنسخة أخرى، حيث نظموا صفوفهم إذ قسمهم موسى إلى اثنتي عشرة فرقة على رأس كل فرقة قائد:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4].

(1) سفر الخروج، الإصحاح 13، الجملة: 17.
(2) سفر الخروج، الإصحاح 15، الجملة: 14.
(3) سفر العدد، الإصحاح 33، الجملة: 8.
(4) سورة الأعراف، الآية: 160.

وتخبرنا مرويات العهد القديم أن ضرب الحجر قد تم في منطقة مربة بتهامة عسير. ويبدو أن العماليق الساكنين بالمنطقة وبلادهم كانت بأصدار تهامة بين وادي الشرى شمالاً والرفود جنوباً غرب أبها تصدوا لهم بعد ثلاثة شهور من وصولهم[1]. وربما بنو عجاجة اليوم من بقيتهم لأن زعيمهم بزمن شاول/طالوت كان اسمه عجاج.

وفي البرية بمنطقة سيناء أو سينين (قرب فرعة سنان جنوب قنا والبحر) بالصيغة القرآنية تحت جبل الطور/السراة كانت محطة فاصلة؛ لأن إيمانهم كان ما زال ضعيفاً، وكنا رأينا التالي بعد عبورهم إلى بر الأمان ونجاتهم من فرعون وقومه:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2].

وحتى موسى بعد تأنيبه لبني قومه نراه يتخذ موقفاً يذكرنا بموقف سيدنا ابراهيم من البعث بعد الموت عندما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[3]، فنراه يطلب شيئاً عجيباً:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[4].

---

(1) سفر الخروج، الإصحاح 17، الجملة: 8.

(2) سورة الأعراف، الآيات: 138 - 140.

(3) سورة البقرة، الآية: 260.

(4) سورة الأعراف، الآيتان: 143 و144.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۞ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ۞ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۞ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۞ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۞ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۞ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾[1].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2].

ولتقديم الطاعة وإبداء التوبة والندم على ما اقترفوا من إثم اختار موسى من قومه جماعة لمناجاة ربهم وطلب المغفرة:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ﴾[3].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4].

فالآيات تدل بوضوح على أنهم كانوا في حالة وعي شبه بدائية لا يستقيم معها لا الإيمان بالغيب ولا بإله مطلق بعيد عن التجسيد والتشخيص وهذه كانت حال الناس

(1) سورة طه، الآيات: 88 - 91.
(2) سورة البقرة، الآية: 54.
(3) سورة الأعراف، الآيتان: 155 و156.
(4) سورة البقرة، الآيتان: 55 و56.

عموماً؛ بل إن بني اسرائيل كانوا في حالة وعي متقدمة على باقي الشعوب لإيمانهم بإله واحد وباليوم الآخر ولذلك سمح لهم ربهم بإخراج الشعوب التي سيأتي ذكرها من الأرض التي بارك فيها لأن بني اسرائيل - في أيامهم - وحدهم تقريباً كانوا من الموحدين أو هكذا كانت تعاليم دينهم على الأقل بينما كانت سائر الشعوب في الجزيرة تعبد البعل والعثر وباقي الكواكب وغير الكواكب؛ ما عدا الإسماعيليين والأدوميين (العدنانيين) ومن بقي على ملة هود وصالح (ع).

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

وكلمة مختصرة عن خطوط الكتابة قبل الوصول إلى الألواح: سبق وذكرنا أن الكتابة بخط المساند كانت منتشرة في أكثر مناطق الجزيرة وفي الحبشة أيضاً والتاريخ اليمني القديم يؤكد أنه كثيراً ما كانت الدولة اليمنية حاكمة على الحبشة وفي بعض الأحيان كانت الدولة في الحبشة هي الأقوى وهي الحاكمة والمالكة على اليمن. والغريب أن علماء التوراة يتجاهلون حقيقة أن بني اسرائيل كانوا في مصر مدة 430 سنة وبالتالي كانوا لا يعرفون كتابة غير الهيروغليفية وفجأة عند عبورهم إلى سيناء تصبح الأحرف التي كتبت على الألواح لموسى (ع) بأبجدية غريبة عنهم تسمى بالسينائية! كأن صحراء سيناء كانت نقطة إشعاع حضاري متقدمة على بلاد ما بين النهرين والشام التي كانت تكتب بالمسمارية وعلى أرض النيل التي كانت تكتب بالهيروغليفية؛ وكل ذلك لتبرير أن جغرافيا الخروج كانت من أرض النيل وما يعرف اليوم بشبه جزيرة سيناء.

وفي الواقع فإن الألواح التي في نسختها هدى ونور والتابوت الذي ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾[2] هما انعكاس للحال المادية وليس المعنوية التي كان عليها بنو اسرائيل؛ فهم كانوا على غير استعداد لتنفيذ أوامر سماوية موحاة إلى موسى بل أرادوا تصديق شيء ملموس كحال جميع الناس في تلك الايام لأن فرعون أيضاً كان قد قال لقومه:

(1) سورة الأعراف، الآية: 145.

(2) سورة البقرة، الآية: 248.

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[1].

بينما الذي آمن بموسى من قوم فرعون قال:

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[2].

إذاً أرادوا تصديق شيء ملموس فنزلت الوصايا العشر مكتوبة على ألواح محسوسة ووضعت في صندوق خشبي (تابوت) على شكل عرش محمول وعليه أشكال ملائكة كأنها تحمل العرش. وكان بنو اسرائيل يعتقدون بأن (يهوه) «هو» أو «الله» هو **روح غير مرئية ولكنها تسكن في الصندوق** الذي وضع في خيمة بينهم!

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[3] وليس وحياً فقط.

وكان كلما احتاج ذهب إلى الخيمة على مرأى من بني اسرائيل في تيههم وخرج اليهم فيما بعد بالأوامر. وكانوا يحملون التابوت معهم أينما رحلوا ليتذكروا بأن الله معهم. وجاء في الذكر الحكيم عن التابوت أنه ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4] والمقصود بالسكينة طمأنينة القلب وراحة البال التي تأتي من الإيمان بالملموس وليس بالغيب.

وعند الطور أُمِرَ موسى بالصعود إلى الجبل و هناك كلّمه ربه عز و جل فأمره حينئذٍ بالوصايا العشر:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[5].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[6]

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا

(1) سورة غافر، الآية: 29.
(2) سورة غافر، الآية: 39.
(3) سورة النساء، الآية: 164.
(4) سورة البقرة، الآية: 248.
(5) سورة الأعراف، الآية: 142.
(6) سورة الأعراف، الآية: 145.

ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ﴾[1].

ثم أخبره ربه بحدود الأرض المقدسة التي كتبها لبني اسرائيل، ولا تخبرنا الآيات القرآنية بحدود هذه الأرض ولكن مرويات العهد القديم ذكرت في الإصحاح 34 من سفر العدد أن تخومها هي بحر صوفة (البحر الأحمر) غرباً إلى جبال تهامة وسراة جنوب الطائف شرقاً، ومن وادي الجزل شمالاً إلى وادي نخلان جنوباً. ولكن عندما دقت ساعة الجد جبنوا عن دخول الأرض التي وعدهم الله بها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[2].

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[3].

محطات التيه:

من قصة التيه[4] يتبين لنا أن جبل سيناء هو جبل بركاني ولعله الواقع 4 كلم جنوب

(1) سورة الأنعام، الآيات: 151 - 153.
(2) سورة المائدة، الآيات: 20 - 22.
(3) سورة المائدة، الآيات: 24 - 26.
(4) سفر الخروج، الإصحاح 19، الجملة: 2.

بر مديني الواقعة 25 كلم جنوب منطقة بحرسكينة، وسفرالعدد 33 فيه ملخص لكل محطات التيه.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾[1].

ولا بد أن لائحة المحطات التي توقف عندها بنو إسرائيل في الأربعين سنة من التيه قد أصابت جغرافيي التوراة بالدوار! وكيف يحددون ثلاثين مكاناً في منطقة قاحلة وشبه خالية من السكان مثل ما يعرف اليوم بشبه جزيرة سيناء. لقد عدد[2] سفر العدد هذه المحطات كما يلي وقد اجتهدت في تحديد بعض المواقع المشار إليها بين الأقواس وهي أسماء سيأتي يوم يحقق فيه غيري المزيد. بعد عبورهم مضيق باب المندب وصلوا إلى البرية وساروا مسيرة ثلاثة أيام في برية (ء ت م) التهام ونزلوا في (م ر ه) وادي مرة 6 كلم جنوب البرك بتهامة ثم ارتحلوا إلى (ء ى ل م) ألمع ثم عادوا ونزلوا على بحر صوفة (البحر الأحمر) ثم لبرية سنا (فرعة سنان) ونزلوا في دفقة ثم بـ (ء ل و ش)، ثم في رفيدين (الرفود من قبائل قنا)، ثم عادوا لبرية سنا (فرعة سنان 5 كلم غرب آل فروان جنوب لتين) ثم إلى قرب جبل التهوى (ه ت ء و ة) ثم إلى (ح ص ر ة) خضرا بخبت كياد ثم (ر تم ه) أم رهطٍ قرب بحر سكينة ثم في (رم ن ف ر ص) جبل ريمان المجاردة أو ريم عند الشقيق، ثم في لبنة ثم في (رس ه) الريث ثم (ق ه ل ت ه) قحمة ثم في جبل صيفر، ثم في (ح ر د ه) حريضة ثم في (م ق ه ل ة) مخلوطة ثم في (ت ح ة) طحاحين محايل ثم في (ت ر ح) طارخ ثم في (م ت ق ه) مدكةجنوب شرق أبها ثم في (ح شم ن ه) مخشوشة ثم في (م س ر و ة) بالمساهرة ثم ب (ب ن ى ى ع ق ن) بني عمق ثم ب (ح ر ه ج دج د) خير الكدكد ثم في (ى ط ب ت ه) يبة ثم في (ع ب ر ن ه) الغبرة عند جبل عفف ومنها إلى (ع ص ن ج ب ر) عضان الجابر بين العرج وأضم ثم في برية ضن (الضنك) جنوب (ق د ش) (كدسة بلعير) ثم في جبل (ه ه ر) حير قرب جبل الحوراء. وعند جبل حير هذا مات النبي هارون ودفن فيه.

(1) سورة طه، الآية: 80.

(2) سفر العدد، الإصحاح: 33، بالكامل.

ويجب أن لا يفوت التذكير بما أسهبنا به في مقال مصر القرآنية عن قصة البقرة التي طلب الله منهم ذبحها[1]. وفي نصوص التوراة أيضاً[2] الإشارة إلى الأبقار الكثيرة التي كانت مع بني إسرائيل بالتيه! وهو موضوع لم يقربه التوراتيون من قريب أو بعيد وفيه نسف لروايتهم عن إحداثيات التيه. وقد مر مفسرو القرآن أيضاً على هذا الموضوع دون أن ينتبهوا له أو يعلقوا عليه! فالبقر لا تستطيع العيش بشبه جزيرة سيناء المصرية بسبب الجفاف الشديد؛ ناهيك عن استعمالها بالحرث والسقاية التي هي نادرة بالصحارى على كل حال، بينما هي وسيلة الحرث والسقاية بتهامة شهر وعسير وجيزان.

الأراضي شرق الأغوار التهامية

سار بنو إسرائيل بطريق الأصدار التهامية صاعدين من عضان الجابر بين العرج وأضم ثم بأرض الغبرة عند جبل عفف ثم صعدوا إلى أرض مناهب دوس. ويبدو أن المواهب رضوا بأن يسمحوا لموسى وقومه بالمرور على أن يدفعوا ثمن مأكلهم ومشربهم. ثم طلبوا من الملك سيحان[3] ملك[4] خشبان (أبي خشب) من بني عمرو المرور بأرضه ولكنه رفض وهاجمهم فوقعت المعركة عند جحصة ولكن الله نصرهم عليه. والعنف الذي اتسمت به المعارك وما استتبعها من القضاء على قوم سيحان العمريين: يدل أن الله أراد أن يجعل لبني إسرائيل هيبة بين الشعوب وأن يلقي في قلوب الذين كفروا الرعب. ثم اتجهوا شمالاً من العرنين نحو المرتفعات الجبلية فهاجمهم وج (عوج) ملك بشيان[5] التي[6] كانت[7] أملاكه تمتد من عاذر عند وادي عردة حتى عشيرة الطائف. وجرت المعركة عند ترعة ثقيف فانتصر بنو إسرائيل واستولوا على كل أراضي الملك

(1) سورة البقرة، الآيات: 70 - 71.
(2) سفر الخروج، الإصحاح 12، الجملة: 38.
(3) سفر العدد، الإصحاح 21، الجملة: 21 - 30.
(4) سفر التثنية، الإصحاح 2، الجملة: 24 - 37.
(5) سفر التثنية، الإصحاح 1، الجملة: 4.
(6) سفر التثنية، الإصحاح 3، الجمل: 1 - 13.
(7) سفر العدد، الإصحاح 21، الجمل: 32 - 35.

وج (ووادي وج الطائف ينسب لـ: وج عبد الحق أو عبد الحي ملك العماليق الذي كان عرشه بربّة بني غُنْم)، فكان من نصيبهم أيضاً باقي مملكة وج المشتملة على الشيط، عائرة، وادي بشيان، جلذان، والطائف.

وحل الشعب بالشيط. وخشي بليق بن عصفور ملك المناهب من جموع الإسرائيليين، فأرسل إلى بلعوم، وهو عرّاف مشهور من وادي الدواسر ليلعن بني إسرائيل، ولكن الله جعل بلعوم يباركهم عوضاً عن أن يلعنهم، ونصح بليق وبني مدّان بأن لا يحاربوهم بل يغووهم بالنساء ليغضب الله عليهم ويسخطهم. وهكذا كان إذ فتنت نساء مدّان شباب بني إسرائيل فغضب الله عليهم وأمر موسى (ع) أن يقضوا على المدّانيين الساكنين في النجد. وهنا نغالط الجغرافيا التقليدية التي حسبت أنها بالبدع في أراضي تبوك الشمالية على خليج العقبة وعلى امتداد الأراضي المواجهة للساحل السينائي، وهي بالتالي بعيدة جداً عن أراضي منهب.

ولم يسمح لموسى بدخول الأرض المباركة بسبب شكه وارتيابه عندما طلب منه ربه أن يضرب الصخرة عند ماء ريبة (مربة) كما شرحنا سابقاً، فصعد إلى جبل نبو (النبي إبراهيم) ورأى من هناك الأرض المباركة من وراخ إلى جلعاد (جلدان) وأراضي هوذة (حيث هذيل اليوم) حتى تمن (واد يصب بعليب) وحتى البحر الغربي (الأحمر). أما بالجغرافيا التقليدية للأماكن التوراتية فموقع جبل نبو هو غرب مأدبا في شمال المملكة الأردنية الهاشمية وهنا فإن موسى قد يرى بعضاً من أراضي جلعاد ودان ونفتالي وافرايم ومنسّى ولكنه لن يتمكن البتة من رؤية أراضي هوذة الممتدة إلى البحر ولا النقب في الجنوب، وهو إن رأى أريحا فلن يتمكن من رؤية صغرة لأنهم وضعوها جنوبي البحر الميت، ولن يرى البحر الأبيض المتوسط بتاتاً. في الواقع كان صعوده لجبل نبو (النبي إبراهيم - بثرة) حيث رأى من هناك كل المناطق المذكورة والتي سيتم تبيانها.

حدود الأرض المباركة

ثم نجد كيف أن موسى (ع) شرح لبني إسرائيل حدود الأرض المباركة:

1 - جنوباً[1]: (جملة 3): بشكل عام برية الضنك (شرق البرك) وصولاً إلى وادي نخلان عند حدود مصر التوراتية التي تبدأ من صبيا إلى اليمن والحبشة. وتبدأ الحدود الجنوبية من الشرق بأعلى تهامة بني شهر عند بني المليح ثم إلى عقبة ضلع ثم إلى وادي نخلان شمال صبيا وصولاً إلى البحر الأحمر. و (ن ح ل م ص ر ى م) الذي فسر تعسفاً بعد ترجمة بطليموس السبعينية (وربما لأسباب سياسية) على أنه وادي المصريين ونهر النيل استتباعاً هو هذا الوادي حيث كانت تبدأ حدود مصر التوراتية من صبيا وجازان نازلة جنوباً إلى اليمن وغرباً إلى الحبشة. ومن البديهي أنه لا حقيقة البتة عن وصول حدود مملكة داود وسليمان إلى بلاد القبط.

2 - غرباً[2]: البحر الكبير وهو البحر الأحمر.

3 - شمالاً[3]: من البحر الأحمر إلى جبل الحوراء عند أم لج اليوم وصولاً إلى وادي حمض، ووادي (ف ر ة ه ج ز ل)[4] هو وادي فرعة الجزل الذي له شعبتان عظيمتان واحدة غربية هي الفرعة وأخرى شرقية هي وادي القرى الوارد ذكره بالسيرة النبوية. ووادي فرعة الجزل فسر بتعسف أيضاً على أنه وادي الفرات العظيم! ومن البديهي أنه لا حقيقة البتة عن وصول حدود مملكة داود وسليمان إلى نهر الفرات بشرق بادية الشام. والإشارة الغامضة إلى «النهر» بالإطلاق ودون تحديد بفتوحات داود (ع) هو ليس للحدود الشمالية بل الجنوبية الشرقية عند وادي الدواسر.

4 - شرقاً[5]: من فرعة الجزل إلى عينين (جبل أحد المدينة) إلى صفينة إلى ربلة (بركة عشيرة) إلى قرن المنازل إلى الملحاء قرب الطائف، وتتتابع التخوم على (هـ و ر د ن) وهي العروض أي جبال تهامة العليا وصولاً إلى مليح بتهامة بني شهر.

هذه قصة تخوم الأرض المباركة الحقيقية، أرض كنانة الأولى الأقدم من إبراهيم (ع)، وهي كما نجد لا علاقة لها بالنيل، ولا بالفرات.

---

(1) سفر العدد، الإصحاح 34، الجملة: 3.
(2) سفر العدد، الإصحاح 34، الجملة: 6.
(3) سفر العدد، الإصحاح 34، الجملة: 7.
(4) سفر التثنية، الإصحاح 1، الجملة: 7.
(5) سفر العدد، الإصحاح 34، الجملة: 10.

خطبة الوداع

وقبل صعوده إلى الجبل وانتقاله ألقى موسى على بني إسرائيل خطبة الوداع. ومما تنبأ به موسى لبني إسرائيل وذكره لهم في خطبة الوداع[1]:

«فإن لم تحرصوا على العمل بجميع كلمات هذه الشريعة المكتوبة في هذا الكتاب..... ويردكم الرب إلى ديار مصر في سفن في طريق وعدكم ألا تعودوا ترونها، فتباعون هناك لأعدائكم عبيداً وإماء. وليس من يشتري».

المدهش أنه لم ينتبه أحد إلى هذه النبوءة التي تحققت في أيام نبوخذ نصر! ولكن لماذا قال موسى بأنهم لو كانوا سيعودون إلى مصر فإن ذلك يجب أن يتم بواسطة سفن؟ فلو كانت الطريق ستمر عبر جزيرة سيناء فما الحاجة إلى السفن والأرض متصلة بين البر الآسيوي والإفريقي قبل شق قناة السويس؟ وإنما نبوءة موسى كانت عن فرارهم عبر ميناء الشعيبة باتجاه إثيوبيا.

ومات موسى بعد أن سلّم القيادة إلى يوشع بن نون ليستكمل فتح الأرض الموعودة ويقوم بتقسيم أراضيها على الأسباط الباقية.

وتقول التوراة[2]: فمات موسى عبد الرب في أرض منهب بموجب قول الرب.

وبعد موت موسى أقسم القوم أمام الله على طاعة أوامر يوشع بن نون لدخول الأرض المقدسة:

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[3].

---

(1) سفر التثنية، الإصحاح 28، الجمل: 58 - 68.
(2) سفر التثنية، الإصحاح 34، الجمل: 5 - 6.
(3) سورة إبراهيم، الآية: 15.

يوشع بن نون

قدمت قوات يوشع بن نون من نجد الطائف، وكان أول موقع بالأرض المقدسة تطؤه أقدامهم جلجل (جليل) بأعلى الغور، هنا تقول النصوص بأن نزول المن توقف للمرة الأولى منذ 40 عاماً! وفي موقع شكم الذي يناسب الحوية دفنوا عظام يوسف (ع) كما كان قد أوصى قبيل وفاته، وهنا كانت قبلة السامريين فيما بعد: بعد خصامهم مع إخوانهم من هوذة الساكنين بعرى/عرُش السلام (مكة).

أول قرية أمر يوشع بفتحها كانت (ى ر ى ح و) وهي ما يعرف اليوم بريحة بأعلى نخلة الشامية. وثاني قرية كانت (ه ع ى) وهي اليوم عيفان. ويبدو أنها كانت محصنة جيداً ولم يكن اقتحامها سهلاً. وتحالف ضده خمسة ملوك هم ملوك حبرون (ربوع العين) وعرى السلام (مكة) والعرامطة والخشاش والعجلان فانتصر عليهم ثم ضرب كل أرض الجبل (جبل هذيل) والجنوب من كديس إلى غزه (الجايزة) وجميع أرض جوشن (جشم) إلى جبعون (قبع الليث) ثم عاد إلى مخيمات بني إسرائيل بجليل. ثم تصدى يوشع لتجمع من ملوك متحالفين[1] ملك حضور (الأخيضر وهو عرج الطائف) وملك المدنة (وهم لليوم من قريش كنانة بوادي شرب بالطائف) وملك السمرة (حرة السلميين أو بني سليم) وملك كشب وقرن وملك الدار (قرية بوادي المحرم)، كنانيين وعمريين، ومن الحوتة وفراس والباسة وحافيين تحت سفوح الخرم غرب الحوية. خرجوا جميعاً والتقوا قرب تل

(1) سفر يشوع، الإصحاح 11، الجملة: 1 - 11.

مروان بأسفل ليّة فدفعهم الله قتلى أمامه، فعرقب خيلهم وأحرق محاملهم.

استطراد: كل هذه القبائل والعشائر كانت موجودة وهناك من يظن بأن الأرض كانت قاعاً صفصفاً حتى قدوم قبيلة من اليمن اسمها جرهم!

تقسيم الأرض

أعطى موسى (ع) لبني «ربان» (منهم وائل، وكانوا بنجد الطائف واصطدموا مع الهاجريين وأزاحوهم نحو الجنوب) و«جود» ونصف سبط أبناء «منسي» (ومنهم عائرة) أراضي حسب رغبتهم شرق العرضان (جبال تهامة) وهي من خارج حدود الأرض المباركة. ثم قسمت الأرض المباركة على باقي الأسباط على يد يوشع بواسطة القرعة بالجرل (الحصى) بالسيل الكبير التي اندمجت مع قرن المنازل؛ وهي اليوم ميقات أهل نجد المكي، وكانت النتيجة كالتالي:

1 - حصة قبيلة هوذة[1] (أراضيها تشمل أغلب أراضي هذيل اليوم) وهي الأهم:

حدودها جنوباً كانت تبدأ من عقبة ضلع جنوب غربي أبها نزولاً غرباً إلى وادي نخلان بمخلاف «عثر» القديم حتى البحر، ومن عقبة ضلع تسير على أطراف السراة شمالاً، ثم تشمل سراة الطائف شمالاً وصولاً إلى الحلقة ثم نخلة اليمانية فحنين وصولاً إلى موقع قرية المجاهدين شرق الأبطح بمكة ثم نزولاً إلى جبل شعر فالطارفي فسلع فالمعيصم فمنى فقرين عرفات فوادي عرنة إلى البحر الأحمر. ويعدد السفر بعد ذلك عشرات القرى والأودية التي تتضمنها الأراضي. هذه القبيلة هي الأهم وسنرى فيما بعد كيف سيطرت على قرار الأرض طوال أربعة قرون؛ واختصرت تاريخ بني إسرائيل الأهم من زمن داود (ع) حتى غزوة نبو قد نصر (بختنصر) وسبيه القوم لبابل، وسجلت تاريخها وتاريخ الحجاز بأسفار سموأل والملوك وأخبار الأيام. بالتاريخ العربي رمز إلى تلك الفترة بجرهم وهو اسم الحفيد الرابع لهوذة بن يعقوب (ع) بالقراءة اليونانية (التي تختلف بعض الأسماء فيها لفظاً عن العبرية ربما لاختلاف المصدر)! وبعد السبي بدأت هوذة مرحلة

(1) سفر يشوع، الإصحاح 15 بالكامل.

جديدة انتسبت فيها إلى العدنانيين خصومها السابقين، وبقيت على سيرتها بحسن التدوين فكانت أفضل من حفظ دواوين شعرائها بين العرب!

وبالمقارنة فأراضي هذيل اليوم تمتد من الشواق جنوباً إلى شمال مكة وشرقها، مع قسم يسير من الشفا ومدركة ورهاط، بينما أراضي كنانة كانت تمتد إلى وادي حلي الذي كان لبني حرام، وكان مخلاف عثر لملوكه بني طريف موالي بني مخزوم، وبعده جنوباً مخلاف حكم المذحجيين، كما ذكر الهمداني أن العبيديين بدوقة (بين الليث والقنفذة) كانوا بقية جرهم.

2 - **حصص أبناء يوسف** مجتمعين[1] (تشمل أراضيهم أسفل حرة بني سليم (السلميين أو السمران نسبة إلى أشجار السمر لا إلى سليم بن منصور) /هم أبناء أفرم ومنسي - النقرى) وكانت حدودهم الجنوبية من ذات عرق شرقاً عبر نخلة الشامية ثم السيل الكبير وحرة رهاط ووادي غران ثم الجبل شمال الجعرانة ثم أرض الفليتة وصولاً إلى البحر. أكثر ما تنطبق اليوم على أراضي خزاعة لأن عمرو ابن لحي كان قد خزع (اقتطع) أراضيها من مملكة سليمان (ع). أراضي منسي[2]: بالإضافة إلى حصة نصف سبط منسي عبر الأغوار كانت أراضي بني شكم وحفير **والسميدع**، ونقرى وضرس. وثنية نقرى شمال عسفان ما زالت معروفة.

3 - **حصة بن يمان**[3]: ما بين هوذة جنوباً والفروم شمالاً، وبها قرى هامة: الجعرانة، عيفان، الصفاح، سلع، الباسة (عرى/عُرُش السلام وهي مكة)، جبعة (قبع العسيلة)، و«قرية» (موقع قرية المجاهدين اليوم بشرق مكة). وهم إلى اليوم بوادي الزبارة ونخلة الشامية، وربما منهم لحيان. المنطقة الغورية بين شمال الهدا وجنوب حرة رهاط كان اسمها: سرج بن يمان.

4 - حصة **سمعان** (السمعة)[4]: وهي من ضمن أراضي هوذة تقع بين وادي مركوب

(1) سفر يشوع، الإصحاح 16 بالكامل.
(2) سفر يشوع، الإصحاح 17 بالكامل.
(3) سفر يشوع، الإصحاح 18 بالكامل.
(4) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجمل: 1 - 9.

جنوب يلملم ووادي القنفذة، وتشمل: شعبة إدام وأراضي العيسى والخرم بقنونا والصعاليك بدوقة وسعيا ولباوة والسرحة بالأحسبة، وعشم التي ذكرها الهمداني.

5 - بنو **زُبالة**[1]: وبقيتهم عند رابغ، وكانت أراضيهم من طرف جهينة شمالاً إلى جنوب ستارة، وتشمل: ثرا بين الرويثة والصفراء، والجحفة، والقنعاء بين أمج وستارة، والحفير، إلى أطراف ثبير مزينة، إلى رئم المطيري. إجمالاً أرض البلادية من حرب اليوم.

6 - **الشكرة**[2]: أراضيهم وادي ساية شرقاً والسُلّم إلى خليص مروراً بالمزاريع (المزارع والمزروعي) وشمالاً لثبير بلاد مزينة. وربما بقي منهم اليوم بطن من الجلاة من حبش من سليم.

7 - **الشواهرة**[3]: أراضيهم من جهينة من الحلقة جنوباً مروراً بسعد جهينة بينبع حتى الحوراء عند أملج شمالاً وإلى وادي الصوير وخاص بخيبر، وقناة، ورمان. وربما وصلت أراضيهم إلى دادان العلا.

8 - **أفتل/غطفان** (أفتل الخثاعمة ونفعة عتيبة)[4]: وكانت ديارهم تشمل الضعن وحمى وعينين (المدينة) وذي الحليفة ومريين وحكاك وورقان وثبير مزينة، ورئم وأخيضر عرج الطائف، وآرة، وأقداس، وجليل وذرة وصولاً إلى قرن المنازل.

9 - **الدنون/هوازن**[5]: وكان نصيبهم ضرعاء والأشطاط والبرقا والروقة والثعالبة والشعيبة. وصعدوا إلى بني الليث واحتلوا أرضهم وأسموها ودان على اسم أبيهم، كما أن أراضي الروقة والبرقا توحي وكأن لهم علاقة بقبيلة هوازن.

الجدير ذكره أن حدود القبائل شكلت معضلة لعلماء التوراة ذلك أنه في الإصحاحات 13 - 19 كانت تذكر أراضي عشيرة ما على أنها داخل حدود أرض قبيلة ما لتعود في الإصحاحات 20 - 21 ويذكر اسمها على أنها تخص قبيلة أخرى!

(1) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجمل: 10 - 16.
(2) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجمل: 17 - 23.
(3) سفر يوشع، الإصحاح 19، الجمل: 24 - 31.
(4) سفر يوشع، الإصحاح 19، الجمل: 32 - 39.
(5) سفر يوشع، الإصحاح 19، الجمل: 40 - 46.

10 - بما أن سبط **اللاويين**[1] (بني لِؤي) المنحدرين من هارون (ع) لم يعطوا أراضي محددة (لكونهم من الكهنة) فقد كانت وصية موسى (ع) أن تعطيهم الأسباط الأخرى من مدنها ومراعيها، فكان نصيبهم متفرقاً بين باقي القبائل كما يلي:

1 - لبني قهيد 25 مدينة من أسباط هوذة وسمعان وبن يمن والفروم والهوازن ونصف سبط المنسي ومنهم جرهم وبنو صوفة الذين كانوا يلون الإجازة بالناس من عرفة[2].

2 - ولبني (ج ر ش و م) # (كريشان/قريشٌ) 13 غوراً من أسباط الشكرة والأشاهرة وأفتل/غطفان ومن نصف سبط منسي ببشيان بنجد الطائف. وقريش اسم عام، وقد عدّد عاتق البلادي 7 قريشات غير قريش كنانة[3]، والمسألة تحتاج لمزيد بحث خاصة في ضوء أن قريشاً كانت متفرقة في أحياء العرب، وخاصة بين بطون كنانة، فجمّعها قصي بن كلاب بن مرّة بن لؤي بن غالب.

3 - ولبني مرة حسب عشائرهم 12 غوراً من سبط ربان وجود وزبالة.

وكانت وفاة يوشع ودفنه في دمنة السرحات من أرض الفروم[4]، وكما ذكرنا سابقاً فقد دفنت عظام النبي يوسف (ع) بشكم (حوية الطائف) بالأرض التي كان أبوه قد اشتراها من حمير بن شكم الحافي الكناني بعودته من وادي الدواسر.

خلاصة: تجب مراجعة كل هذه الأسماء من المختصين بعلم الأنساب ومماهاتها مع ما توصل إليه وشرحه عالم السلالات الجينية الأشهر البروفسور كلوسوف عن إلتقاء أبناء إسماعيل وأسباط الموسويين تحت عائلة J_1!

(1) سفر يوشع، الإصحاح 21 بالكامل.
(2) شفاء الغرام، ج2، ص: 31 - 32.
(3) معجم القبائل الحجاز، البلادي، ص: 417.
(4) سفر يوشع، الإصحاح 24، الجملة: 30.

الأسباط (القضاة) الموحى إليهم

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ..﴾[1].

هنا المقصود بالأسباط ليس أبناء نبي الله يعقوب (ع) لأنهم باستثناء يوسف (ع) ما كانوا أنبياء. الأسباط الموحى إليهم هم قضاة كان يوحى إليهم وحكموا بشرع الله وأفتوا لبني إسرائيل بفترة أسماها السامريون «فترة الرضا» وامتدت من زمن خليفة موسى (ع) وهو نبي الله يوشع بن نون (ع) حتى ظهور النبي سموأل. وهنا تأريخ لنهاية مرحلة دامت 4 قرون وابتداء المرحلة الملكية التي دامت 4 قرون أيضاً وانتهت بالغزو والسبي الخلداني/الكلداني للحجاز على أيام معد العدناني؛ على ما ذكر الطبري.

بداية مرحلة الأسباط كانت في القرن 14 ق. م، وقد تعرض إيمان بني إسرائيل لعدد لا يحصى من الردات التي كانوا يتوبون بعدها إلى الله، وكان الله يرحمهم في كل مرة ويبعث لهم من ينقذهم من أعدائهم.

القضاة:

1 - عيثان إل (من وادي الغالة)[2] وكان من عشيرة كليب: وقد خلّصهم من 8 سنين من الاستعباد لملك من النجد اسمه كوثان، واستراحت الأرض بعد ذلك مدة 40 سنة.

---

(1) سورة النساء، الآية: 163.

(2) سفر القضاة، الإصحاح 3، الجملة: 9.

2 - أحيد من سبط بن يمان[1]: وقد خلصهم من عجلان ملك المناهب الذي حالف بني غنم والعماليق واحتل وادي نخلة، واستعبد بني إسرائيل 18 سنة. فقتل أحيد عجلان واستراحت الأرض بعد ذلك 80 سنة.

3 - سنجر بن عناة[2] الذي حارب الفلاسة (الفلاسيين بتهامة كانت أراضيهم بجبال تهامة تشمل الجائزة بأعالي حلية جنوباً والشدادين بحقال وكساب بوادي أضم حتى عسلق بيلملم وجدم والقرين بعرفات).

4 - البرّاق بن أبي النعم[3] من منطقة جبال قدس من ديار عتيبة (سفر الأسباط/ القضاة 4) الذي قاوم أبان الذي ملك على كنانة وكان بأخيضر العرج شرق الطائف وكان على رأس جيشه سيسرى وكان مركز جيشه بحريشة قرب عشيرة. عسكر البرّاق بجبل ثبير شرقي مكة ثم انقض على كنانة وهم بوادي نخلة (كوثان)، وكان النصر حليفه وتم قتل سيسرى، واستراحت الأرض 40 سنة.

5 - جدعان بن عياش أبي العذرة[4] (من سبط المنسّي) من عفار (جبل ببلاد سفيان) الذي حارب المدنة بنجد الطائف الذين كانوا في حلف مع العماليق وقديمات العوامر، وكانوا يغيرون على أراضي بني إسرائيل الذين كانوا بالطائف. وكانت معركة بوادي نخلة، وجدعان وأنصاره من أرض البلادية وجهينة وغطفان اليوم، فضرب جدعان المدنة ففروا شرقاً إلى الشط وأرض الصريرات. طلب جدعان من سبط الفران (بني أفرم) تتبع فلول المدنة[5] ففعلوا وقتلوا أميرين منهم (ذئب وغراب) وجاؤوا برأسيهما لجدعان من عبر العروض وهي جبال تهامة، ثم عبر جدعان إلى نجد الطائف مطارداً ذباح وسلمان وتبعهما حتى ظفر بهما قرب نبوح التي اليوم هي قنّة وهي فلاة بين نخب ولية.

(1) سفر القضاة، الإصحاح 3، الجملة: 15.
(2) سفر القضاة، الإصحاح 3، الجملة: 31.
(3) سفر القضاة، الإصحاحات: 4 و5 بالكامل.
(4) سفر القضاة، الإصحاحات: 6 و7 و8 بالكامل.
(5) سفر القضاة، الإصحاح 7، جملة: 22.

6 - ثم كان أبو مالك[1] من شكم (الحوية).

7 - ثم كان طليع[2] من الشكرة بجبل الفران.

8 - ثم عائرة[3] من جلذان شرقي الطائف.

9 - ثم فتيح[4] الجلذاني من شرق الطائف الذي حارب بني غُنُم، وكان بعد موسى بـ3 قرون.

10 - ثم علوان[5] من بني زبالة _ أرض البلادية.

11 - ثم عبيدان بن هلال[6] الفرعتاني (من وادي الفرع - مستورة شمال رابغ)، ويقول أهل الجحفة عن قصر قديم مهدّم شمالها أنه من صنع الهلالا؛ أي بني هلال![7].

12 - ثم كان شمسان[8] من بني دن/الوازن (هوازن) وكان من وادي ضرعاء نعمان،وكان منذوراً لله فلم يقصوا شعره، وكانت له قوة بدنية خارقة، وكان صراعه مع الفلاسة الذين تعبدوا للوثن دجن/دعجان. أفتى لإسرائيل 20 سنة ثم أوقعت به دليلة لصالح أعدائه بعد أن أغوته وقصت شعره، فأخذوه للجائزة بمحافظة الليث حيث سجنوه ثم أرادوا إذلاله فهدّ عليهم المعبد بالقصة المعروفة.

ماذا حل بالفلاسة؟ بعد أن أخضعهم داود (ع) لم يعد لهم ذكر كفلاسة؛ فمن الممكن أنهم دخلوا في شريعة موسى مع قبيلة هوذة القوية التي تسكن هذيل أرضها اليوم، أو صاروا معروفين ببني مالك بجيلة. وقد يكون بنو الفلاسي اليوم منهم. وربما هاجروا إلى السواحل الشامية فأسميت فلسطين نسبة إليهم وقد ذكرها هيرودوت. وربما هاجر قسم منهم مع ناس من قبيلة الدان (هوازن) إلى الحبشة وقت الغزو الخلداني (الكلداني) حيث ظلوا إلى اليوم معروفين بأنهم الفلاشا (الأغراب)!

(1) سفر القضاة، الإصحاح: 9 و10 بالكامل.
(2) سفر القضاة، الإصحاح 10، الجملة: 1.
(3) سفر القضاة، الإصحاح 10، الجملة: 3.
(4) سفر القضاة، الإصحاح 11 و12 بالكامل.
(5) سفر القضاة، الإصحاح 12، الجملة: 11.
(6) سفر القضاة، الإصحاح 12، الجملة: 13.
(7) على طريق الهجرة، البلادي، ص: 58.
(8) سفر القضاة، الإصحاحات: 13 - 16 بالكامل.

13 - النبي سموأل وهو الذي نزلت فيه الآية القرآنية:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾[1].

من العجيب أن قصة السموأل التوراتية والمفصلة[2] متطابقة تماماً مع قصة الغوث بن مر بن أد بن طابخة، بن إلياس بن مضر، وهو من بني صوفة! وكانوا يلون الإجازة بالناس من عرفة، ويجيزون بهم من منى، ولا ترمى الجمار حتى يرمي بنو صوفة. وكان الغوث هذا يلي البيت لأن أمه كانت من جرهم وكانت عاقراً فنذرت إن هي ولدت رجلاً أن تتصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها، فكان ذلك، وكان يلي تلك الأمور وبنوه من بعده لمكانته من الكعبة[3][4]. كما نرى فهناك تشويش بالرواية العربية! فالغوث بن أدّ هو في الحقيقة مرتبط بالأزد، وطابخة كما رأينا بفصل إبراهيم (ع) له ارتباط بإرميي نجد من سلالة أخي الخليل الذي بقي ببوادي الدواسر فكيف صار من إلياس بن مضر التهامي؟

سفر السموأل اثنان 1+2 (السفر واحد إنما كانوا يقسمونه إن طال حتى لا تصبح مجلته الملفوفة طويلة وثقيلة) يغطي كفاح الملك الأول وهو شاول؛ واسمه بالقرآن طالوت، وقد سقط نهاية في معاركه مع الفلاسة، كما يغطي السفر صعود داود (ع) وحروبه ومآثره حتى تأسيس المملكة الهامة التي أصبحت مع سليمان (ع) مركزاً للإشعاع الحضاري بالجزيرة العربية في عالم الشرق الأوسط القديم.

(1) سورة البقرة، الآية: 246.
(2) سفر سموأل 1، الإصحاح 1 بالكامل.
(3) شفاء الغرام، ج2، ص: 31 - 32.
(4) السيرة لابن هشام، ص: 119، 128.

أورشليم داود الحجازية

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾[1].

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[2].

ولد داود (ع) باللهيماء من وادي نعمان الأراك جنوب عرفة، وقرب هذه الديار مسحه النبي سموأل (من بني صوفة) ملكاً. واللهيماء اليوم منازل بني عمرو بن الحارث الهذليين. كان داود (ع) ابن رجل من هوذة اسمه عيسى[3]؛ ونشأ يرعى غنم والده بينما كان إخوته الثلاثة الكبار يقاتلون في جيش الملك شاول/سيّال بن قيس (طالوت لقبه بالقرآن لأنه كان طويلاً مثل السيال؛ وهو نبات شوكي ينبت بالصحراء ويمتاز بساقه الطويلة) فأرسله أبوه لتفقد إخوته في وقت مواجهة مع الفلاسة؛ فتطوع لقتال المحارب العملاق جالوت وصرعه بالمقلاع ثم حز رأسه:

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4].

بعد أن أظهر شجاعته الفائقة حسنت حال داود عند (طالوت) حتى أنه رضي

(1) سورة الأنعام، الآية: 84.
(2) سورة ص، الآية: 26.
(3) سفر السموأل 1، الإصحاح 16، جملة: 1.
(4) سورة البقرة، الآية: 251.

تزويجه ابنته (ميكال) وصار مقدماً بين رجال الحرب في بني اسرائيل. لكن الحسد دخل إلى قلب شاول الذي رأى فيه منافساً خطراً؛ لا سيما أنه بدأ يتمتع بمحبة بني إسرائيل، وما لبثت كراهيته أن انقلبت إلى حقد مميت فحاول اغتياله مرات عديدة إلا أنه نجا برعاية الله. وكانت لطالوت طوال سنين ملكه حروب مع الفلاسة (عبدة دجن/دعجان) الذين كانوا يقيمون بجبال تهامة بين الجائزة جنوباً وعرفة شمالاً، وكانوا يتكلمون بلهجة كنانة التي تكلم بها بنو إسرائيل. وكان بنو اسرائيل يأنفون منهم بشكل خاص لأنهم كانوا غلفاً، لا يختتنون. وفي وقت من الأوقات، عندما كان طالوت يلاحقه للفتك به لجأ داود إلى عكاشة ملك جدم للاحتماء به؛ فضمه هذا الأخير إلى جيشه لكن باقي قادة الفلستين لم يرضوا أن يشاركهم في القتال ضد طالوت فأقطعه عكاشة على الصعاليك بوادي دوقة جنوب مكة. وكانت مواجهات كثيرة بين الطرفين: بوادي فخ[1] أيام علي/عالي الكاهن الأكبر، ثم بالمغمّس أيام سموأل النبي[2]، وبالشاقة كانت مواجهة داود لجالوت[3] ثم بجبلة (السعايدة) التي قضى فيها طالوت وثلاثة من أبنائه[4]، فقام أنصار داود من بني هوذة ونصبوه ملكاً عليهم. ثم كان اغتيال ابن طالوت المتبقي غدراً على يد غلامين من غلمان داود دون علمه؛ فغضب داود لهذا الفعل وصالح أتباع بيت طالوت؛ فشكل هؤلاء وفداً من شيوخهم يمثل جميع الأسباط، وجاؤوا إلى داود يبايعونه للملك على كل إسرائيل.

لكن ولاء الأسباط العشرة لداود بقي مشوباً بالحذر خصوصاً وأن سبط بن يمان الذي منه بيت طالوت لم يتقبل انتقال الملك من سبطهم إلى هوذة. وكان داوود أثناء فراره من طالوت وفي بداية حكمه يعتمد على جيش من المرتزقة التفوا حوله من العشائر المجاورة لبني اسرائيل، وعلى رأسهم الجبرة، وهم بطن من بني شعبة من كنانة وما زالوا يسكنون قرية غميقة وما حولها (اسمهم بالتوراة بنو عناق) شرق بلدة

(1) سفر سموأل 1، الإصحاح 4، الجملة: 1.
(2) سفر سموأل 1، الإصحاح 13، الجملة: 16.
(3) سفر سموأل 1، الإصحاح 17، الجملة: 1.
(4) سفر سموأل 1، الإصحاح 31، الجملة: 1.

الليث إلى الشمال على الضفة اليمنى لوادي الليث، ويذكّروا بالجبارين الذين ورد ذكرهم بالقرآن في السياق نفسه في سورة المائدة 22، الآية: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[1] وجاء بالتوراة أيضاً أنهم أكثر من هابه الكشافون الذين أرسلهم موسى لدراسة أرض تهامة قبل فتحها، ويبدو أن هذه الهيبة بقيت عالقة في نفوسهم طوال الأربعين سنة التي مكثوا فيها بتهامة وهي أرض التيه، مما اضطر موسى إلى عدم السير بهم شمالاً إلى مكة مع أن الطريق أقصر بكثير؛ فكان الصعود إلى السراة عبر أراضي بني منهب الدوسيين ثم خوض معارك مع سيحان ملك العمريين، ثم مع وج ملك العماليق بشرق الطائف، ثم بعد ذلك تولى أمر فتح الأرض المباركة يوشع بن نون (ع) كما أسلفنا.

كانت عاصمة داود الأولى بمنطقة (ح ب ر و ن) ربوع العين بأعالي وادي العرج من محافظة أضم جنوب مكة اليوم وذلك حين كان داود ملكاً على سبط هوذة وحده، فلما نودي به ملكاً على «جميع اسرائيل» نقل مركز حكمه إلى مصدة أي قلعة (ص ى و ن) التي كانت بالمعلاة بمكة عند وادي طوى، وسمي الوادي بغور داود وصارت عرى/عُرُش السلام وهي من أسماء مكة (أورشليم) وموطن الباسيين (بجبل قبيس) عاصمة لداود، ولكنه كان رجل حرب فمكث مع رجاله بالمعلاة حتى وفاته وهناك دفن[2]. وباتت مقبرة الحجون منذ ذلك الوقت المقبرة الملكية لكل عواهل الدولة حتى غزوة نبو خذ نصر وإجلاء بعض أهل تهامة إلى بابل، وبقيت كمقبرة لأهل مكة بالجاهلية حتى صدر الإسلام، واستمرت كذلك حتى اليوم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[3] يعني القرآن مدرسة، وخذ من القرآن ما شئت لما شئت (حديث شريف)، هنا أريد أن أبيّن موقع (ص ى و ن) و (ى رو ش ل م) لأهميتهما، إنما يجب أن نراجع بعض أسماء مكة التي أوردها الفاسي[4] وهي 44؛ والتي زاد عليها النهرواني 12 اسماً إضافياً! فمما أورده الفاسي

(1) سورة المائدة، الآية: 22.
(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 2، الجملة: 10.
(3) سورة القمر، الآية: 54.
(4) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام.

من أسماء تهمنا في هذا البحث: القادس، الباسة، السبوحة، السلام، الحرم، القرية، بكة، العروش، العَرش، العُرش، العُرُش، العُروش، العريش. ومن أسماء النهرواني: الرأس، أم كوثى.

وفي مكة موقع الضنك المسمى على اسم وادي الصحراء التي يقع بجنوبها جبل سيناء. على أرض الواقع الصحراء اليوم هي صحراء ضنكان الممتدة من فرعة سنان (سيناء) جنوب إقليم قنا والبحر إلى وادي يبة بتهامة. قرب ضنكان وعلى مسافة 30 كيلاً جنوب خميس البحر يوجد جبلان أسودان الشرقي أو الأيمن منهما هو جبل سيناء البركاني (حيث نزلت الألواح على موسى)، وإلى الشرق منه آل فروان. وبأعلى مكة بين أظلم وأذاخر اليماني شمال المحجة عندما تدخل الأبطح يوجد شعب يقول عاتق البلادي مكتوب بعرق أبيض فيه رسم لكلمة ضنك بحروف متصلة، فلعلها إشارة إلى الموقع الذي كان داود (ع) قد بنى فيه قلعته خارج أسوار عرش السلام فهي ضن (ظيون) باللفظ اليهودي وصهيون بلفظنا. ولعل هذه القلعة الملوية الشكل دمرت بغزوة بختنصر. أما (ى رو ش ل م) فقد كان سكانها من الباسيين (سكان الباسة وهو أحد أسماء مكة) ولعل موقعها عند جبل قبيس وهو أقدم المستوطنات القريبة من وادي إبراهيم الوادي الرئيسي، وما دون الحرم يسمى المسفلة بينما أعلى الوادي يسمى المعلاة. و (ى رو ش ل م) مركب من اسمين: عرش والسلام، فلعله عُرُش السلام لأن الإسمين العُرُش والسلام قد وردا ضمن الأسماء التي عددها الفاسي، وربما كان عرى السلام. وفي مكة أيضاً ريع الحجون (جيحون أو جي بن هنوم، والجي الريع) المذكور وقتَ إعلان سليمان ملكاً. وهناك وادي الرفاعيين أي العماليق الذين كانوا تحت قيادة السميدع بأسفل مكة بحسب التراث الجاهلي وهو اليوم وادي إبراهيم، وهناك عين سلمى بأعلى مكة (بركة سلوان) وجرول، وباب السمك (باب جدة اليوم) وكلها مذكورة بالنصوص، و (ى ف ت ح أ ل) وهي البطاح بأول طريق مكة لمنى وعرفات، و (ل و د) وهي الليط.

جاء في القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ

اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

وفي هذا توقيت تاريخي لزمن داود بأنه كان ببداية العصر الحديدي؛ والمتعارف عليه أنه كان حوالى بداية القرن العاشر ق. م، والظاهر أنه سكن ببلاد جبلية، بينما لا تعتبر فلسطين بلاداً جبلية، ووجدنا المستوطنين الجدد لفلسطين يسكنون السهول الساحلية والشمال الخصب؛ فيما وُصِفَ الشمال بالتوراة على أن أرضه كانت رديئة وغير مقبولة على لسان الملك خيران (أحيرام) بأيام سليمان (ع)!

وعن حروب داود[2]: (سفر سموأل الثاني) نتابع بعض التفاصيل التي وقعت بتهامة ومحيط أم القرى، والرقم الأول يرمز إلى الإصحاح أما الثاني فيرمز إلى الجملة:

5: 1 جميع أسباط إسرائيل جاؤوا لداود ب (ح ب ر و ن) يلفظونها خبرون، واسمها الأصلي ربوع على اسم مؤسسها من بني عنق الذين ربما انتقلوا لاحقاً لأضم أو الفرع أو غميقة، واليوم اسمها ربوع لوقوع سوق المنطقة فيها يوم الأربعاء.

5: 5 من ربوع العين ملك على هوذة (أراضي هذيل اليوم واقعة ضمنها) سبع سنين وستة أشهر.

وفي عرى/عرش السلام (مكة) ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع قبائل إسرائيل وهوذة.

5: 6 سار الملك ورجاله إلى عرش السلام.

5: 7 أخذ داوود مصدة (تحصينات) طوىً، وسمّي الوادي عرّ (جانب الوادي) داود أي قرية داود.

5: 8 إشارة إلى فتح عرش السلام وهي غور الباسيين (القبيسيين).

هنا نتوقف قليلاً لهذا الحدث الذي يذكرنا بما حدث يوم فتح مكة ودخول المصطفى (ص) حيث صلى عند دخوله إلى حائط بالخرمانية وهي مشرفة على الحرم حيث أمانة العاصمة اليوم. قال ابن إسحق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، أن

(1) سورة سبأ، الآيتان: 10 و11.
(2) حروب داود، كمال الصليبي، ص: 45.

النبي (ص) لما انتهى إلى ذي طوىً عام الفتح (وطوى قال البكري: بفتح أوله مقصور منوّن على وزن فعل: وادٍ بمكة) وقف على راحلته معتجراً (ملتحفاً) بشقة برد حبرة حمراء، وإنه ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عثنونه (شعر لحيته) ليكاد يمس واسطة الرحل! وفي الجاهلية، قال الأزرقي، كانت اليهود تعظم البيت الحرام وتخلع نُعُلَها عند دخول وادي طوىً! وذكر أن أحبارهم نصحت الملك تبع يوم كان بتهامة بعدم التعرّض للبيت الحرام؛ بل وبتعظيم الكعبة عندما اعتل؛ ففعل ولما شفي كساها! وعُرِف عن داود (ع) أنه كان رجل حرب طول عمره، وأنه لم يسكن مطلقاً مع العامة بل دوماً بين الجنود، وحتى مسكنه ودار حكمه على الحقيقة لم تكن سوى قلعة في أعلى الوادي.

5: 2 تجمع الفلاسة مجدداً للصعود وانتشروا في وادي الرفاعيين (إبراهيم) واستخار الله فجاء الإلهام: لا تصعد؛ بل در من ورائهم، وائتهم من جهة بكة! هنا كان انتصار داود وهو من هوذة (جرهم أل هو الجيل الرابع من هوذة) وبأعلى مكة يحاكي انتصار المضاض الملك الجرهمي على السميدع ملك العماليق الذين كانوا بأسفل مكة، ولعل القصة الثانية مجرد ترميز بالتراث إلى الأولى.

6: 2 قام داود وسيّر، ومعه جميع أتباعه من ملأ هوذة، تابوت العهد الذي يعطيهم السكينة، وكانوا يعتقدون أن الإله روح ساكنة داخله وهو في وسطهم! فكانوا يسيرون به أينما توجهوا؛ بينما في الحقيقة لم يكن فيه سوى قطعتين من حطام الألواح التي خطت يد القدرة الإلهية عليها وصايا الشريعة؛ والتي حطمها موسى بسورة غضب عند رؤيته العجل، وبقي داخل قبة الزمان أو الإجتماع المضروبة حتى ابتنى سليمان الهيكل ووضعه في قدس أقداسه. وكان لا يزور التابوت إلا الكاهن الأكبر وفي يوم واحد في السنة هو يوم (الغفران) الذي يصومونه للتكفير عن عبادة العجل.

6: 12 فسار داود وأصعد التابوت من بيت عبد الدايم من قرية عروان التي كانت قريبة من موقع قرية المجاهدين اليوم والقريبة من مدخل مكة الشرقي.

6: 13 وكان كلما خطا حاملو تابوت «هو» ست خطوات يذبح ثوراً أو مسمناً.

6: 14 كان داود يتحرك أمام «هو» بكل نشاط، وكان يرتدي صداراً فقط.

هنا نرى النبي داود يتحرك حول تابوت العهد الموضوع على محامل عليها رموز تمثل ملائكة مجنحة، وهو الرمز لعرش الله العظيم الذي يحمله الكروبيون؛ كما الكعبة هي الرمز للبيت المعمور الذي تطوف حوله الملائكة في السماء السابعة (كما جاء في حديث المعراج لابن عباس). ولم يكن داود (ع) يضع عليه من الثياب كما يقول الإصحاح سوى سترة تغطي صدره وقد بقيت عادة الطواف في العراء دارجة في مكة حتى جاء الاسلام فأبطلها. وكان المقصود منها في الجاهلية التذلل لله أولاً ثم طرح الثياب التي أذنبوا فيها (ولا يعودون للبسها أبداً) وهذا كان مطبقاً على جميع الناس سوى أهل الحمس، وكان على من لم يجد من يعيره ثوباً الطواف بالبيت الحرام عارياً! ولعل هذه العادة تعود إلى الزمن البعيد؛ أيام وجود بني إسرائيل بتهامة. وإنه لمن الغريب أن هذيلاً كانت تتصرف بالنسبة إلى عادة خلع الثياب وكأنها من أهل الحل لا الحمس مع أنها من أهل الحرم مثل خزاعة؛ فهل كان ذلك تأسياً منهم لما كان من أمر داود (ع) مؤسس عزّهم التليد؟

جاء داود بالتابوت إلى كداء ثم إلى دار حكمه (القلعة في أعلى طوىً) لكنه أبقاه في خيمة ثابتة ولم يُنقل التابوت بعد ذلك إلا مرة واحدة عندما انتهى نبي الله سليمان (ع) من تشييد هيكله الشهير في عرى السلام؛ التي باتت حاضرته.

وحلت البركة الإلهية على داود فنصره الله في جميع حروبه حتى خضعت له البلاد والعباد.

8: 11 ضرب داود الود عزر ملك ضبة وأخضعه، فجاءت رمة الدماشقة (نجران) لنجدة الأول فضربهم أيضاً وعرقب خيلهم، وأخذ من مدن الضبيين (2سموأل 8: 8) نحاساً كثيراً، فجعمها لله مع الفضة والذهب الذي غنم من جميع الشعوب التي أخضعها:

12: 8 وغنم داود من إرم (نجد عسير ووادي الدواسر)، ومن مناهب دوس، ومن بني غنم (دوس) حيث جاؤوه بغطرة ملكهم المذهبة والمرصعة فلبسها داود (والعمائم تيجان العرب)، ومن الفلاسة أو الفلاسيين (أراضيهم من الجايزة بأعلى الليث حتى وادي عرفة جنوب مكة)، ومن العماليق (كانوا بأصدار تهامة من أثرب حوالة جنوب

العرضيات حتى الرفود بتهامة أبها). كما أخضع بلاد الإحجور وجعل له مندوباً بإدمة (بلقرن اليوم). فكان داود (ع) بذلك أول من جمع الحجاز بسراته وتهامته ونجده في كيان سياسي مستدام. وكان داود (ع) من أعظم الشخصيات المذكورة في العهد القديم فهنا نجد نبياً صاحب كتاب (الزبور في القرآن أو المزامير) وكان ملكاً قاضياً حكيماً وشاعراً موسيقياً وعازفاً ومنشداً ذهب صوته مضرب الأمثال، كما كان محارباً ومهتماً بصناعة السلاح ونراه مقاتلاً في سبيل الله عاش على جبهات القتال وبين جنوده حتى آخر رمق في حياته وكان عليه السلام عابداً ناسكاً رحوماً يخاف الله في السر والعلن.

فتنة داود

(استغرق سرد أحداثها من الإصحاح 10 - 19 من سفر سموأل 2).

كان داود بعرش السلام وجيشه يقاتل بني غنم ببلاد زهران فلمحت عينه جارته الجميلة بنت السبع زوجة عروة القائد العسكري وهي تستحم؛ فافتتن بها! وعمل على التخلص من زوجها بوضعه في مكان مكشوف وحرِج أمام العدو تسبب في هلاكه مما مكنه من الزواج منها فيما بعد! لكن القصة تطورت بأن عاقبه الله بموت ابنه البكر منها، وكان سليمان الابن الثاني، ثم تتالت الويلات التي انتابته بانقلاب ابنه أبي سلام عليه واضطراره للفرار إلى تربة حيث أعاد تجميع قواته وأخذ زمام المبادرة من جديد.

وهنا نتوقف لسرد عبرة؛ ذاك أنه في التقليد الاسلامي دعاء: ربي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أدنى من ذلك، أي إن التسليم لأمر الله يجب أن يكون تاماً، وقيل إن نبي الله داود كان يقول: ربي لا تكلني إلى نفسي إلا طرفة عين فأراد الله أن يعلمه وإيانا بأن الإنسان لا يتحمل أن يوكل أمره إلى نفسه ولو طرفة عين! ذلك أن رؤية الجارة الجميلة لم يدم سوى لحظة؛ لكنها كانت كافية ليقع داود في غرامها برغم العدد الكبير من الزوجات والجواري التي كانت ملك يمينه، ولهذه القصة إشارة بالقرآن:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ

قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ۝ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[1].

وبعد، فهل في التراث العربي ما يشير إلى وجود داود (ع) بمكة؟ نعم، فقد جاء في الإكليل[2] نقلاً عن ابن لهيعة أن داود عليه السلام لما أصاب الخطيئة أعمل الاختلاف (أي لجأ) إلى غيران (مغارة) للعبادة حتى وقع على جبل حراء جبل العبادة (بمكة) فأوحي إليه أن يدخل إلى الغار بالقرب منه فهبط إليه داود عليه السلام!

وفيما ذكر عن كرامات العاشر من محرم (رواية شفهية سمعتها ولم أقرأها) أن توبة داود النصوح قبلت في ذلك اليوم - وبدأت نبوته - بعد أن **طاف حول بيت الله الحرام** زحفاً وهو يكنس الأرض بلحيته راجياً رحمة ربه وعفوه! والأحاديث النبوية ذكرت بأنه ما من نبي إلا وحج بيت الله الحرام في مكة.

وهناك أيضاً قصة ما أورده ابن إسحق بالسيرة عن نزاع الحارث بن مضاض الجرهمي (وجرهم كانت بشمال مكة) مع السميدع بن هوبر ملك قطوراء وهم من العماليق (وكانوا بالقسم الجنوبي من مكة) فأخرجتهم جرهم منها. بالتوراة وادي إبراهيم اسمه وادي الرفاعيين الذين منهم الزمزميون؛ وهم من العماليق، وهذا يُذكّر باسم بئر مكة الأشهر: زمزم. وقيل بأن اسم أجياد مكة عائد لأجياد السميدع، وربما يكون عائد للصافنات الجياد التي استعرضها سليمان (ع) والتي كانت إحدى نسائه

(1) سورة ص، الآيات: 21 - 26.

(2) الإكليل، الهمداني، ج8، ص239.

من بني الغُنْم قد نذرتها للإله قُمُش (وربما كمّاش/ذي الكفين)، والتوراة تقول بأن بني غنم (بيلاد زهران) هم من كان يطلق على الرفاعيين اسم الزمزميين[1]!.

وورد[2] أن داود (ع) طلب إجراء إحصاءٍ لبني إسرائيل فبلغت هوذة وحدها 500 ألف نسمة وباقي القبائل 800 ألف، لكن النصوص تفيدنا بأن الله غضب عليه لاعتزازه بالعدد لا بالاتكال عليه فأصاب البلاد وباء شديد مات فيه سبعون ألف رجل؛ فاستغفر ربه؛ فقبل منه وكف البلاء عن العباد، وأقام داود (ع) مذبحاً لله في أرض يملكها شخص اسمه عرنة الباسي. وملك داود على اسرائيل أربعين سنة. في ربوع العين بأضم ملك سبع سنين وبعرش السلام ملك ثلاثاً وثلاثين سنة. وفي نهاية أيامه أوصى بأن يركّب ابنه الفتى سليمان على برذونه ويُنزَل به إلى الحجون[3] فيمسحه الكاهن صدّيق بدهن الطيوب ملكاً على هوذة وإسرائيل!

ومات داود ودفن بمقبرة الحجون بالمعلاة.

تحديد فلكي لإحداثيات عرى/عرش السلام

كنت أقرأ في الكتاب الرائع عن الساعات الشمسية للكاتب الفرنسي المعاصر دنيس سافوا[4] عندما استرعى انتباهي ذكره لظاهرة شمسية تحدث فقط وقت الانقلاب الصيفي بالنصف الشمالي من الكرة الأرضية أي يوم 21 أو 22 أو 23 يونيو (حزيران) في إطار الدائرة الاستوائية فقط؛ أي من خط عرض 23 درجة و26 دقيقة وما دون وكذلك جنوباً بالنسبة إلى خط الجدي وقت الانقلاب الشتوي في أيام 21 أو 22 أو 23 من ديسمبر (كانون الأول)! تلك الظاهرة الأعجوبة التي هي مجهولة من الغالبية العظمى من الناس وحتى في العصور السابقة التي استعملت فيها الساعات الشمسية لآلاف السنين تتمثل في ارتداد الظل إلى الوراء! أي إن الظل بعد أن يمتد بعد الزوال ظهراً يعود في وقت ما عصراً مثلاً فينقبض راجعاً نحو خط الظهيرة بدلاً

(1) سفر التثنية، الإصحاح 2، الجمل: 20 - 21.
(2) سفر السموأل 2، الإصحاح 24، الجملة: 1.
(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 1، الجملة: 33.
(4) Sundials, design, construction, and use by Denis Savoie, Springer 2009.

من الاستمرار نحو وقت الغروب مساءً! سبب هذه الظاهرة هو دوران الشمس حول الأرض في مدارها الكوني الذي يكون بشكل حلزوني بحيث تتسامت على الأرض عند بلوغها درجة 23 و 24 دقيقة وهي درجة ميلان محور الأرض الثابت في دورانها على نفسها. وهذه الحركة من الشمس هي التي ينشأ عنها تنوع الفصول ولولاها لكان طقس كل الأيام واحداً على مدى السنة. الاطلاع على هذه الظاهرة أعاد إلى ذهني الآيتين 45و46 من سورة الفرقان: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[1].

كل أهل التفسير فهموها على أنها تصف حركة الظل عندما يكون بامتداده الأقصى في بداية النهار ثم يبدأ بالتناقص تدريجاً ليختفي عند الزوال بوقت الظهيرة، وبأن الله قادر على أن يجعل الأشياء بدون ظل إن شاء! طبعاً إن الله قادر على كل شيء وهو يفعل مايشاء، إلا أنه ليس هذا المقصود لأن الله إن غيّر السنن الفلكية الطبيعية فلن يعيش مخلوق ليرى النتائج! فلا بد أن المقصود بالآيتين هو ظاهرة طبيعية تحدث منذ خلق الله الأرض وما عليها وتشهد على آية أخرى من آياته. تبدأ الآية بالتعجب وهنا ما يلفت النظر لأن الظل عادة من البديهيات عند كل الناس وليس مدعاة للتعجب في امتداده! كما أن كلمة السكون هنا ليس المقصود بها التوقف عن الحركة بل لزوم الظل في مكانه قبل بلوغ السمت عند الزوال، وذلك بسبب دوران الشمس حول الأرض وهو ما لم يعرف إلا بالعصور الحديثة! تقول الآية ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً إشارة إلى أن في هذه الظاهرة دليلاً على حركة الشمس؛ وهي حركة الشمس في فلكها الكوني الحلزوني. وحالما تبلغ الشمس ارتفاعاً توازي درجته خط العرض الواقع عليه المراقب يزول الظل ليعود فيرتد في الاتجاه الذي جاء منه مدة تتناسب مع بعد الموقع عن خط السرطان، وهذا تأويل بقية الآية ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[2] وهو ما أغفله المفسرون لعدم علمهم بهذه الظاهرة الفلكية.

هذه الظاهرة لا تحدث كما قلنا شمال خط السرطان وهو خط عرض 23 درجة

---

(1) سورة الفرقان، الآيتان: 45 و46.

(2) سورة الفرقان، الآية: 46.

و40 دقيقة؛ وأقصى خط تحدث فيه هو خط عرض 23 درجة و26 دقيقة وهو إذا ما أخذنا منطقة الحجاز يوازي محطة السقيا قديماً (أم البرك حديثاً) على طريق الأنبياء بين مكة المكرمة والمدينة المنورة. فهذه الظاهرة ممكن رصدها ابتداء من محطة السقيا ونزولاً باتجاه الجنوب إلى مكة ثم إلى ما قبل الدرجة صفر عند خط الاستواء على مستوى كمبالا عاصمة أوغندا مثلاً. وأكرر: هذه الظاهرة لا يمكن رصدها أبداً في منطقة المدينة المنورة ولا في أي منطقة شمالاً لا ببلاد الرافدين ولا الشام حتى القطب الشمالي، بينما ممكن رصدها في الجزء الذي يلي خط الاستواء جنوباً حتى ما قبل خط الجدي عند درجة خط العرض ناقص 23 و26 دقيقة.

أول من ذكر هذه الظاهرة في العصر الحديث كان عالم الرياضيات والفلك الإنكليزي توماس كيث (1759 - 1824) الذي نشرت أطروحته عن حركة الأجرام في العام 1855 وأوضح فيها أن هذه الظاهرة تحدث مرتين: قبل الظهر وبعده في يوم الانقلاب الصيفي في شمال خط الاستواء وكذلك في يوم الانقلاب الصيفي جنوب خط الاستواء إلى مدار الجدي عندما يكون وقت الانقلاب الشتوي في شمال الكرة الأرضية. وذكر كذلك أنه كلما ازداد الفرق بين خط عرض الموقع ودرجة انحدار الشمس؛ وهي في هذا اليوم تكون في حدها الأقصى عند 23 درجة و26 دقيقة كان الارتداد أطول. ففي مدينة مثل أبها بعسير عند خط العرض 18 و12دقيقة و59 ثانية كان الارتداد يومي 21 و23 حزيران / يونيو من العام 2010 عشرين درجة كاملة بحسب تجربة الدكتور نور الدين المستقيم المنشورة على الشبكة العنكبوتية: فبعدما استمر الظل بعد الظهر في الامتداد بعد الزوال باتجاه عقارب الساعة الطبيعي حتى الساعة الثانية بعد الظهر عاد وانقبض بعكس اتجاه عقارب الساعة (الشمسية) بنسبة 20 درجة وهو ما يعادل في حسابات الساعات الشمسية ساعة وثلث الساعة لأن كل ساعة تقسم إلى خمس عشرة درجة؛ أي إن الدرجة تعادل 4 دقائق من التوقيت الحديث. ولو جرى قياس الارتداد في مكة المكرمة وهي عند خط العرض 21 و 25 دقيقة فسيكون الارتداد حتماً أقصر (ربما نصف عدد الدرجات التي بأبها).

ومن قراءتي بالعهد القديم موضع فيه إشارة إلى هذه الظاهرة الفلكية الفريدة[1]:

وقال حدقة (الملك) لسعيا (النبي): ما العلامة أن الرب يشفيني فأصعد في اليوم الثالث إلى بيت الرب (9) فقال سعيا هذه لك علامة من قبل الرب على أن الرب يفعل الأمر الذي تكلم به: هل يسير الظل عشر درجات أو يرجع عشر درجات (10) فقال حدقة إنه بديهي على الظل أن يمتد عشر درجات لا أن يرجع الظل إلى الوراء عشر درجات (11). فدعا سعيا النبي الرب فأرجع الظل بالدرجات التي نزل بها بدرجات الملك «أخّاذ» عشر درجات إلى الوراء!

وتكراراً في سفر شعيا[2] (اسعيا): وهذه لك العلامة من قبل الرب على أن الرب يفعل هذا الأمر الذي تكلم به (8) ها أنذا أرجع ظل الدرجات الذي نزل في درجات «أخّاذ» بالشمس عشر درجات إلى الوراء. فرجعت الشمس عشر درجات في الدرجات التي نزلتها. ونعلم بعدها أن ملك بابل «برادك بلّادن» أرسل وفداً لتهنئة الملك حدقة بالسلامة (وللإستخبار عن «المعجزة» الحاصلة). أما من زعم بأن النبي شعيا (اسعيا) قد خدع الملك بما قاله وأنه من سِحرٍ كان قد تعلمه في بابل فقد خاب ظنه لأنه افترى على نبي الله بما لم يحسب له حساباً، فهذه الظاهرة لم تكن معروفة لا في بلاد الرافدين ولا في بلاد القبط ولا في بلاد اليونان، فأدنى نقطة في العراق عند البصرة تقع عند خط عرض 30 درجة وثلاثين دقيقة! إنه الوحي، العلم الرباني الذي علّم نبيه ما لم يكن يعلم. إنها ظاهرة طبيعية من ضمن المنظومة الإلهية الموضوعة بميزان الإبداع والتي لا مجال لأن تتبدل قيد أنملة حتى يرث الله الأرض وما عليها. إن الإعجاز هنا هو في مناسبة توقيت هذا الحدث الطبيعي مع مرض الملك ووعد الله له بالشفاء لأنه أناب إليه خاشعاً متضرعاً بقلب سليم وبكى بكاءً شديداً فقبل الله توبته وأوحى إلى نبيه سعيا (أشعيا) بأنه سيشفيه.

هل من فوائد جانبية نجنيها من هذه المعلومة؟ بالطبع:

(1) سفر الملوك 2، الإصحاح 20، الجملة 8.

(2) سفر أشعيا، الإصحاح 38، الجملة 7.

1 - فأولاً هنا دليل آخر على الإعجاز بآيات القرآن، وبأنها وحي رباني لنبينا محمد (ص)

2 - وثانياً أمامنا إثبات بحسابات فلكية على أن الحاضرة الملكية عرى/عرش السلام (أورشليم) ما كانت بأراضي فلسطين اليوم بل بتهامة. وبحسابات يعرفها الفلكيون جيداً ممكن تحديد إحداثياتها بدقة متناهية، ولا مجال للخطأ في هذه الأمور. وتقديري بأن الحسابات ستكون متطابقة مع الإحداثيات الفلكية لأم القرى؛ حرسها الله وزادها شرفاً.

وأذكّر في نهاية هذا الفصل بحديث النبي (ع) عن السرحة التي بقرب مكة والتي قطعت تحتها سرر سبعين نبياً. فأي أمة ولد فيها هذا العدد من الأنبياء غير بني إسرائيل؟ يجب العمل على إعادة جمع كل الأحاديث النبوية التي تخص بني إسرائيل كما فعل البعض بالنسبة إلى آي القرآن عنهم، فربما فيها معلومات إضافية لم تكن ذات بال في الماضي واليوم بتنا نعلم أهميتها.

هيكل سليمان التهامي وقدس الأقداس

جَعَلَ داود (ع) من عرى/عُرُش السلام (مستوطنة جبل قبيس) عاصمته الرسمية إلا أنه أقام معظم وقته بحصن المعلاة القريب من وادي طوى الذي سمي بعرّ داود (والعرّ جانب الوادي)، ومات هناك ودفن بمقبرة الحجون[1]. هناك ولد ابنه وخليفته سليمان وأقام إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الله وسور المدينة (الملوك الأول 1: 3) وقد جاء في القرآن الكريم ذكر لقصر سليمان (ع) أثناء زيارة ملكة سبأ له:

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

استلم سليمان من والده مملكة عظيمة امتدت من تمرة بوادي الدواسر شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً ومن وادي نخلان شمال صبيا بتهامة جنوباً حتى وادي القرى شمالاً (امتدت الأراضي التي حكمها سليمان من دان إلى بئر السباع)[3]. وقرب الليث (لا إيلات) ابتنى قاعدة بحرية لتجارته التي امتدت عبر بحر العرب إلى شرق إفريقيا والهند. وهنا نرى أن الأسطول الذي أقامه سليمان (ع) كان بمساعدة خيران (حيرام) ملك صور؛ وصور هنا هي صور عُمان بالطرف الشرقي

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 2، الجملة: 10.
(2) سورة النمل، الآية: 44.
(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 4، الجملة: 25.

لشبه جزيرة العرب وبحارتها كانوا الأمهر ببحر العرب قاطبة، وقد قرأت كتاباً[1] وضعه أميرال بريطاني في بدايات القرن العشرين ذكر فيه أن صينيين بهونغ كونغ أخبروه بأن مخطوطاتهم القديمة تذكر بأنهم تعلموا بناء السفن الكبيرة العابرة للمحيط (Junk) من أهل صور العُمانيين! وكان العُمانيون يشدّون ألواح سفنهم بالحبال (الدسر) المصنوعة من أشجار النارجيل/جوز الهند التي لا تؤثر فيها ملوحة المياه! جاء في القرآن الكريم:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾[2] المقصود هنا أن الله مكّن لسليمان (ع) أن تتعلم بحارته أسرار الرياح الموسمية التي كانت تأخذ سفنه إلى الهند وسواحل إفريقيا الشرقية مع توقف في موانئ عُمان (ريسوت وترشيش؟) وأوفير (العفار بجيبوتي اليوم) التي ذكرت بمرويات العهد القديم[3]. وصنع سليمان (ع) سفناً بعضان الجوابر (التي بجانب الليث) على شاطئ بحر صوفة (الأحمر) بتهامة، فأرسل خيران (حيرام) عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان فأتوا إلى أوفير (عفار جيبوتي) وأخذوا من هناك ذهباً (لعل مصدره القارة الإفريقية) وزنه أربع مئة وعشرون وزنة وأتوا بها إلى الملك سليمان. (هنا نسجل لمؤلف كتاب «كنوز الملك سليمان» السبق في تخمين صحيح لجغرافية تلك المناجم في شرق إفريقيا وربما في الداخل عند زيمبابوي) لأنه ما من مناجم ذهب لا في عُمان ولا في الهند. نعلم أيضاً أنهم كانوا يأتون بطيور مثل الطواويس وهذه موجودة بسيلان والهند بينما العاج والقردة والأفاوية قد تكون من شرق إفريقيا أو الهند.

وهنا أود أن أبين استحالة أن تكون عصيون جابر في منطقة إيلات جنوب فلسطين، إذ كيف سيأتون إليها بالخشب من لبنان لبناء أسطول! هل كانوا سيحمّلون هذه الأخشاب على ظهور الحمير والبغال عبر صحراء النقب! ولماذا يبني أسطولاً في البحر الأحمر وأمامه البحر الأبيض المتوسط للتجارة على طول الساحل! ثم

(1) مكتبة أرامكو السعودية التقنية.

(2) سورة سبأ، الآية: 12.

(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 9، الجملة: 26.

لم يبلغ إلى مداركنا أن الفينيقيين أبحروا في البحر الأحمر قبل رحلة حنّون ورفاقه؛ والتي اعتبرت مغامرة فريدة في ذلك الوقت فقد دار حول إفريقيا وعاد عن طريق جبل طارق بعد ثلاث سنوات وذلك في القرن السادس قبل المسيح أي بعد زمن سليمان بأربعة قرون. وبالمناسبة فإن التاريخ سجّل أن الإبحار في شمال البحر الأحمر لم يصبح ممكناً إلا بعد احتلال الرومان لبلاد القبط أي بعد زمن سليمان بألف عام تقريباً باستخدام السفن الكبيرة نسبياً التي تستطيع الإبحار في وسط البحر بواسطة عشرات المجدّفين دون الحاجة للتوقف مراراً وتكراراً لتعبئة الزاد وخصوصاً المياه العذبة؛ وهذا الأمر لم يكن متيسراً بالبحر الأحمر لخلّوه من موانئ متعددة وآمنة لدخول المراكب بسبب الشعب المرجانية الخطرة على السفن الخشبية.

والأمر نفسه ينطبق على قصة سليمان مع ملكة سبأ. فعندما تكون القصة أن مملكتها في مأرب على مسيرة محجة تكون المسألة عادية لتذهب إلى مكة وتهنئه ببناء العاصمة الجديدة وافتتاح الهيكل والصرح (قصره الجديد). أما أن تذهب من مأرب إلى شرق المتوسط وهي على مسيرة ثلاثة أشهر للقوافل العادية فأمر صعب لموكب ملكي على رأسه امرأة مرفهة يجب أن ترتاح غير مرة في اليوم. وعندما يكون على هذا المقدار من القرب الجغرافي يصبح تهديده ودعوته لها وقومها لتوحيد الله وترك عبادة الشمس أمراً جدياً؛ ولا سيما أن ملكه كان واصلاً إلى نجران القريبة نسبياً من الجوف ومأرب. أما تهديده لها لو كان في القدس بفلسطين فما كان سيكون له الوقع نفسه لبعد المسافة. وقد جربت روما بجيوشها الجرارة وإمكانات أمبراطوريتها العظيمة غزو الجنوب العربي بعد ألف عام فلم تقدر على تحقيق أية نتيجة وبالكاد وصلوا إلى نجران ثم انسحبوا، وكانت غزوتهم الفاشلة بدءاً من بلاد القبط إلى الوجه على الساحل ومن ثم عودتهم عن طريق البحر.

الهيكل

كثر الحديث في عصرنا عن الهيكل الذي شيده النبي سليمان (ع)، وبحثوا تحت تلة المسجد الأقصى بالقدس من أقصاها إلى أقصاها وعلى أعماق متعددة فما وجدوا شيئاً يعود إلى ألف سنة قبل الميلاد! فوق ما يسمى بحائط المبكى كان يقوم الهيكل

الثاني؛ ونعلم ذلك بالتواتر خصوصاً أنه شيد وهدم بالحقبة الرومانية بعصر التدوين الذي بدأ مع أبي التاريخ هيرودوتس بالقرن الخامس قبل الميلاد واستمر بالنسبة إلى العالم الغربي منذ ذلك الوقت. الجدير ذكره أن هذا المؤرخ الإغريقي الذي عرف بكتاباته التفصيلية التاريخية والجغرافية لعصره جاء بداية لكتابة تاريخ الفينيقيين الذين نافسوا قومه في التجارة البحرية على طول البحر الأبيض المتوسط، لكنه زار أيضاً بابل التي كانت أهم حاضرة في العالم بعصره ودوّن تاريخها، ثم ذهب إلى مصر وفعل الأمر نفسه. في كل المدة التي عاشها بمنطقتنا لم يسمع بشيء اسمه هيكل سليمان ولا بأورشليم ولا بداود ولا موسى ولا إبراهيم ولا التوراة ولا بني إسرائيل أو اليهود، ولا صادف أحداً منهم، بينما المفروض أن كان يجد هذا الكتاب كاملاً؛ سيما وأنه كان قد تم الفراغ من تدوينه قبل قرن من عصر هيرودوتس. هنا نستنتج بأن الهيكل الفلسطيني البدائي تم تشييده بالفترة التي تلت عصر هيرودوتس وقبل عصر الإسكندر المقدوني في نهاية القرن الرابع ق. م؛ الذي زعموا بأنه تلقى دعوة أحبارهم لزيارته. ثم إن الملك العدناني حريد قام ببناء هيكل عظيم بقي حتى السنة 70 ميلادية عندما دمره الرومان بسبب ثورة اليهود على حكم روما.

تفاصيل بناء الهيكل السليماني مدوّنة بكثير من التفصيل[1]. وقد راسل سليمان ملكاً مجاوراً يطلب منه المساعدة على البناء. و (ح ى رم) هنا كان ملك السعديين (لا الصيدونيين) بسراة الطائف الذي قام رجاله بقطع أخشاب سدر (أرز) وبروشم (عرعر) كما أوضح تفسيرها الدكتور قشاش بكتاب «أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة» ولبنان هنا هما جبلا لبن الأعلى والأسفل بهدا الطائف، ونقل الأخشاب تم يماً بمعنى غرباً لا بحراً. وصحيح أن الهيكل دمر تماماً على يد نبوخذ نصر في القرن السادس ق.م إلا أن أسسه بحجارتها الضخمة التي نحتت بالجبال المجاورة ثم نقلت إلى الموقع وصفّت بعناية استغرقت 4 سنوات[2] بقيت سليمة، لذلك فهي بيت القصيد؛ والكل مشغول بالبحث عنها من مئات السنين لإثبات تاريخية النصوص. فإذا لم تكن ببيت المقدس الفلسطيني فأين تكون؟

(1) سفر الملوك 1، الإصحاحات: 5 - 9 بالكامل.
(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 6، الجملة 37.

نقل سليمان مركز حكمه من المعلاة لجبل قبيس حيث شيّد صرحه المسمى أرز لبنان، وعلى مقربة من أجياد كانت الجياد المنذورة للشمس التي كانت تحت رعاية زوجه من بنات الغنم التي كانت ما زالت على دين قومها؛ وهذا سر ذبحه لها بعد أن فتنته وشغلته عن الصلاة وذكر الله، أما الهيكل فكان بالأسفل من صرحه القبيسي! ولو تتبعنا مواصفات الهيكل كما وردت بالإصحاح 7 لوجدنا بأن الهيكل عبارة عن بناء بمقاييس متواضعة بحكم اليوم: طوله 30 متراً وعرضه 10 أمتار فقط! خارج المدخل الرئيسي إلى اليمين منحرٌ لتقديم الأضاحي وإلى اليسار حوضٌ كبيرٌ لمياه الوضوء للداخلين للصلاة. أما أهم ما في الهيكل فكان غرفة بنهايته يصعد إليها بدرجات من أخشاب الصندل أتي بها عن طريق العفار (جيبوتي)؛ فكانت هذه المقصورة المغلقة قدس الأقداس الذي وُضع بداخله تابوت العهد الذي بداخلها قطعتان من رضارض الألواح الأولى التي خطتها يد القدرة الإلهية وحطمها موسى بسورة الغضب التي اجتاحته عندما رأى قومه يسجدون للعجل الذهبي أسفل الجبل. اللافت هو مقاييس هذه الغرفة المرتفعة التي كانت مربعة وطول كل ضلع من أضلاعها 20 ذراعاً (والذراع القديم يعادل 45 سنتيمتراً اليوم) وهو ما يوازي 9 أمتار حالياً! فما هو البناء المربع والمرتفع الباب الذي يقع أسفل من وعلى مقربة من جبل أبي قبيس وله قدسية كبيرة ليسمى قدس الأقداس؟

لو راجعنا قياس أبعاد الكعبة المشرفة من الداخل بحسب مركز أبحاث الحج لجامعة أم القرى (1408هـ) وهو الأحدث لوجدناه يبلغ 81،4 متراً مربعاً! وإلى الشرق من الكعبة هناك ما بات يعرف بمقام إبراهيم وهو حجر على شكل جرن صغير منحوت داخله بعمق 15 سنتم وله ارتفاع للواضع رجليه داخله (بغير ارتياح) لا يتعدى سنتيمترات قليلة عن الأرض! فكيف يكون لوقوف من يريد أن يعلو بالبنيان 10 أمتار! كذلك إلى غرب المقام موقع ماء زمزم وهو مناسب تماماً للحوض الكبير الموصوف والمخصص لماء الوضوء. ناهيك أن اسم الكعبة مشتق من الكعب أي العلو وليس من التكعيب بمعنى تساوي الأضلاع؛ فالبناء ارتفاعه أكثر من أبعاده المربعة بمتر تقريباً، ولا يوجد تفسير مقنع لعلو بابها عن مستوى صحن الحرم كأن يكون لحمايتها من السيل، أو السرقة وهي فارغة على كل حال، أو لمنع الأعداء من

دخولها؛ إلا لأنها بنيت طبقاً لمواصفات قدس الأقداس الذي بناه سليمان (ع) وكان له درج للولوج إليه من الهيكل من قبل الكاهن الأكبر يوم عيد الغفران. وفي العهد القديم لا نجد النصوص التي تحدد الموقع الذي كانت فيه الكعبة قبل أيام سليمان (ع) لكن الذكر الحكيم أشار إليها:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾[1].

فالكعبة هي البناء المرتفع داخل الهيكل أي الحرم المكي الذي بناه سليمان (ع) والبيت الحرام هو البيت المتواضع الذي رفعه إبراهيم (ع) فيما مضى ولم يكن له باب مرتفع، فتأويل هذه الآية أن الكعبة السليمانية شيدت بمكان البيت العتيق! هل هناك براهين أركيولوجية على هذه الفرضية؟ نعم. فقد ذكر الأزرقي[2] بالتواتر عن جده الذي عاصر عبد الله بن الزبير (ر) وشهد بناءه للكعبة أنه عند الكشف عن أسسها وجدت حجارة ضخمة يعادل حجم كل منها سنامي جمل ومرصوفة بعناية كبيرة! وقد تم التثبت من هذا الأمر في عهد الملك سعود (غفر الله له) عند الحفر على جانب البيت لمد أقنية لتصريف مياه المطر، وقد تم توثيق ما قاله الأزرقي بالصور المنشورة[3]. ولو تم اليوم الكشف بالسونار (Ground Penetrating Radar) لتبين بأن هذه الأسس تمتد باتجاه مقام إبراهيم ودون موقع زمزم، وهو الحيّز المسمى بالحطيم لأن حطام الهيكل من الحجارة بعدما هدمه الخلدان (الكلدانيون) كان مجموعاً فيه، وربما لم يتبق لنا منه اليوم سوى حجر واحد هو المسمى بمقام إبراهيم، وقد ورد بالتراث وجود كتابة مسندية عليه قرأها يهودي يمني وقال بأنها كتابة ذات طابع ديني! وبمواجهة باب الكعبة كان موقع باب الهيكل وبقي في الجاهلية والإسلام وحتى بداية العهد السعودي محدداً بما كان يعرف بالباب الأعظم أو باب بني شيبة، وصوره ما زالت موجودة على الشبكة العنكبوتية. وبعد الفراغ من بناء الهيكل أنزل سليمان (ع) تابوت العهد من مسكن والده بالمعلاة ووضعه داخل قدس الأقداس.

ملك سليمان أربعين سنة عرفت فيها مكة فترة غير مسبوقة من الازدهار، وصارت

(1) سورة المائدة، الآية: 97.

(2) تاريخ مكة، الأزرقي.

(3) الآثار الإسلامية، في مكة المكرمة، د. ناصر الحارثي، اللوحة: 51.

فيها مركزاً حضارياً لكل الجزيرة العربية؛ حتى أن ملكة سبأ سليلة الحضارات اليمنية القديمة والمتعاقبة أتت لترى وتتحقق مما سمعته؛ فأخبرته بأن ما شاهدته فاق ما كانت قد سمعته! وكثير من مظاهر الحضارة العربية التقليدية في الجزيرة اليوم يعود إلى تلك الفترة الزاهرة أكان لجهة المأكل والملبس والنقوش الخشبية والمجوهرات الفضية التي تكثر فيها الزينات المسدسة والتي ترمز إلى خاتم سليمان (المعروف عند اليهود بنجمة داود) والموسيقى والغناء والرقص (السامري)، واستعمال دهون الطيوب وإصعاد بخور اللبان والعود. كانت آنيته من الذهب، وخشب المزاهر من خشب العود الخالص؛ ومن هنا ربما جرت المواءمة بين الاسمين! ويقال بأن الفضة كانت على عهده مثل حصى الطرقات لكثرة مواردها؛ غير الذهب والحلل والسلاح والطيوب والخيول والبغال سنة فسنة[1]. وبلغت شهرة سليمان الآفاق وتكلم بـ3000 مثل وكتب 1500 نشيد وتكلم عن الأشجار والطير والدواب والسمك. وكانت الناس من جميع الشعوب التي سمعت به تأتي لتسمع حكمته. وبعد حكم زاهر استمر 40 عاماً مات ودفن بمقبرة المعلاة التي باتت المدفن المعتمد لملوك بني إسرائيل. وبعض الأعمال الخارقة التي تحتاج إلى جهد ومال عظيم تعود إلى حقبته؛ منها درب الفيل الذي طوّر كطريق سريع يشد أطراف مملكته، ومشاريع أقنية المياه لمكة التي ربما قامت على مساراتها أقنية زبيدة في العصر العباسي.

طرفة عن سليمان

جاء في حديث للمصطفى (ص) أنه ما من نبي إلا رعى الغنم، وكنت أتساءل: كان سليمان (ع) ملكاً ابن ملك فما حاجته لرعي الغنم! إلى أن قرأت[2] بأن سليمان أحب راعية ورغب في أن تبادله الشعور بعيداً عن أبهة الملك، فتنكر في زي راعٍ يرعى بالجوار كي يتقرب منها! فاللهم صل على محمد.

مصير الكعبة في الزمن الغابر

بقيت الكعبة قبلة المسلمين من ذرية إبراهيم (ع) عصوراً طويلة حتى هدمها

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 10، الجملة: 25.

(2) نشيد الأناشيد، محمود شريح.

نبوخذ نصر، ثم أعاد بناءها عائد من بابل اسمه ذر بابل الذي جاء بالإذن من الملك الفارسي كورش، ثم لم نعد نسمع عنها شيئاً. هنا يبدأ القرآن يفرّق؛ فمن عصر العزير ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾[1] لم تعد الإشارة لبني إسرائيل الذين بادوا ككيان سياسي وصار الكلام فقط عن يهود! وبات بنو إسرائيل ذكرى مثل عاد وثمود. جاء الفتح اليوناني للمشرق فانهارت سلطة بلاد الرافدين على جزيرة العرب، ورفعت الحماية الأمبراطورية عن اليهود وباقي الأقليات، ولم يمهل القدر الإسكندر لمد ظل أمبراطوريته على جزيرة العرب فعرف أهلها الحرية من جديد بعد أن كانوا خسروها منذ الغزو الخلداني. نشطت التجارة وفتحت الأراضي الواسعة بين آسيا وأوروبا وإفريقيا فبدأت جماعات اليهود القابضة على دينها بالهجرة إلى خارج الجزيرة، لأنهم حمّلوا وزر الاحتلال الأجنبي الماضي بتحديهم دولتي أثور وبابل الجديدة. وكانت هجرة الحجازيين منهم إلى بلاد الشام وهجرة أهل نجد وحائل إلى العراق. وكان استيطان لفلسطين من قبل هاشميين مكيين أصحاب الإسم الإلهي (وليس حشمونيين مكابيين) فأقاموا هيكلاً ثانياً وفق مواصفات الهيكل الأول وبقدس أقداسه! وكان مفهوم المؤمنين أن يتوجهوا بأفئدتهم عند الصلاة إلى قدس الأقداس الذي ربما كان بداية متوجهاً نحو البيت الحرام بمكة حيث قبلة إبراهيم (ع)؛ وهذا ما يسمى عندهم بالقِبالة (استقبال القبلة)، التي كانت مكانية ثم صارت قلبية؛ إذ قام بطليموس ملك الإسكندرية بترجمة النصوص العبرية لليونانية وعنها تمت كل الترجمات فيما بعد؛ وأتى تفسير يسقط كل جغرافيتها على أرض فلسطين! عند ظهور الإسلام كانت قبلة المسلمين بمكة تجاه بيت المقدس ليمتحن الله قلوب المؤمنين، وبقيت كذلك إلى ما بعد الهجرة إلى يثرب بسنة ونصف عندما نزلت الآيات المباركة التي أعادت القبلة إلى سابق عهدها من أيام إبراهيم (ع): صوب المسجد الحرام المكي. ولعمري فإن إعادة تصويب القبلة لهو من أهم إنجازات البعثة المحمدية:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ﴾[2].

(1) سورة التوبة، الآية: 30.

(2) سورة البقرة، الآية: 144.

خلاصة: كانت قبلة بني إسرائيل مكية (لبيت الله الحرام) حتى غزوة نبوخذ نصر للحجاز، ثم كانت مرحلة ثانية هي المرحلة اليهودية؛ فصارت القبلة لبيت المقدس بفلسطين، ثم عادت مع البعثة المحمدية لبيت الله الحرام كما كانت أيام إبراهيم (ع) وفترة بني إسرائيل بغرب الجزيرة العربية.

تابوت العهد والسكينة

ما هو تابوت العهد وهل تطرق القرآن إليه؟ جاء بالذكر الحكيم: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ﴾[1] فماذا جاء عنه؟

الحجر الأسود

ما هي حقيقة الحجر الأسود أو الأسعد ومتى وضع في جدار الكعبة المعظمة وما هي أهميته ؟ تتضارب النظريات والروايات حول منشأ الحجر، وقد قيل بأنه حجر من الجنة وأنه أتى على شكل نيزك بأيام آدم ليرشده أين يبني البيت؛ بالاستناد إلى أحاديث نبوية مفردة الإسناد حول الموضوع يُشكّ في صحتها. وحقيقة فإن النيازك تحترق عادة عند دخولها المجال الأرضي ولا يتبقى منها سوى المعادن الصلبة التي تتحمل الحرارة والتي عادة ما تكون ثقيلة وغامقة الألوان؛ وهو ما يناقض طبيعة الحجر الأبيض اللون القابل للانكسار والخفيف إلى درجة تجعله يطفو على سطح الماء؛ وهو ما نقله ياقوت الحموي عن الشيخ محمد الخزاعي الذي استلم الحجر الأسود من القرامطة فوصف بأن طوله ثلاثة أشبار، أبيض اللون ما عدا القسم الخارجي الذي هو أسود. ولما قال له أحد القرامطة: وما يدريك بأننا لم نحتفظ بالأصل وما أعطيناه لكم هو شبيه له أجابه: خسئت فإننا نعرفه يطفو بالماء وهذا هو كذلك! كان الموقف حرجاً ولولا هذه المعلومة لما حسمت هذه المسألة وقتذاك! وما نراه من الحجر اليوم قطعة مقطعية من لوح غاطس في جدار الكعبة مقداره ذراع، وهو إذاً خفيف

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 38.

الوزن، يطفو على الماء لخفته وسريع الانكسار، ولونه بين الأبيض والأسود!

ما هي الرواية الثانية عن طبيعته ؟ وصف علي بك العباسي الحجر الأسود بأنه كتلة من البازلت البركاني، كذلك قال الرحالة السويسري بوركهارت بأنه عبارة عن حمم بركانية تحوي حبيبات عديدة صغيرة الحجم خارجية من مادة ذات لون أبيض وأصفر! أما أكثر من احتكر التعامل معه براحة فكان جون كين البريطاني[1] الذي عمل بمكر ودهاء! إذ كان من المقيمين بالهند فترة طويلة فتظاهر بأنه من المسلمين والتحق بخدمة مهراجا آتٍ لفريضة الحج في العام 1877م. وبينما كان الناس بمزدلفة كان هو في الصحن يدرسُ الحجر. ولم يكن في الجوار سوى اثنين من المعتمرين المغاربة فكان له ما أراد من تفحص الحجر وملامسته على الوجه المطلوب، وكان قد راجع بالمتحف البريطاني سابقاً طبيعة كل الأحجار المعروفة بالعالم فتأكد له ومن ملازمته 4 أشهر أنه من أحجار الأوبسيديوم (OBSIDIAN) وبالعربية حجر السبج! فالوصف من هذا الأجنبي يحل اللغز تماماً؛ فأحجار السبج من الحمم البركانية زجاجية التكوين، وتتواجد بالألوان السوداء والرمادية والبيضاء، فإن صادفت مطراً أثناء الفوران البركاني تبرد بسرعة فائقة تحبس معها فقاعاتٍ من الهواء مما يجعلها خفيفة إلى درجة تطفو بالماء. كما أن الطبيعة الزجاجية للّابة هي التي تجعل منها قابلة للكسر! وقد وردت حوادث الكسر عند إخراج جرهم للحجر من مكة (وسنعود لذلك فيما بعد) وأيام ثورة ابن الزبير، وفي أيام القرامطة، وفي أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي.

عند مراجعة المعلومات المتوافرة عن حجر السبج تبيّن أنه استعمل في كثير من الحضارات من قبل المعالجين النفسيين لمداواة المرضى المتعبين لأنهم كانوا يعتقدون بأنه قادر عل سحب الذبذبات السلبية الموجودة بهالة الطاقة المحيطة بالأجسام البشرية! هذا يذكّر كيف أن الأيدي والأرجل والجلود تشهد على أفعالنا السلبية يوم القيامة، وأن من حج ولم يفسق أو يرفث رجع كيوم ولدته أمه!

---

(1) ستة أشهر في الحجاز، جون كين.

قال عمر (ر) للحجر بأنه لا يضر ولا ينفع وأنه يقبّله فقط لأنه رأى نبي الله (ص) يفعل ذلك، وصادف وجود الإمام علي (ك) فألقى محاضرة طويلة حول مزايا الحجر الأسود جعلت عمراً يقبّل رأسه ويقول لباب مدينة العلم: لا جعلني الله أقطن في بلد لست فيه يا أبا الحسن!

وقد أورد الطبراني نقلاً عن إبن عباس: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبّل يمينه! فما دخل الحجر بيمين الله؟

تابوت العهد

ذكرنا بفصل داود (ع) أن أورشليم كانت مستوطنة عرش السلام بجبل قبيس بمكة، وبفصل سليمان (ع) أن أهم قسم بالهيكل الحرم كان الكعبة المشرفة التي هي قدس الأقداس؛ وأن أهم ما كان فيها هو تابوت العهد الموضوع داخلها منذ أنشأ سليمان (ع) الهيكل. هذا التابوت الذي يحتوي قطعتين من رضارض ألواح موسى، ضاع في خضم حملة نبو خذ نصر الخلداني على الجزيرة عموماً وتهامة ومكة خصوصاً! وهناك قول بأن نبي الله ارميا وقوماً من سبط الدانيين (أعجاز هوازن) فروا به إلى الحبشة، وربما هم أول من أسس دولة اكسوم الموسوية الدين في المنطقة نفسها التي استُعبد فيها بنو إسرائيل بمصر سابقاً (كانت تابعة لمملكة مطرة المجاورة في أيام النبي يوسف) وكانت لغتها الجعزية اللغة الرسمية للدولة. وهنا تأويل ثان للآية التي أعجزت مفسري القرآن ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1] إذ لم يثبت قطّ أن بني إسرائيل ملكوا بلاد القبط قديماً. وما زالت الجعزية إلى اليوم لغة الكنيسة بإثيوبيا؛ وهي من لغة كنانة القديمة التي جاءت نبوءات على لسان رسل لبني إسرائيل عن استعمالها بالمستقبل في مصر/الحبشة كلغة مخاطبة، وكتابتها بأبجدية المساند التي كانت سائدة بغرب الجزيرة قبل غزوة نبوخذ نصر وإجلائه السكان، والنقش الذي قيل إنه وجد على مقام إبراهيم شاهد على ذلك! ومن بقايا عادات الإثيوبيين لليوم الاحتفاظ بتابوت خشبي داخل كل كنيسة يكون مسؤولاً عنه كاهن مخصوص يأتي به يوم الصلاة الأسبوعي

(1) سورة الشعراء، الآية: 59.

ويحظر على العامة الاقتراب منه لمسافة أمتار عدة، ويطاف به بين المصلين بحمله على رأس الكاهن المسؤول فقط في الأعياد والمناسبات الكبرى.

بعد الجلاء إلى بابل والعودة إلى السلام وإعادة إعمار الهيكل (اقتصر على الكعبة دون باقي الهيكل) يذكر التاريخ اليهودي أن الناس بفقدانها التابوت من الهيكل «لم تعد تجد **السكينة**»! وهو التعبير نفسه الذي ذكره القرآن عن التابوت: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾[1]. اللافت هنا هو ربط السكينة بالرب! فما دخل التابوت بالرب؟ ونتساءل هل أتى التاريخ العربي على ذكر لهذا التابوت؟ جاء في الإكليل[2] نقلاً عن وهب بن منبه: لما أخذت جرهم التابوت هم وعدنان ومن معهم من العرب العماليق وطسم وجديس تهاونوا به ودفنوه في مزبلة؛ فنهاهم عن ذلك الحارث بن مضاض الجرهمي والنبي اسماعيل بن الهميسع ابن نابت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم (ع)؛ وأن الأخير أخرج التابوت من المزبلة وحفظه عنده، وجعل أبناؤه يتوارثونه حتى زمن عيسى ابن مريم (ع)؛ فإنه أخذه من كعب بن لؤي بن غالب. وهذا يتماهى مع ما ورد في التاريخ العربي الجاهلي أنّ جرهم قامت عند إخراجها من مكة بخلع الحجر الأسود من موقعه ودفنته في زمزم، وفي رواية أخرى بجبل قبيس ولذلك سمي الجبل بالأمين. وورد في الأثر أن امرأة من خزاعة أبصرت موقع دفن الحجر الأسود فأخبرت قومها فعملوا على استخراجه من مدفنه وأعيد إلى موقعه الأصلي! وكما قلنا سابقاً فإن فترة جرهم ترمز إلى فترة ملك بني إسرائيل بتهامة، وأن إخراج جرهم هو إخراج هوذة من مكة على يد جند بختنصر، وكذلك قصة التابوت هي قصة الحجر الأسود نفسه، وأن الأخير ما هو إلا واحد من رضارض الألواح التي خطت يد القدرة الإلهية لموسى عليها: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[3] وإلا فكيف نفسر الوجود بمكة لهذا الأثر الذي في طبيعته من اللابات السبجية؛ إلا أن يكون أتى من رضارض الألواح المختارة ربانياً من جبل

(1) سورة البقرة، الآية: 248.
(2) الإكليل، الهمداني، ج8، ص: 238.
(3) سورة الأعراف، الآية: 145.

فرعة سنان البركاني قرب ضنكان شرق البرك أثناء وجود موسى (ع) بأعلى الجبل وبني إسرائيل في أسفله، والتي حطمها موسى بسورة غضب عند رؤيته قومه يعبدون العجل الذهبي الذي صاغه السامري لهم!

وحكاية الإكليل عن وصول التابوت لعيسى ابن مريم (ع) تذكّر هنا ببحث الدكتور صليبي[1] الذي رأى فيه أن عيسى بن مريم كان من فترة بني إسرائيل (التي انتهت بغزوة بختنصر) بينما يسوع هو من الفترة اليهودية بفلسطين.

هذا الأمر يفسر كل شيء، يفسر أصل الحجر الأسود ويفسر أهميته ولماذا ارتبط التابوت بالرب ولماذا دعي الحجر الأسود يمين الله في أرضه! فإذا كان القرآن قد نسب فعل الكتابة إلى الله فلا شك أن هذا الحجر عليه أثر رباني خفي له تأثير عجيب بإحداث سكينة في داخل من يقترب منه. وحتى استلامه من بعيد برفع اليد تجاهه والتكبير له التأثير نفسه لأن طبيعة الحجر قد تسحب الكدر من جسم الحاج والمعتمر، وتأثير القدرة الربانية بالخط عليه يملؤه بالسكينة! وهناك احتمال أن يكون النبي ارميا يوم غزوة نبو خذ نصر قد قسم المجازفة؛ فأبقى لوحاً من الاثنين في مكة وهو الحجر الأسود الذي دفن بجبل قبيس، وهرّب الثاني معه إلى إكسوم بالحبشة حيث توفي، وحيث تقليد إلى اليوم بوجوده بكنيسة على جزيرة داخل إحدى البحيرات! وعليه فلا نلقي بالاً بعد اليوم لكل الخرافات المنتشرة على الشبكة العنكبوتية حول التابوت.

(1) البحث عن يسوع، كمال الصليبي.

المملكة الشمالية بالسامرة من الانشقاق حتى سبي نينوى

(930 ق.م - 722 ق. م)

تنبأ النبي أحيّ (أخيا) بانقسام مملكة سليمان، بحيث سيتبع عشرة من أسباطها ربعان (يربعام)، أما السبطان الآخران هود (هوذة) وبن يمان فسيظلان على ولائهما لبيت داود (ع). وكثيراً ما يذكر هود أكبر الأسباط وبن يمان أصغرها كسبط واحد إذ كانت لهما حدود مشتركة. وكان سبط أفرم/الفروم (الفران) الأبرز بين الأسباط العشرة المنشقين.

ملخص[1] لتاريخ المملكة الشمالية «اسرائيل (930 ق.م - 722 ق. م):

الملوك

930 ق.م ربعان **(يربعام) الأول** (22 سنة) بنى الحوية (شكيم) عاصمة له وأقام عجلين ذهبيين ربما بسقام بأعلى وادي مر الظهران (صار مقام العزّى حتى صدر الإسلام) وبرهاط (صار مقام سواع حتى صدر الإسلام). وقاد ربعان قومه للخطيئة، وسمح لأي كان بأن يصبح كاهناً بعد أن كانت هذه المهمة فيما مضى محصورة بذرية هارون (ع) من بني لؤي (اللاويين)!

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص: 768 - 771.

909 ق.م **نديب** (ن د ب) (سنتان).

908 ق.م **بعثة (ب ع ش ى ه)** (حكم 24 سنة) قاد الشعب لعبادة الأوثان.

886 ق.م **عالية (ء ى ل ة)** (حكم سنتين) استمر في عبادة الأوثان.

885 ق.م **زمرة (زم ر ى)** (حكم 7 أيام).

885 ق.م **تبين (ت ب ن ى)**.

885 ق.م **عمرو (ع م ر ى)** (حكم 12 سنة) بنى السامرة (صارت فيما بعد عسفان) عاصمة له وكان له جند كثير واستمر في السماح بعبادة الأوثان. قد يكون الأصل لأسطورة عمرو بن لحي الذي نشر الأصنام في بلاد العرب!

874 ق.م **أهاب (ء ح ب)** (حكم 22 سنة) تزوج أسبيل (ء ز ب ل) (امرأة ضالة، وكانت ابنة عتيب أل ملك السعديين) عبد البعل (هبل) وأصابت أرضه بزمن إلياس (ع) مجاعة دامت ثلاث سنوات؛ ذكر الكتاب أنها كانت نتيجة لعصيانه لله! وقد ورد اسمه في حديث نبوي:

لو جعل هذا القرآن في إهاب ثم ألقي بالنار ما احترق! ولم يستطع مفسر واحد فهم معنى كلمة «إهاب»! وبالطبع فإن أحداً من أهل الكتاب لم يتطوع لهدايتهم إلى المعنى الصحيح لأنه حجة أخرى لنبوة محمد (ص) الذي يزوده بهذه المعلومات علام الغيوب!

853 ق.م **اخزاعة (ءح ز ى ه)** (حكم سنتين) أبدى النيّة لتعاون تجاري مشترك مع مملكة هوذة.

852 ق.م **حارم (ى ه ورم)** (حكم 12سنة) عانى قومه المجاعة والحرب معظم أيامه.

841 ق.م حي **(ى ه و)** (حكم 28 سنة) كان مسؤولاً عن مقتل عارم (ى و ر م) (ملك هوذة) واخزاعة ملك إسرائيل وأسبيل (أم حارم الضالة). قتل كهنة البعل وهدم معابده؛ لكنه لم يرعى الله حق رعايته.

814 ق.م **الواخذ** (ى ه و ء ح ز) (حكم 17 سنة) أضل قومه نحو رجس عبادة العثر.

798 ق.م **إيـاس (ى ه و ء ش)** (حكم 16 سنة) كان ملكاً ضالاً لكنه وقّر نبي الله اليسع عليه السلام.

793 ق.م **ربعان (ى ر ب ع م) الثاني** (حكم 41 سنة) كان شديد الضلالة؛ إنما قوياً حازماً فازدهرت أحوال قومه أمناً وتجارة.

753 ق.م **زكريا** (حكم 6 شهور) أشار على قومه بعبادة الأوثان.

752 ق.م **سلام (شلوم)** (حكم شهراً واحداً).

752 ق.م **مناحي (م ن ح ى م)** (حكم عشر سنوات) فرض إتاوات ثقيلة وضيّق على قومه.

742 ق.م **فقهي (ف ق ح ى)** (حكم سنتين) داوم على عبادة الأوثان.

740 ق.م **فقيه (ف ق ح)** (حكم 8 سنوات) في أيامه سبي عدد كبير من الشعب إلى نينوى عاصمة أثور.

732 ق.م **واسع (هوشع)** (حكم 9 سنوات) فرضت عليه أثور جزية ثقيلة ثم غزته، وسبت عدداً من بني إسرائيل إلى نينوى وأحلت محلهم غرباء.

722 ق.م نهاية المملكة الشمالية. سبى شلمناصر (سلام النصر) باقي بني إسرائيل من المملكة الشمالية إلى أثور. وبقي اسم شمنصير بالأرض إلى اليوم اسماً لجبل بديار سليم قرب رهاط.

ويقول سفر الملوك الأول إن ربعان (يربعام) بنى شكيم/الحوية أو سقام في جبل الفران (أفرم) وسكن بها[1]. بعد ذلك مباشرة، عمل ربعان (يربعام) على بناء (وربما المقصود تحصين) بلدة فنوءل[2] التي قد تكون اليوم قرب تربة. ولكي يمنع أتباعه من الذهاب للعبادة في مكة (أورشليم) جعل لهم مقامات جديدة في بيت ايل (الجعرانة) ودان[3]. وأقام ملوك اسرائيل الذين خلفوا ربعان عواصم لأنفسهم أولاً في ترصة[4]

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 12، الجملة: 25.
(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 12، الجملة: 25.
(3) سفر الملوك 1، الإصحاح 12، الجملة: 29.
(4) سفر الملوك 1، الإصحاح 15، الجملة: 33.

(ضرس شمال مكة) ثم في يزرعيل[1] (الزراعيل وهي اليوم خليص)، ثم في السامرة[2] وهي اليوم عسفان. وكانت هذه الأخيرة، أي السامرة مدينة قام ملوك إسرائيل أنفسهم ببنائها على هضبة اشتروها من رجل اسمه سامر، ومن هنا جاء الإسم الذي أعطوها، وهو بالعبرية شمرون. ولعل للزراعيل (وهي معرّبة: يزرع ءل أو «زرع الله») علاقة بآل الزرعي (ءل زرع) قرب خليص الحالية. وقد افترض علماء التوراة حتى الآن أنها مرج ابن عامر الذي يفصل بلاد فلسطين عن الجليل بالشام، وهو افتراض لا يرتكز على شيء. والأكثر احتمالاً هو أن سامراً وهو المالك الأصلي للهضبة التي بنيت فوقها السامرة كان منه عشيرة السمرة، ويستمر وجود اسمها قرب وادي غران إلى يومنا هذا. وشمران أو عسفان الحالية كانت تقوم قلعتها المميزة على هضبة وحدها، تماماً كما هي موصوفة في العهد القديم، وخارجها كان وادي المجذومين المذكور بالتوراة وبالسيرة النبوية العطرة.

ورث الخلدان (الكلدان) الدولة الأثورية وأراضيها ثم قضوا على استقلال الدولة الإسرائيلية الجنوبية (هوذة) وأجلوا أهلها إلى الحيرة أيام نبوقدنصر (بختنصر)، ثم آلت هذه للإخمينيين بعد استيلاء كورش (ذي القرنين بحسب أبي الكلام آزاد) على بابل الذي عاد فسمح للموسويين بالعودة إلى الحجاز. قضى الإسكندر على الدولة الفارسية الأولى واستولى على أراضيها ببلاد الرافدين وسوريا وبلاد القبط لكنه مات قبل أن يمدّ ظل دولته إلى الجزيرة العربية، ففقد المؤمنون الرعاية الأمبراطورية للأقليات وتعرضوا لضغوطات في دينهم من الكفرة؛ فآثر كثير منهم الهجرة إلى أراضي الدولة السلوقية المزدهرة التجارة بالشام؛ خصوصاً في فلسطين. وهناك أقام السامريون لأنفسهم سامرة جديدة فيما هو اليوم سبسطية، بالقرب من مدينة نابلس الحديثة. وهناك عرّف السامريون هضبتين محليتين بأنهما جبل جرزيم وجبل عيبال التوراتيتان، وقالوا بقدسيتهما؛ وكله من باب الحنين! والنصوص التوراتية التي تتحدث عن هذين الجبلين تعطي الانطباع بأنهما كانا شديدي القرب واحدهما من الآخر.

(1) سفر الملوك 1، الإصحاح 18، الجملة: 15.

(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 20، الجملة: 43.

ويأتي ذكر جبل جرزيم وجبل عيبال[1] بعد الحديث عن فتح الاسرائيليين ل (ى ر ى ح و) و (ه ع ى) وهما ريحة الحالية قرب الحوية وعيفان قرب الزيمة اليوم. أما بيت ايل الواقعة مع (ه ع ى) فهي الجعرانة الواقعة على مقربة من درب زبيدة. واستناداً إلى سفر التثنية[2]، فإن جرزيم وجبل عيبال كانا يقعان عبر العروض وهي جبال تهامة المكية بأعلى الغور؛ فهما اليوم لجرزيم جبل الدمة قرب حوية الطائف ولعبال جبل عيبال قرب لية بالطائف. وجبل جرزيم كان الجبل الذي باركه الاسرائيليون[3]، وجبل عيبال هو الجبل الذي لعنه الاسرائيليون[4]. وجاء ذكر جبل جرزيم مترافقاً مع شكم[5] (الحوية). ومهما كان شأن الهضبتين المقدستين لدى السامريين الفلسطينيين في نابلس، فهما بالتأكيد ليستا جبل جرزيم وجبل عبال المذكورين في التوراة. وهناك اعتقاد بأن إسم موقع جرزيم مشتق من الجزورين الذين شقّهم إبراهيم عندما سأل ربه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾[6].

أهم أنبياء المملكة الشمالية

النبي الأول: إيليا (إلياس) 875 - 848 ق. م

كان أشهر أنبياء إسرائيل وأكثرهم ظهوراً. تنبأ ببداية ونهاية ثلاث سنوات من الجفاف. سخّره الله بإذنه لإحياء ابن ميت لأمه، وفي كشف دجل كهنة البعل أمام الناس.

«**فاستدعى أهاب جميع بني اسرائيل[7]، وجمع الأنبياء إلى جبل الكامل (الكرمل)، فخاطب إيليا الشعب: حتى متى تظلون تعرجون بين الفرقتين. إن كان اللاهم هو الله فاتبعوه، وان كان البعل هو الله فاتبعوه. فلم يجبه الشعب بكلمة. ثم قال إيليا للشعب: أنا بقيت وحدي نبياً للاهم، وأنبياء البعل أربع مئة وخمسون. فأعطونا ثورين، وليختر أنبياء البعل أحدهما، فيقطعوه ويضعوه على الحطب من غير أن يشعلوا ناراً. وأنا أقرّب الثور الآخر وأضعه على الحطب من غير أن أشعل ناراً. ثم تتضرعون باسم**

(1) سفر يشوع، الإصحاح 8، الجملة: 33.
(2) سفر التثنية، الإصحاح 11، الجملة: 30.
(3) سفر التثنية، الإصحاح 27، الجملة: 12.
(4) سفر التثنية، الإصحاح 27، الجملة: 13.
(5) سفر القضاة، الإصحاح 9، الجملة: 7.
(6) سورة البقرة، الآية: 260.
(7) سفر الملوك 1، الإصحاح 18، الجملة: 20.

آلهتكم، وأنا أدعو باسم الرب إلهي. والإله الذي يستجيب وينزل ناراً يكون هو الإله الحق. فأجاب جميع بني اسرائيل: هذا قول صائب. فقال إلياس عندئذ لأنبياء البعل (هبل): اختاروا لأنفسكم ثوراً واحداً، وقربوا أولاً لأنكم الأكثر عدداً وادعو باسم آلهتكم، ولكن إياكم أن تشعلوا ناراً. فأحضروا الثور الذي أعطي لهم ووضعوه على المذبح، وظلوا يدعون باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين: يا بعل استجب لنا. فلم يكن هناك صوت أو مجيب. فراحوا يرقصون حول المذبح المشيد. وعند الظهر سخر بهم إيليا وقال: ادعوا بصوت أعلى فهو حقاً إله! لعله مستغرق في التأمل أو في خلوة أو في سفر! أو لعله نائم فيستيقظ. فشرعوا يهتفون بصوت أعلى، ويمزقون أجسادهم بالسيوف والرماح كعادتهم، حتى سال منهم الدم.

وانقضت ساعات الظهر، وظلوا يهذون صارخين حتى حل وقت إصعاد التقدمة المسائية، من غير أن يكون هناك صوت أو مجيب. عندئذ قال إيليا للشعب كله: تقدموا إلي. فدنا جميع الشعب منه، فرمم مذبح الرب المنهدم، ثم أخذ اثني عشر حجراً حسب عدد أسباط إسرائيل، ذرية يعقوب الذي دعاه الله إسرائيل وبنى بهذه الحجارة مذبحاً باسم الرب، وحفر حوله قناة تتسع لنحو كيلتين من الحب. ثم رتب الحطب وقطّع الثور، ووضع أجزاءه على الحطب وأمر أن يملأوا أربع جرات ماء ويصبّوها على المحرقة وعلى الحطب. ثم قال: ثنوا فثنوا، وعاد يأمر: ثلثوا فثلثوا. حتى جرى الماء حول المذبح وامتلأت القناة أيضاً بالماء. وفي ميعاد ذبيحة المساء صلى إلياس: أيها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل، ليُعلم اليوم أنك أنت الله في إسرائيل، وأني أنا عبدك، وبأمرك قد أقدمت على هذه الأمور. استجب لي يارب، استجب لي، ليدرك هذا الشعب أنك أنت الرب الإله، وأنك أنت تردّ قلوبهم إليك. فنزلت نار من السماء التهمت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست ماء القناة. فلما شاهد جمع بني إسرائيل ذلك خروا ساجدين على وجوههم إلى الأرض هاتفين: اللاهم هو الله! اللاهم هو الله. فقال إلياس: اقبضوا على أنبياء البعل ولا تدعوا رجلاً منهم يفلت. فقبضوا عليهم وساقهم إلياس إلى وادي خشان[1] وذبحهم هناك». (انتهى)

(1) خشان: خشاش؛ نخلة الشامية.

وهذه القصة تذكر بالآيات القرآنية: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾[1].

وأخبر أهاب زوجته أسبيل بما صنعه إيليا فتوعدته بالقتل ففر إلى بئر الشباعة (زمزم) التابعة لهوذة ثم سار في الصحراء أربعين نهاراً وأربعين ليلة حتى بلغ جبل الله حرب/بحر البركاني 30 كلم جنوب بحر أبي سكينة (بتهامة عسير). فقال له الرب[2]: اذهب راجعاً في الطريق الصحراوية (النجدية) المفضية إلى الدماشق (نجران قاعدة مذحج)، وهناك امسح هذال (حزائيل) ملكاً على إرم، ثم امسح حي بن نمس (ياهو بن نمشي) ملكاً على إسرائيل، وكذلك امسح اليسع (اليسع بن سبط) من عبل محلة (عبال الحلاءة قرب عكاظ) نبياً خلفاً لك.

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وإلياس من الأنبياء الذين انتقلوا رفعاً وليس قبضاً. فشأنه شأن ادريس وعيسى ابن مريم عليهم السلام أجمعين.

النبي الثاني: اليشع (اليسع بلغة القرآن): 848 - 797 ق.م

خلف إيليا (الياس) كنبي لله. استمرت خدمته أكثر من خمسين سنة. كان له تأثير كبير في أربعة أقوام: إسرائيل وهوذة والمناهب (بلاد دوس بزهران) وإرم (وهي نجد عسير وصولاً إلى نجران وهي مذحج الشمالية). كان رجلاً ورعاً قام بمعجزات كثيرة لمساعدة ضعاف القوم. وجاء في القرآن الكريم عنه: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾[4].

(1) سورة آل عمران، الآية: 183.
(2) سفر الملوك 1، الإصحاح 19، الجملة: 15.
(3) سورة الصافات، الآيات: 123 - 132.
(4) سورة ص، الآية: 48.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1].

النبي الثالث: يونان (يونس أو ذو النون): 793 - 753 ق.م

كان على أيام حكم ربعان 2 (يربعام الثاني) أقوى ملوك اسرائيل وكانت أثور (أشور) ألد أعداء إسرائيل، وكان الأثوريون يستعرضون قوتهم أمام الله والعالم من خلال أفعال وحشية خالية من الرحمة. ووصف هذا النبي بأنه عبد «هو» إله إسرائيل»[2]. وتنبأ يونان بتوسع مملكة اسرائيل، وتم ذلك في عهد ربعان بن عياش (يربعام بن يوآش) الذي كان ملكاً على إسرائيل في السامرة (حوالي 793 - 753 ق. م)، أي في ما هو اليوم عسفان. ويعرّف سفر يونان النبي بأنه نون بن أمية (يونان ابن أمتي) وهو الاسم نفسه الذي يعرف به بسفر الملوك الثاني. ويضيف هذا السفر الأخير بأن موطن يونان الأصلي كان بمكان اسمه حفير[3] (جية حفر). اختاره الله تعالى ليبعثه إلى نينوى عاصمة الدولة الأثورية، فقام النبي بإخبار ملكها بأن الله يعتزم تدمير مدينته بسبب أفعاله، فكانت النتيجة أن خشي الملك وتضرع إلى الله ليعفو عنه وعن شعبه، فقبل الله منه وعدل عن سخطه. وما كان من يونس إلا أن غضب لفقدانه مصداقيته أمام الناس فقفل عائداً إلى موطنه عن طريق الخليج العربي، فترشيش (ربما كانت ريسوت الواقعة في عمان) على بحر العرب؛ وهو البحر الوحيد في الشرق الأوسط التي توجد فيه الحيتان الزرقاء بشكل دائم. ولعل حادثة الحوت تمت في فصل الشتاء، إذ كان البحر عاصفاً وغير مناسب لنقل الركاب خوفاً على سلامتهم فاستقل يونس سفينة شحن؛ فغرقت والتقمه حوت أزرق ملقياً إياه سالماً على الشاطئ! وأجمل ما في سفر يونان الصلاة في جوف الحوت[4]:

ثم صلى يونس إلى الرب إلهه من جوف الحوت، قائلاً «استغثت بالرب في ضيقي فاستجاب لي، ومن جوف الهاوية ابتهلت فسمعت صوتي. لأنك طرحتني إلى اللجج العميقة في قلب البحار، فاكتنفني الغمر وأحاطت بي تياراتك وأمواجك

(1) سورة الأنعام، الآية: 86.

(2) سفر الملوك 2، الإصحاح 14، الجملة: 25.

(3) سفر يشوع، الإصحاح 19، الجملة: 13.

(4) سفر يونان، الإصحاح 2، الجملة: 1.

فقلت: قد طردت من حضرتك. ولن أعود أتفرس في هيكلك المقدس. قد غمرتني المياه وأحدقت بي اللجج، والتف عشب البحر حول رأسي. انحدرت إلى أسس الجبال وهبطت إلى أعماق الأرض حيث أغلقت عليّ مزاليجها إلى الأبد. ولكنك تُصعد حياتي من الهاوية أيها الرب إلهي. عندما وهنت نفسي في داخلي، تذكرت إلهي، فحلّقت صلاتي إليك، إلى هيكلك المقدس. إن الذين يبجلون الأصنام الباطلة يتخلون عن مصدر نعمتهم. أما أنا فبهتاف الحمد أذبح لك، وما نذرته أوفي به، لأن الرب الخلاص. فأمر الله الحوت فقذف بيونس إلى الشاطئ.

وجاء في القرآن الكريم عن قصة يونس:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[1] .

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ۝ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ۝ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ۝ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ۝ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[3].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[4] .

وعن التقام الحوت ليونس (ع) يقول الدكتور زغلول النجار بأن الحوت الأزرق وهو أضخم المخلوقات قد يصل طوله إلى أكثر من 35 متراً ووزنه أكثر من 180 طناً؛ وهو على ضخامته لا يأكل إلا الكائنات الدقيقة التي تسمى البلانكتون الطافية

(1) سورة الصافات: الآيات: 139 - 142.

(2) سورة الأنبياء، الآيتان: 87 و88.

(3) سورة الصافات: الآيات: 143 - 148.

(4) سورة يونس، الآية: 98.

الهائمة؛ فهو ليس له أسنان على الإطلاق وله ألواح رأسية يصطاد بها هذه الكائنات. وطريقة تناوله لغذائه كالآتي: يأخذ بفمه عدة أمتار مكعبة من الماء فيصطاد ما فيها من كائنات طافية ويخرج الماء من جانبي الفم؛ فإذا دخل فمه أي شيء كبير لا يبتلعه لجوفه ولذلك بقي سيدنا يونس (ع) في فمه كاللقمة ولهذا قال الله ربنا الحق: فالتقمه الحوت؛ يعني لا هو قادر على بلعه ولا مضغه لأنه (أهتم) ليس له أسنان. والحوت يتنفس بالأوكسجين ولذا فهو يرتفع فوق سطح الماء مرة كل 15 دقيقة ولسانه يستطيع أن يقف عليه أكثر من رجل براحة تامة بمعنى أن سيدنا يونس كان جالساً بما يشبه الغرفة الواسعة المكيفة. فقصة القرآن بأن الحوت التقمه أي إنه بقي فقط في فم الحوت أقرب إلى المنطق والحقيقة العلمية، لأنه لو وصل إلى بطن الحوت لاختنق وتحطمت أضلاعه بفعل العضلات القوية التي تتميز بها بطون الحيتان، فضلاً عن الأحماض التي تفرزها معدة الحوت، وقد قام العلماء بمحاولة لإدخال رجل في بطن حوت ميت؛ لكنهم أوقفوا المحاولة بعدما أيقنوا أن الداخل إلى بطن الحوت لا بد أن يموت قبل أن يصل إلى المعدة. فـ«التقمه الحوت» تعني بقي كلقمة في فم الحوت لم يستطع أن يبتلعها وإن لم يلفظها مباشرة.

هنا أريد أن أستطرد لفائدة. كان يونس تهامياً، والله أوضح بالذكر الحكيم أنه ما بعث رسولاً إلا بلسان قومه ليتبينوا، فكيف يرسله إلى نينوى عاصمة الأثوريين ليدعوهم للرجوع إليه لو كانت لهجة كنانة العربية بعيدة وغير مفهومة في شمال العراق في ذاك الزمان؟ المغزى: يجب علينا النظر بكل قواميس اللغات القديمة التي وضعها المستشرقون من أكادية وبابلية وأثورية وخلدانية وإعادة قراءتها على أنها لهجات محلية للغة عربية واحدة. وما بقاء هذه اللغة واستيعابها لهذا الكم من المفردات إلا لكونها اللغة الأم والأصل لكل هذه اللهجات.

نهاية المملكة الشمالية

في أيام فقيه بن رملة (فقح بن رمليا) ملك إسرائيل هاجم تغلث فلاسر ملك أثور البلاد، واستولى على مدن عيون (عينين المدينة)، وابل بيت معكة (عبل بيت قمعة)، ويانوح، وقدس، وحضور (الأخيضر أسفل وادي العرج أو خضيرة بوادي شرب

بنجد الطائف)، وجلعاد (جلذان) والجليل (بحرة رهاط)، وكل أرض أفتل /غطفان (والنفعة) وسبى أهلها إلى أثور. وفي السنة الثانية عشرة من حكم أخاذ (آحاز) ملك هوذة، اعتلى الواسع بن عيلة (هوشع بن أيلة) عرش إسرائيل في السامرة مدة تسع سنوات. وارتكب الأباطيل أمام الله إلا أنه كان أفضل قليلاً من أسلافه ملوك إسرائيل. وزحف عليه شلمناصر ملك أثور فصار الواسع (هوشع) تابعاً له يدفع جزية. وما لبث أن اكتشف ملك أثور خيانة الواسع (هوشع) الذي أرسل وفداً يستغيث بسيوى ملك مصر، ولم يؤد الجزية لملك أثور كعهده في كل سنة، فقبض عليه وزجه في السجن واجتاح أرض إسرائيل، وحاصر السامرة ثلاث سنوات. وفي السنة التاسعة من حكم الواسع (هوشع) سقطت السامرة، فسبي الإسرائيليون إلى أثور وأسكنوا في مدينة حلح، وعلى ضفاف نهر خابور في منطقة جوزان، وفي مدن مادي. تم ذلك في العام 722 ق.م.

المملكة الجنوبية في هوذة من الانقسام حتى سبي بابل (930 ـ 586 ق. م)

تمّ انشقاق مملكة سليمان، فكانت واحدة شمالية وعاصمتها السامرة بعسفان شمال جدة اليوم، وأخرى جنوبية بقيت عاصمتها عرى/عرش السلام (مكة).

ملخص[1] لملوك هوذة بعد سليمان (ع)

930 ق.م **رحبعام (رحبان)** (حكم 17 سنة) بنى الكثير من المدن الحصينة ودعم الاقتصاد (رغم الجزية التي دفعها لمصر). تبع الله مدة ثلاث سنوات، لكنه بعد ذلك أقام أصناماً ومعابد للآلهة الغريبة.

913 ق.م **أبين** (ء ب ى م) (حكم 3 سنوات) رغم صغره دعا الله ليعينه في الحرب ضد المملكة الشمالية.

910 ق.م آسى (ء س ء) (حكم 41 سنة) هدم المذابح الوثنية ورمم مذبح الله، وحصّن المدن وغنم ثروات عظيمة من غزو البلاد المجاورة وخلع الملكة الأم (معكة أو قمعة) لعبادتها العشتر، وقاد قومه لعبادة الله من قلوبهم، وساد السلام البلاد وكان محبوباً من الناس؛ فلما مات دفن باحتفال مهيب.

872 ق.م **يهوشافاط (السافط)** (حكم 25 سنة) رتب زواج ابنه من إبنة أهاب (التي جلبت المتاعب فيما بعد). وكان له جيش قوي وحاميات في مدن اسرائيل التي كان

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص: 768 - 771.

قد استولى عليها أبوه. أخذ الجزية من الفلاسيين، عبد الله بإخلاص وهدم الأصنام ونشر التعليم وعين قضاة ومحاكم.

853 ق.م **حارم** (ى ه و رم) حكم 8 سنوات، تزوج ابنة أهاب الشريرة، وأجبر قومه على عبادة الأوثان وقتل كل إخوته.

841 ق.م **الواخذ** (ى ه و ء ح ز) حكم سنة واحدة؛ وكان صديقاً لحارم ملك اسرائيل.

841 ق.م **عدلا (ع ت ل ى ه)** (ملكت 6 سنوات) قتلت كل أحفادها ما عدا نوّاس الذي خبأته مرضعته ست سنوات، ونهبت الهيكل لتبني هيكلاً للبعل.

835 ق.م **إياس (ى ه و ء ش)** (حكم 40 سنة) توج ملكاً وهو ابن سبع سنوات بواسطة الوازع (يهويداع) (رئيس الكهنة) فحافظ على السلام والإزدهار، ورمم الهيكل وهدم مذابح البعل. ولكن بعد موت الوازع، ابتعد عن الله وأمر بقتل ابن الوازع.

796 ق.م عميسة (ء م ص ى ه) (حكم 29 سنة) كان صالحاً أساساً ولكنه لم يقض على عبادة الأوثان تماماً. نظّم الجيش وأجرى إحصاءً.

792 ق.م عزة (ع ز ى ه) (حكم 52 سنة) بنى مدينة الليث، وكان يمتلك الكثير من المزارع والكروم. بنى خزانات للمياه وحصوناً وأعاد تنظيم الجيش (وكان من القوة بحيث وصلت شهرته إلى مصر) ولكنه تعدى على شريعة الله بممارسة الكهنوت فضربه الله بالبرص.

750 ق.م وتين (ى و ت م) حكم 16 سنة، بنى الباب الأعلى في الهيكل ورمم الأسوار والمدن ولكنه سمح بالعبادة الوثنية. ولعل «الباب الأعلى» إشارة لباب الكعبة الثاني الذي كان معروفاً من الجاهلية فأقامه ابن الزبير وعاد الحجاج فأغلقه.

735 ق.م الواخذ (ى ه و ء ح ز) حكم 16 سنة، قدم ابنه ذبيحة للأوثان وأغلق أبواب الهيكل.

715 ق.م **حذقة (ح ز ق ى ه)** حكم29 سنة، كان تابعاً أميناً لله، أعاد فتح الهيكل وطهره وأقام الكهنة على خدمته، ونظم فرق الترنيم للعبادة، وكسر الأصنام (بما فيها

الحية النحاسية التي رفعها موسى لأن الشعب كان يقدسها) واحتفل بالفسح، ودعا أناساً ممن كانوا يعيشون في الشمال للمشاركة فيه. وعمل مصادر عامة للمياه ومد الله في عمره 15 سنة، ولكنه أظهر لسفراء بابل ثروة الهيكل.

697 ق.م منسّى (م ن ش ه) حكم 55 سنة، أعاد بناء كل المعابد الوثنية وقدم أحد أبنائه ذبيحة، ومارس السحر، وأقام صنماً في الهيكل وقتل الكثيرين من قومه.

642 ق.م أمين (ءم و ن) (حكم سنتين).

640 ق.م واسية (ى و ش ى ه) حكم 11 سنة، أحب الله من كل قلبه، رمم الهيكل، ووجد لفافة مفقودة من الشريعة فوعد بإطاعتها، ولذلك لم يقض الله على هوذة إلا بعد موته. أشرف بنفسه على المشروع الكبير لتدمير معابد الأوثان، وأعاد كهنة الإله إلى خدمتهم، واحتفل بالفسح بغيرة على الدين بأعظم مما كان منذ أيام سموأل.

609 ق.م الواخذ (ى ه و ء ح ز) (حكم 3 شهور) سجن وأخذ إلى مصر حيث مات هناك.

609 ق.م اليقين (ء ل ى ق ى م) (حكم 11 سنة) أحرق لفافة من كلام الله، وكان دمية في يد مصر ثم في يد بابل، ورأى ذهب الهيكل وأدواته تؤخذ إلى بابل، ورأى السبي الأول (الذي أخذ فيه دانيال).

598 ق.م الوكيل (ى ه و ى ك ى ل) (حكم 3 شهور) رأى السبي الثاني إلى بابل.

597 ق.م مثّنى (م ت ن ى ه) (غيّره نبوخذنصر لصدقة) رأى حرق الهيكل وتدمير (عرش السلام) أورشليم. عُذّبَ وأخذ في السبي الأخير إلى بابل.

شيشق ملك مصر يغزو (عرش السلام) أورشليم

هنا نقطة هامة إذ يبدأ إلى حد ما بعض التوافق بين التاريخ التوراتي والتاريخ القبطي، إذ يُرمز إلى الملك شيشق (شيشانق) على أنه مصري ربما لأنه كان يحكم الحبشة أيضاً لأننا نعلم ذلك من تشكيلات جيشه الحاوية أحباشاً وبربراً، وقد ذكرنا عنه تفصيلاً أكثر في فصل «مصر لم تكن بلاد القبط».

وما إن ترسخت دعائم مملكة رحبان (رحبعام) وقويت شوكته[1] حتى نبذ هو وكل اسرائيل معه شريعة الله. فغزا شيشق ملك مصر عرى السلام (مكة) في السنة الخامسة لحكم رحبان (رحبعام) دعماً للمنشق ربعان الذي كان لاجئاً بمصر ومتزوجاً من الأسرة الملكية. فجاء على رأس جيش لا يحصى من ليبيين وسوكيين (سقوطة بالحبشة) و(كوشيين/غوثيين يمنيين)... واستولى على خزائن بيت الله الحرام، وخزائن قصر الملك وغنم أتراس الذهب التي صنعها سليمان.

أول شخصية أوروبية هامة وقفت أمام وثيقة كبيرة عن الفرعون الذي تطلق عليه التوراة اسم شيشق كان نابليون بونابرت، وكان لا يعلم عنها شيئاً لأن لغز الشيفرة الهيروغليفية لم يكن قد وجد حلاً، فدار في العام 1799 مذهولاً مع جماعة من العلماء الفرنسيين في أرجاء معبد الكرنك العظيم على الشاطئ الشرقي لطيبة (الأقصر). وفي وسط المعبد المرفوع وسط 134 من الأعمدة الضخمة التي تعلو 25 متراً وجدوا لوحة حجرية تمثل الإله آمون متقدماً إلى الفرعون شيشانق وفي يده اليمنى سيف بينما الأخرى تمسك بأطراف حبال مربوط فيها 156 أسيراً يمثل كل واحد منهم قرية أو مدينة، وفي أعلى اللوحة توجد السجلات الطوبوغرافية المصرية المتعلقة بالحملة العسكرية.

وفي مقدمة جدوله الكبير في الكرنك يتحدث شيشانق عن إخضاعه جيوشاً، ومن قراءة للدكتور كمال الصليبي نقتبس:

ميتاني التي هي المدينة في شمال الحجاز، وكذلك (يشَشور) التي هي على الأرجح قرية يسير الحالية بمنطقة رابغ في تهامة الحجاز. وهناك:

عرن التي ربما ترمز إلى وادي عرنة

محنم التي ترمز إلى المناحي بالجلس من أراضي عتيبة اليوم،

ينمر (نمرة قرب عرفات)

(قدشت) قادش أو قادس وهو جبل جنوبي المدينة المنورة وأمق وهي وادي

(1) سفر أخبار الأيام 2، الإصحاح 12، الجملة: 1.

عمق وحنني وهي وادي حنين شرق مكة ويشحت هي وادي الشحوط وشنيتي هي الشنية و(خبري): الخبارة بوادي يلملم ورحبيىء وهي رحبة في وادي أضم في تهامة ما بين مكة والليث.

ويقول الدكتور صليبي[1] إن دراسة أسماء الأماكن المدرجة في جداول حملة شيشانق قد جرت حتى الآن على أساس الافتراض بأنها تشير إلى مواقع في فلسطين أخضعها شيشانق، أو مر بها، خلال حملته على بلاد يهوذا. وقد لجأ الباحثون إلى أساليب ملتوية في معالجتهم لهذه الأسماء في تهجئتها المصرية الواضحة، لجعلها تتطابق مع المشهد الفلسطيني، افتراضاً منهم بأن المصريين القدماء لم تكن لهم القدرة على نقل هذه الأسماء السامية إلى لغتهم بدقة. والواقع هو أن لغة المصريين القدماء لم تكن بعيدة عن السامية، ولم يكن لدى هؤلاء المصريين أية صعوبة في ضبط أسماء الأماكن السامية بشكل واضح في كتابتهم.

النبي الأول: النبي إشعيا (سعيا) (740 - 681 ق. م)

تنبأ اسعيا (إشعيا) في أيام خمسة ملوك ولكنه لم يبدأ بالتنبوء من البداية، ففي الوقت الذي مات الملك عزة، كان سعيا قد برز كاتباً في القصر الملكي في (عرش السلام) أورشليم، وهي وظيفة مرموقة. ولكن كانت لدى الله ترتيبات أخرى لعبده، فقد كانت رؤيا اشعيا دعوته ليكون نبياً لشعبه وهي رسالة صعبة، إذ كان عليه أن يخبر شعباً يعتقد بأنه مبارك أن الله مزمع أن يهلكه بسبب عصيانه. جاء في سفر اشعيا[2]:

ويل للأثوريين قضيب غضبي، الحاملين في أيديهم عصا سخطي فأرسلهم ضد أمة منافقة وأوصيهم على شعبي الذي غضبت عليه، ليغنموا غنائمهم ويستولوا على أسلابهم، ويطأوهم كما يطأوا طين الأزقة. ولكن ملك أثور لا يعرف أنني أنا الذي أرسلته، ويظن أنه بقدرته قد هاجم شعبي، وفي نيته أن يدمر ويجتاح أمماً كثيرة. لأنه يقول: أليس كل قوادي ملوكاً؟ أليس مصير كلنو كمصير كركميش. أوليس مآل حماة

(1) التوراة جاءت من جزيرة العرب. كمال الصليبي. ص 208.
(2) سفر اشعيا، الإصحاح 10، الجملة: 5.

كمآل أرفاد. أليست السامرة كدمشق. لقد قضيت على ممالك وثنية أصنامها أعظم من أصنام أورشليم والسامرة! أفلا أقضي على أورشليم وأصنامها كما قضيت على السامرة وأصنامها. ولكن حالما ينتهي الرب من عمله بجبل صهيون، فإنه سيعاقب ملك أثور على غرور قلبه وتشامخ عينيه، لأنه يقول: بقوة ذراعي قد صنعت هذا، وبحكمتي، لأنني متبيّن!

ها هو جيش أثور مقبل[1]، قد وصل إلى عياث (عوية)، واجتاز بمجرون (قرن). وضع مؤونته في المغمّس. قطعوا المعبر، وباتوا في قبع (كبكب). ارتعد أهل الرامة (أسفل رهاط)، وهرب سكان جبعة شاول (العسيلة). اصرخي يا بنت جليم (الغالة) واسمعي يا ليشة (ليث)، واجيبي يا مدينة عناثوث (أنواط). هرب أهل مدمنة. فر سكان جيبيم طلباً للنجاة. اليوم يتوقف في نوب (نباوة) ويهز قبضته على جبل بنت صهيون، أكمة أورشليم.

فيعود الرب ليمد يده ثانية[2] ليسترد البقية الباقية من شعبه، من أثور ومصر وفتروس (فرشاط) وغوث وغيلان وشنعار (شعار) وحماة (حمى)، ومن جزائر البحر، وينصب راية للأمم ويجمع منفيي اسرائيل ومشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض، فيتلاشى حسد أفرم، وتزول عداوة هوذة، فلا أفرم يحسد هوذة، ولا هوذة يعادي أفرم، وينقضّان على أكتاف الفلاسة غرباً ويغزوان أبناء قديمة (العامري) معاً، ويستوليان على بلاد أدوم (عدنان) ومناهب (أرض دوس زهران)، ويخضع لهم بنو عمون (غُنُم دوس زهران). ويجفف الرب تماماً لسان بحر مصر (باب المندب)، ويهز على النهر فتهب ريح عاصفة تقسم ماءه إلى سبع ممرات تعبر فيها الجيوش. ويمد الرب طريقاً من أثور ليعود منه من بقي هناك من بني اسرائيل، كما أعاد الله جميع إسرائيل من مصر.

وفي السنة التي أوفد فيها سرجون ملك أشور[3] ترتان رئيس جيشه إلى أشدود (الشدادين) وحاربها وقهرها، تكلم الرب على لسان اشعيا (اسعيا) بن آموص

(1) سفر اشعيا، الإصحاح 10، الجملة: 28.

(2) سفر اشعيا، الإصحاح 11، الجملة: 11.

(3) سفر اشعيا، الإصحاح 20، الجملة: 1.

(عمواس) قائلاً: اذهب واخلع المسوح عن حقويك و انزع حذاءك من قدميك. ففعل كذلك ومشى عارياً حافياً، وقال الرب: كما مشى عبدي اشعيا عارياً حافياً لمدة ثلاث سنوات علامة وآية على المصائب التي سأنزلها بمصر وغوث (كوش)، هكذا يقود ملك أثور أسرى مصر وغوث (الحبشة واليمن) صغاراً وكباراً، عراة حفاة، بأقفية مكشوفة، عاراً لمصر.

وفي السنة الرابعة عشرة من حكم الملك حذقة (حزقيا)[1]، اجتاح سن حراب (سنحاريب) ملك أثور جميع مدن هوذة المحصنة واستولى عليها. ووجه ملك أثور رب السقي (ربشاقي) (القائد العام) من الخشاش (الخيش) إلى أورشليم (مكة) (إلى الملك حزقيا/ حذقة) على رأس جيش جرار.

ثم بلغ ملك أشور أن ترهاقة ملك كوش قد خرج لمحاربته[2]، فبعث مرة أخرى رسله إلى حذقة (حزقيا) قائلاً لهم: هذا ما تبلغونه إلى حذقة (حزقيا) ملك يهوذا: لا يخدعنك إلهك الذي تتكل عليه عندما يقول: لن تسقط عرش السلام (أورشليم) في قبضة ملك أثور. فها أنت قد علمت بما ألحقه ملوك أشور بكل البلدان من تدمير كامل! فهل يمكن أن تنجو أنت. هل أنقذت آلهة الأمم الأخرى أهل جوزان (جازان) وحاران (خيران) ورصف وأبناء مدّان. في تل سار الذين أفناهم آبائي. أين ملك حماه (حمى) وملك أرفاد (رفيدة) وملك مدينة سفروايم (الصفراء)، وهيغ وعوا (عوية). إلا أن حذقة (حزقيا) تضرع إلى الله بأن ينجي شعبه من الأثوريين فاستجاب له ربه على لسان سعيا (اشعيا) وفتك الوباء بالجيش الغازي فانسحب سن حراب (سنحاريب) إلى نينوى حيث اغتاله ولداه فخلفه ابنه أسرحدون على العرش.

النبي الثاني: النبي جَرَمَ (ارميا) (627 - 586 ق. م)

خدم جرم (ارميا) في أيام حكم ملوك هوذة الخمسة الآخرين: يوشيا (واسية)، يهوآحاز (الأخاذ)، يهوياقيم (الواقم)، يهوياكين (اليقين)، وصدقيا (صدقة). وكانت

(1) سفر اشعيا، الإصحاح 36، الجملة: 1.
(2) سفر اشعيا، الإصحاح 37، الجملة: 9.

الأمة اليهودية تهوي سريعاً إلى الخراب. وأخيراً استولى عليها البابليون في 586 ق.م
وكان النبي صفنيا (صفينة) قد سبق جرم (أرميا)، وكان حبقوق معاصراً لجرم.

هذه نبوءة[1] أرميا بن حلقيا (جرم بن حلقة) أحد الكهنة المقيمين في عناثوت (أنواط) بأرض سبط بنيامين. وقد أعلن الرب له هذه النبوءة في عهد يوشيا بن آمون (واسية بن أمين) ملك هوذة، في السنة الثالثة عشرة من ملكه. وذلك في أثناء حقبة حكم يهوياقيم بن يوشيا (الواقم بن واسية) ملك هوذة وحتى نهاية الشهر الخامس من السنة الحادية عشرة من ولاية صدقيا ابن يوشيا (صدقة بن واسية) ملك هوذة، الذي فيه تم سبي أهل عرش السلام (اورشليم).

وهذا ما يعلنه الرب[2]: قفوا في الطرقات وانظروا واسألوا عن المسالك الصالحة القديمة واطرقوها. فتجدوا راحة لنفوسكم. ولكنكم قلتم لن نسير فيها. فأقمت عليكم رقباء قائلاً: اسمعوا دوي البوق. ولكنكم قلتم: لن نسمع. لذلك اسمعوا أيها الأمم. واعلمي أيتها الجماعة ماذا يحل بهم. اسمعي أيتها الأرض وانظري، لأني جالب شراً على هذا الشعب عقاباً لهم على أفكارهم الأثيمة، لأنهم لم يطيعوا كلماتي وتنكروا لشريعتي. لأي غرض يصعد إلي اللبان من سبأ، وقصب الذريرة من أرض نائية. بخوركم مرفوض، وذبائحكم لا تسرني. لذلك يعلن الإله: ها أنا أقيم لهذا الشعب معاثر يتعثر بها الآباء والأبناء معاً، ويهلك بها الجار وصاحبه. انظروا، ها شعب زاحف من الشمال، وأمة عظيمة تهب من أقاصي الأرض، تسلحت بالقوس والرمح،وهي قاسية لا ترحم. جلبتها كهدير البحر وهي مقبلة على صهوات الخيل. قد اصطفت كإنسان واحد لمحاربتك يا أورشليم. سمعنا أخبارهم المرعبة فدب الوهن في أيدينا، وتولانا كرب وألم كألم امرأة تعاني من المخاض. لا تخرجوا إلى الحقل ولا تمشوا في الطريق، فالعدو سيف، والهول محدق من كل جهة.

وفي مستهل حكم[3] يهوياقيم بن يوشيا (الواقم بن واسية) ملك هوذة، أوحى الرب **بهذه النبوءة إلى جرم (أرميا):**

(1) سفر أرميا، الإصحاح 1، الجملة: 1.
(2) سفر أرميا، الإصحاح 6، الجملة: 16.
(3) سفر أرميا، الإصحاح 27، الجملة: 1.

هذا ما أعلنه الرب: اصنع لنفسك أربطة وأنياراً وضعها على عنقك، وابعث برسالة إلى ملوك أدوم (عدنان) وموآب (منهب) وبني عمون (غنم) وصور (بنجد الطائف) وصيدون (السعديين) مع الرسل الموفدين إلى أورشليم إلى صدقيا (صدقة) ملك هوذة، وأوصهم أن ينقلوا هذه الرسالة إلى سادتهم قائلاً: هذا ما يعلنه الرب القدير إله اسرائيل: أنا بقوتي العظيمة وبذراعي الممدودة صنعت الأرض بما عليها من بشر وبهائم، ووهبتها لمن طاب لي أن أهبها له. والآن قد عهدت بجميع هذه الأراضي إلى نبوخذ نصر ملك بابل عبدي[1]، وأعطيته أيضاً حيوان الحقل ليكون في خدمته.

ثم وضعت أمام الركابيين[2] جراراً ملآنة بالخمر وكؤوساً، وقلت لهم: اشربوا خمراً فأجابوا نحن لا نشرب خمراً لأن يوناداب (جندب) بن ركاب أبونا أوصانا: لا تشربوا خمراً أنتم ولا أبناؤكم إلى الأبد. ولا تشيدوا بيتاً، ولا تزرعوا زرعاً، ولا تغرسوا كروماً، ولا تمتلكوا واحداً منها، بل أقيموا في خيام طوال حياتكم، فتطول أيامكم على وجه الأرض التي أنتم فيها متغربون.

نهاية مملكة هوذة كما وردت في سفر الملوك الثاني

كان يهوياكين (اليقين) في الثامنة عشرة من عمره حين ملك[3]، ودام حكمه ثلاثة أشهر في أورشليم واسم أمه (نحاسة بنت الناطن) نحوشتا بنت الناثان من عرش السلام (أورشليم). وارتكب الباطل في عين الإله على غرار ما فعل أبوه. وفي أيامه زحف قادة نبوخذنصر ملك بابل على أورشليم وحاصروا المدينة، ثم جاء نبوخذنصر ملك بابل بنفسه في أثناء حصار المدينة وتسلم زمام القيادة، فاستسلم اليقين (يهوياكين) ملك هوذة وأمه ورجاله وقادته وخصيانه إلى ملك بابل، فقبض عليه نبوخذ نصر. فكان ذلك في السنة الثامنة لملكه. واستولى على جميع ما في خزائن الهيكل وخزائن القصر، وحطم كل آنية الذهب التي صنعها سليمان ملك اسرائيل لهيكل الرب، تماماً كما قضى الرب، وسبى نبوخذ نصر أهل عرش السلام (أورشليم)، وكل

(1) نص يذكر بـ: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، سورة الأعراف، الآية: 128.
(2) سفر أرميا، الإصحاح 35، الجملة: 5.
(3) سفر أرميا، الإصحاح 24، الجملة: 8.

الرؤساء، وجميع رجال الحرب الأشداء، والخصيان. فكانت حملة المسبيين عشرة آلاف مسبي، كما أخذ الصناع والحدادين، ولم يترك في هوذة سوى فقراء الشعب المساكين. وسبى يهوياكين (اليقين) وأم الملك ونساءه وخصيانه وعظماء البلاد من عرش السلام (أورشليم) إلى بابل. كما ساق سبعة آلاف من المحاربين الأشداء وألفاً من الصناع والحدادين إلى بابل، وولى ملك بابل مثنّى عم يهوياكين (اليقين) خلفاً له، بعد أن غير اسمه إلى صدقة (صدقيا).

وكان صدقيا (صدقة) في الحادية والعشرين من عمره حين ملك، ودام حكمه إحدى عشرة سنة في عرش السلام (أورشليم)، واسم أمه حنيظل (حميطل) بنت جرم (أرميا) من لبنة. وارتكب الباطل أمام الله على غرار ما فعل الواقم (يهوياقيم). ولم يكن ما أصاب أورشليم وهوذة إلا نتيجة لغضب الله، الذي نبذهم أخيراً من حضرته. وما لبث صدقيا (صدقة) أن تمرد على ملك بابل. وفي السنة التاسعة لملك صدقيا (صدقة)، في اليوم العاشر من الشهر العاشر، زحف نبوخذ نصر ملك بابل بكامل جيشه على أورشليم وحاصرها، وأقام حولها أبراجاً. واستمر حصار أورشليم حتى العام الحادي عشر من ملك صدقيا (صدقة) وفي اليوم التاسع من الشهر الرابع من تلك السنة تفاقمت المجاعة في المدينة، حتى لم يجد أهلها خبزاً يأكلونه. وفي تلك الليلة فتح صدقيا (صدقة) ورجاله ثغرة في سور المدينة، وتسلل مع رجاله المحاربين من خلال البوابة القائمة بين السورين نحو حديقة الملك. وكان الكلدانيون/الخلدانيون محيطين بالمدينة. فتوجه صدقيا (صدقة) ومقاتلوه إلى طريق النجد. فتعقبت جيوش الكلدانيين الملك، وأدركته في برّية ريحة بعد أن تفرقت قواته عنه. فأسروا الملك واقتادوه إلى ملك بابل المقيم في ربلة (بركة العقيق)، وحرّضوه على القضاء عليه. ثم قتلوا أبناء صدقيا (صدقة) على مرأى منه، وقلعوا عينيه، وقيدوه بسلسلتين من نحاس، وساقوه إلى بابل.

وفي اليوم السابع من الشهر الخامس من السنة التاسعة عشرة من حكم الملك نبوخذ ناصر ملك بابل قَدِم نبو زرادان قائد الحرس الملكي من بابل إلى عرش السلام (أورشليم)، فأحرق الهيكل وقصر الملك وسائر بيوت أورشليم، وكل منازل العظماء. وهدمت جيوش الكلدانيين التي تحت إمرة رئيس الحرس الملكي جميع

أسوار أورشليم، وسبى نبو زرادان بقية الشعب الذي بقي في المدينة، والهاربين الذين لجأوا إلى ملك بابل وسواهم من السكان. ولكنه ترك فيها فقراء الأرض المساكين ليزرعوها ويفلحوها.... ووكّل عليهم جدليا بن أخيقام بن شافان (جديلة بن الحكم بن سفيان).... ولكن في الشهر السابع جاء اسمعيل بن نثنيا بن أليشمع (اسمعيل بن نشوان إبن السميع) من النسل الملكي، وعشرة رجال معه واغتالوا جديلة (جدليا). وقتلوا أيضاً اليهود والكلدانيين المقيمين معه في المصفاة (الصفا). فهب جميع الشعب، صغيرهم وكبيرهم ورؤساء الجيوش، وهربوا إلى مصر (الحبشة) خوفاً من انتقام الكلدانيين، وأخذوا جرم (أرميا) معهم، وهناك كانت نهاية حياته.

ويقال إن أكثر الفارين كانوا من قبيلة دان؛ وعبر البحر (ميناء الشعيبة)، وبأنهم أخذوا معهم تابوت العهد حيث تم إخفاؤه، وما زالت الأساطير تقول بأنه في إحدى كنائس اكسوم إلى اليوم!

بعد ذلك يذكر تاريخ ملوك الحبشة بأن مملكة جعزية قامت هناك. (وهناك رواية أخرى بأن ملوكها من ذرية ابن لسليمان (ع) من ماجدة ملكة سبأ أو من ابنة فرعون التي تزوجها سليمان). وما زالت اللغة الجعزية (وهي لهجة عربية قد يكون أصلها من قبيلة أعجاز هوازن التي قد تكون هي دان التوراتية نفسها) مستعملة لقراءة التوراة عند الفلاشا وعند القوميات المسيحية التي ما زالت تمارس سنة الختان الإبراهيمية! وتحققت نبوءات موسى (ع) بعودة بني إسرائيل إلى مصر وهي الحبشة بالسفن[1]، وأن تنتشر لغة كنعان (كنانة) هناك كما تنبأ اشعيا[2]. وهنا قد يصح تأويل آية ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[3] التي لم يثبت بالنسبة إلى بلاد القبط عبر تاريخها المدون أن بني إسرائيل حكموها؛ ولا تمكن أحد من مفسري القرآن أن يفك لغز الآية. وبقيت اكسوم ملجأً للهاربين من الحجاز حتى فجر الإسلام؛ فكانت كما نعلم أول دار هجرة للمسلمين الأوائل.

(1) سفر التثنية، الإصحاح 28، الجملة: 68.
(2) سفر أشعيا، الإصحاح 19، الجملة: 18.
(3) سورة الشعراء، الآية: 59.

وهكذا سبي شعب هوذة من أرضه، وأسدل الستار على تاريخ بني اسرائيل ككيان سياسي وبدأ بعدها تاريخ اليهود، وكان هذا في العام 586 ق. م.

لم يأت ذكر لسعيا أو جرم (لأشعيا أو أرميا) في القرآن الكريم فهما من الأنبياء الذين:

﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1].

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[2].

أما بالنسبة إلى نهاية مملكة بني اسرائيل فقد نزل فيها في سورة الإسراء:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[3].

جاء في الآية الرابعة أن الإفساد يكون في الأرض مرتين أي كأن المقصود هو أن يكون في موضعين من الأرض وليس في زمانين مختلفين فقط وما وصلنا إليه في بحثنا يغطي فقط ما ذهبت إليه الآية الخامسة بالإشارة إلى «إذا جاء وعد أولاهما» وهي تغطي دخول الأثوريين إلى السامرة (عسفان) ودخول الكلدانيين إلى أورشليم (مكة) وهما المقصودان بالديار. ثم تشير الآية السادسة إلى فترة ما بعد السبي حتى تأسيس المملكة اليهودية في فلسطين بعد أن أمدهم الله بالأموال والبنين وجعلهم أكثر نفيراً، ولنا عودة إلى هذه الآيات فيما بعد.

(1) سورة غافر، الآية: 78.

(2) سورة النساء، الآية: 164.

(3) سورة الإسراء، الآيات: 4 - 8.

العودة من بابل إلى الحجاز

(538 ـ 430 ق. م.)

العودة كما جاءت بنصوص من أسفار أنبياء من فترة ما بعد السبي:

النبي الأول: ذوالكفل:

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ۞ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾[2].

ذو الكفل القرآني يُعتقد بأنه نبي الله حزقيال التوراتي. وعلى الرغم من أن رؤى ونبؤات حزقيال كانت واضحة ومليئة بالحياة. فإن قدراً ضئيلاً فقط هو المعروف عن حياة النبي الشخصية. كان من بين آلاف الشباب الذين تم ترحيلهم من هوذة إلى بابل عندما استسلم الملك يهوياقيم (الواقم). وحتى قبيل هذه الأيام المأسوية كان حزقيال مستعداً للانتظام في سلك الكنهوت، لكن الله دعاه أثناء سبي بابل ليكون نبياً له بواحدة من أحلك فترات بني اسرائيل.

عن لسان الوحي[3]:

ثم قال لي: يا ابن آدم، قف على قدميك فأخاطبك. وحالما تكلم دخل فيّ الروح

---

(1) سورة الأنبياء، الآيتان: 85 و86.

(2) سورة ص، الآية: 48.

(3) سفر حزقيال، الإصحاح 2، الجملة: 1.

وأنهضني على قدمي، وسمعته يخاطبني: يا ابن آدم، ها أنا باعثك إلى بني اسرائيل، إلى أمة متمردة عصتني، إذ تعدّوا هم وآباؤهم علي إلى هذا اليوم. أنا باعثك إلى الأبناء المتصلبين القساة، فتقول لهم هذا ما يعلنه الرب. فإن سمعوا، أو أبوا لأنهم شعب عاص فإنهم يعلمون على الأقل أن نبياً بينهم، أما أنت، يا ابن آدم فلا ترهبهم ولا تخشى كلامهم وإن كانوا قوارص وشوك لديك. وأنت ساكن بين العقارب فلا ترهب كلامهم، ولا تفزع من محضرهم لأنهم شعب متمرد. إنما عليك أن تبلغهم كلامي سواء سمعوا أو أبوا، لأنهم متمردون.

يا ابن آدم[1]، قل لإخوتك وأقربائك وسائر شعب إسرائيل في الشتات معك، الذين قال لهم أهل أورشليم: ابتعدوا عن الإله إذ لنا قد وهبت هذه الأرض ميراثاً. ولكن إن كنت قد مزقتهم بين الأمم وشتتهم بين البلاد. فإني أكوّن لهم مقدساً صغيراً في الأرض التي تبددوا فيها، لذلك قل لهم: سأجمعكم من بين الشعوب وأحشدكم من الأراضي التي شتتكم فيها وأهبكم أرض إسرائيل. فعندما يأتون اليها ينتزعون منها جميع أوثانها الممقوتة ورجاساتها، وأعطيهم جميعاً قلباً واحداً، وأجعل في داخلهم روحاً جديدة، وأزيل قلب الحجر من لحمهم، واستبدله بقلب من لحم، لكي يسلكوا في فرائضي ويطيعوا أحكامي ويمارسوها، ويكونوا لي شعب وأنا أكون لهم إلهاً، أما الذين ضلت قلوبهم وراء أوثانهم ورجاساتهم، فإني أجعلهم يلقون عقاب طرقهم، يقول السيد الرب».

وفي اليوم الخامس من الشهر العاشر من السنة الثانية عشرة من سبينا[2]، أقبل إلي ناج من أورشليم وقال: قد تم تدمير المدينة. وكانت يد الرب علي في المساء قبيل مجيء الناجي. وفتح الرب فمي في الصباح عند وصوله، فانفكت عقدة لساني ولم أعد أبكم. فأوحى إلي الله بكلمته قائلاً: يا ابن آدم إن المقيمين في خرائب أرض اسرائيل يقولون إن إبراهيم كان فرداً واحداً ومع ذلك ورث الأرض وها نحن كثيرون. وقد وهبت لنا الأرض ميراثاً؛ لذلك قل لهم: أتأكلون اللحم بالدم وتتعلق عيونكم

(1) سفر حزقيال، الإصحاح 11، الجملة: 15.

(2) سفر حزقيال، الإصحاح 33، الجملة: 21.

بأصنامكم وتسفكون الدم، ثم ترثون الأرض! اعتمدتم على سيوفكم، وارتكبتم الموبقات، وزنى كل منكم مع امرأة صاحبه فهل ترثون الارض. قل لهم، هذا ما يعلنه المولى الإله: حي أنا، إن الذين يقيمون في الخرائب يقتلون بالسيف، والذين يسكنون في العراء أبذلهم قوتاً للوحوش، والممتنعون في الحصون والمغاور يموتون بالوباء. فأجعل الأرض أطلالاً مقفرة وتبطل كبرياء عزتها، وتصبح جبال إسرائيل جرداء لا يجتاز بها عابر. فيدركون أني أنا الله حين أجعل الأرض خربة مقفرة من جراء ما ارتكبوه من رجاسات.

وكانت يد الرب علي[1] فأحضرني بالروح إلى وسط واد مليء بعظام، وجعلني أجتاز بينها وحولها وإذا بها كثيرة جداً، تغطي سطح أرض الوادي، كما كانت شديدة اليبوسة. فقال لي يا ابن آدم أيمكن أن تحيى هذه العظام، فأجبت: ياسيدي ومولاي أنت أعلم. فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لها: اسمعي أيتها العظام اليابسة كلمة الله: ها أنا أجعل روحاً يدخل فيك فتحيين. وأكسوك بالعصب واللحم، وأبسط عليك جلداً وأجعل فيك روحاً فتحيين وتدركين أني أنا الله. وفيما كنت أتنبأ كما أمرت، حدث صوت جلبة وزلزلة، فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمة، واكتست بالعصب واللحم، وبسط عليها الجلد. إنما لم يكن فيها روح فقال لي: تنبأ للروح ياابن آدم، وقل: فذا ما يأمر به المولى الإله: هيا ياروح أقبل مِن الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأت كما أمرني الرب، فدخل فيهم الروح فدبت فيهم الحياة وانتصبوا على أقدامهم جيشاً عظيماً جداً جداً. ثم قال لي: ياابن آدم، هذه العظام هي جملة شعب اسرائيل، هاهم يقولون قد يبست عظامنا ومات رجاؤنا وانقطعنا. لذلك تنبأ وقل لهم هذا ما يعلنه السيد الرب: ها أنا أفتح قبوركم وأخرجكم منها يا شعبي وأحضركم إلى أرض إسرائيل، فتدركون أني أنا الله حين أفتح قبوركم وأخرجكم منها يا أمتي. وأضع روحي فيكم فتحيون.

وقد أشار القرآن الكريم إلى شيء قريب من هذه الرؤيا الروحية دون أن يحدد شخصية الرائي (والتي يظن البعض أنها عزير وآخرون أنها أرميا):

(1) سفر حزقيال، الإصحاح 37، الجملة: 1.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

النبي الثاني: دانيال

ولد دانيال في منتصف ملك يوشيا (واسية) وشب أثناء إصلاحات هذا الملك، وربما استمع دانيال، أثناء ذلك إلى جرم (أرميا) النبي[2]، وقد قتل يوشيا سنة 609 ق.م. في معركة ضد مصر، وفي خلال أربع سنوات عادت المملكة الجنوبية، هوذة، إلى طرقها الشريرة. وفي 605 ق. م. أصبح نبو خذ نصر ملكاً على بابل. وفي سبتمبر من ذلك العام اكتسح هوذة وحاصر عرش السلام (أورشليم)، ثم أخذ معه الكثيرين من حكمائها وأجمل نسائها إلى بابل كأسرى، وكان دانيال ضمن هذه المجموعة. واعتاد الكلدانيون بعد انتصاراتهم أن يأخذوا معهم إلى بابل أكثر الناس موهبة ونفعاً، تاركين وراءهم الفقراء فقط ليسكنوا أي أرض يريدون وليعيشوا فيها في سلام. وقد أتاح هذا الأسلوب ولاءً عظيماً لبابل من قبل البلاد المهزومة وضمن إمداداً ثابتاً بالموهوبين والحكماء من أجل الخدمة المدنية. وهناك خدم دانيال في الحكومة نحو 70 عاماً (من 605 إلى 536 ق. م.) أثناء ملك نبوخذ نصر وبلشاصر وكورش. وعاش حتى رأى المسببين الأوائل يعودون إلى عرش السلام (أورشليم) سنة 538 ق.م. وخلال هذه المدة مجّد دانيال ربه ومجّده الله، حتى أنه كان المتحدث باسم الإله إلى مملكة بابل خلال خدمته مستشاراً لملوكها. واشتُهر عنه رؤياه التي هي أشبه بمعراج إلى السماء، وأعطيت لتفاصيلها تفسيرات بنيت عليها أكثر المرويات عن أشياء تحدث في آخر الزمان؛ والتي لن ندخل في سياقها بهذا الكتاب.

(1) سورة البقرة، الآية: 249.

(2) سفر دانيال، الإصحاح 9، الجملة: 2.

النبي الثالث: العزير

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[1].

يبدأ سفر عزرا بسنة 538 ق. م. أي بعد 48 سنة على تدمير نبوخذ نصر لعرش السلام (أورشليم) وهزيمته للمملكة الجنوبية، مملكة هوذة، وسبي بعض أهلها إلى بابل. ومات نبوخذ نصر في عام 562 ق. م. ولأن خليفته لم يكن قوياً، استولى الإخمينيون الفرس على بابل في عام 539 ق. م. قبيل الأحداث المسجلة في سفر عزرا. وكانت سياسة البابليين والفرس سياسة مرنة تجاه المسبيين، فسمحوا لهم بتملك الأراضي والبيوت والقيام بالأعمال العادية. وقد شغل الكثيرون من اليهود، أمثال دانيال ومردخاي واستير مراكز رفيعة. وقد خطا الملك كورش خطوة أبعد، إذ سمح لجماعات كثيرة، بمن فيهم اليهود بالعودة إلى أوطانهم، وقد توقع أنه بذلك يكسب ولاءهم، بل وأعطاهم المال وأواني الهيكل التي أخذها نبوخذ نصر، وضمَن مرسوم العودة أن يتعاون اليهود في إنجاز العمل العظيم بإعادة بناء الهيكل. رافق زربابل، قائد المجموعة الأولى، الآلاف من الأشخاص الذين عادوا إلى الأرض المباركة. وبعد وصولهم بدأوا ببناء المذبح ووضع أسس الهيكل، ولكن واجهتهم مقاومة من السكان المحليين. وأدت حملة من الاتهامات والإشاعات إلى توقف العمل مؤقتاً، بينما كان النبيان حجي وزكريا يشجعان الشعب على المضي في المهمة. وأخيراً أصدر الملك داريوس أمراً باستئناف العمل دون أي عوائق.

بعض سفر عزرا/ العزير مكتوب بالآرامية، راجع فصل «نهج البحث عبر الخطوط العربية القديمة» لقراءة الإصحاح 5 وقد بيّنت فيه قربه من العربية الفصحى.

يعزى إلى العزير إعادة إظهار نسخة من العهد القديم كتبها بخط جديد هو الآرامي القديم (الذي بقي عليه السامريون) بعد أن كانت الكتابة الأصلية بخط المساند/الزبور على الأرجح. ويبدو أن كل النسخ المسندية/الزبورية بالحجاز قد تم إحراقها لأنه لم تظهر نسخ بهذا الخط إلا بالحبشة؛ ولا تحتوي إلا على الأسفار الخمسة مما يزيد الاحتمال أن من نقلها كان من أهل السامرة (الإشاعة أنهم كانوا من قبيلة دان) الذين

---

(1) سورة التوبة، الآية: 30.

النبي الثالث: العزير

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[1].

يبدأ سفر عزرا بسنة 538 ق. م. أي بعد 48 سنة على تدمير نبوخذ نصر لعرش السلام (أورشليم) وهزيمته للمملكة الجنوبية، مملكة هوذة، وسبي بعض أهلها إلى بابل. ومات نبوخذ نصر في عام 562 ق. م. ولأن خليفته لم يكن قوياً، استولى الإخمينيون الفرس على بابل في عام 539 ق. م. قبيل الأحداث المسجلة في سفر عزرا. وكانت سياسة البابليين والفرس سياسة مرنة تجاه المسبيين، فسمحوا لهم بتملك الأراضي والبيوت والقيام بالأعمال العادية. وقد شغل الكثيرون من اليهود، أمثال دانيال ومردخاي واستير مراكز رفيعة. وقد خطا الملك كورش خطوة أبعد، إذ سمح لجماعات كثيرة، بمن فيهم اليهود بالعودة إلى أوطانهم، وقد توقع أنه بذلك يكسب ولاءهم، بل وأعطاهم المال وأواني الهيكل التي أخذها نبوخذ نصر، وضمَن مرسوم العودة أن يتعاون اليهود في إنجاز العمل العظيم بإعادة بناء الهيكل. رافق زربابل، قائد المجموعة الأولى، الآلاف من الأشخاص الذين عادوا إلى الأرض المباركة. وبعد وصولهم بدأوا ببناء المذبح ووضع أسس الهيكل، ولكن واجهتهم مقاومة من السكان المحليين. وأدت حملة من الاتهامات والإشاعات إلى توقف العمل مؤقتاً، بينما كان النبيان حجي وزكريا يشجعان الشعب على المضي في المهمة. وأخيراً أصدر الملك داريوس أمراً باستئناف العمل دون أي عوائق.

بعض سفر عزرا/ العزير مكتوب بالآرامية، راجع فصل «نهج البحث عبر الخطوط العربية القديمة» لقراءة الإصحاح 5 وقد بيّنت فيه قربه من العربية الفصحى.

يعزى إلى العزير إعادة إظهار نسخة من العهد القديم كتبها بخط جديد هو الآرامي القديم (الذي بقي عليه السامريون) بعد أن كانت الكتابة الأصلية بخط المساند/الزبور على الأرجح. ويبدو أن كل النسخ المسندية/الزبورية بالحجاز قد تم إحراقها لأنه لم تظهر نسخ بهذا الخط إلا بالحبشة؛ ولا تحتوي إلا على الأسفار الخمسة مما يزيد الاحتمال أن من نقلها كان من أهل السامرة (الإشاعة أنهم كانوا من قبيلة دان) الذين

(1) سورة التوبة، الآية: 30.

لا يعترفون بقدسية كل ما جاء بعد موسى (ع). إلا أنه يبدو بأن النسخة الحبشية قد تم العبث بها لاحقاً فتمت «ترجمة» الأسماء لتوافق المفهوم البيزنطي للجغرافيا.

وفي حوالي العام 458 ق.م. أرجع عزرا معظم من بقي من اليهود من بابل، متسلحاً بمرسوم ودعم من أرتحششتا الأول، وكانت مهمته إدارة شؤون البلاد. وعند وصوله علم بالزواج المختلط بين شعب الله وجيرانهم الوثنيين، فمزق ثوبه وشد شعره، وبكى وصلى لأجل الأمة ودعا قومه للتوبة والعودة إلى الجذور ونبذ ما اقترفوه بتفريق أنفسهم عن أزواجهم من الأغيار؛ وهو ما تم! وقد يكون لهذا الحدث صلة بما صار أصيلاً بعادات الجزيرة العربية من شبه تحريم لزواج القبيليين من غير القبيليات، وهو ما لا نرى له مثيلاً في الجدّية داخل المجتمعات الإسلامية الأخرى. وأدت همة العزير (عزرا) إلى نهضة قومية (إنما مؤقتة) لأنه كان مثالاً يحتذى لليهود، وكان الله قد اختصه بقدرات ثلاث:

أولاً: مواهب أدبية باعتباره كاتباً كرّس نفسه للدراسة الدقيقة لكلمات الله.

ثانياً: فطرة ليتقبل شخصياً ويطيع الأوامر والنواهي التي اكتشفها بالنصوص.

ثالثاً: همة لتعليم الآخرين كلام الله وتطبيقه في الحياة.

واصل خدمته في أيام النبي نحميا، فالله استخدم الاثنين لبدء حركة روحية عمت الشعب بعد إعادة بناء الهيكل وسور المدينة، وهذه كانت آخر نهضة روحية في العهد القديم. ويرجّح كثيرون أن يكون هو كاتب سفري أخبار الأيام الأول والثاني. ولفرط ما ترك من آثار إيجابية في ضمير الأمة اعتبروه أباً روحياً بل ابناً لله، وأحاطوا سيرته بهالة من القداسة إلى درجة أنه حتى في أيام النبي العربي محمد (ص) هالهم أن تستنكر الآيات كون العزير هو ابن الله! ومن عصر العزير يؤرخ القرآن لحقبة جديدة يبدأ معها الكلام عن «يهود» ويتوقف الكلام عن بني إسرائيل!

النبي الرابع: نحميا (وفي سفره تشابه كثير عما ورد بسفر عزرا)

كان نحميا نديماً للملك أرتحششتا الفارسي في بابل فتوسل إليه للسماح له بالعودة إلى عرش السلام (أورشليم). ولما وصل إليها، وجد المدينة خربة، وقد تهدمت أسوارها واقتلعت أبوابها، فجمع سكانها وأمرهم بإعادة بناء الأسوار وإصلاح الثغرات

والأثلام التي فيها. وعمل أبواباً جديدة، لكنه لقي معارضة شديدة من سنبلط الحوروني (لعل أصله من حوران بيشة) وطوبيا العبد العموني (غنم دوس) وجشم العربي (بني سعد)، إذ عارضوا إعادة بناء الأسوار والأبواب وهددوا بالزحف على المدينة.

وعندما علم[1] سنبلط أننا قائمون ببناء السور امتلأ غضباً وغيظاً، وأخذ يسخر من اليهود، وتساءل أمام أقربائه وجيش السامرة: أي شيء يفعله هؤلاء اليهود الضعفاء. هل في وسعهم أن يعيدوا بناء السور. هل يعودون لتقريب الذبائح. هل يكملون البناء في يوم واحد. هل يحيون الحجارة من أكوام الركام (الحطيم) وهي محترقة. وكان طوبيا العموني واقفاً إلى جواره، فقال: إن ما يبنونه إذا صعد عليه ثعلب فإنه يهدم حجارة سورهم.

وكان جشم العربي من أشد المعارضين لبناء السور وتحصين المدينة وذلك لأنه كان يرى في هذا العمل إعادة لدولة هوذة ولتنصيب نحميا ملكاً على عرش السلام (أورشليم) وبالتالي مشروعاً جديداً قد يجر الويلات على البلاد والعباد. وجشم اسم من الأسماء العربية المعروفة، وهي من قبائل بني سعد. كان ذلك في حوالي العام 444 ق.م.

ومن آخر الأسفار التوراتية في قسم النبييم (النبيين) (الأنبياء) سفر ملاخي الذي يعتقد بأنه كتب حوالى العام 430 وكاتبه غير معروف. وبعد ذلك نمر بحقبة طويلة من فتور الوحي تمتد ألف عام كاملة انتهت بمبعث سيد المرسلين (ص) الذي بشر به النبيون من موسى حتى عيسى ابن مريم (ع).

خلاصة: إن عودتهم من بابل كانت شبه تامة لأن هيرودوتس الذي أتى للشرق ومكث من 454 حتى 447 ق.م. متنقلاً من بلاد القبط لصور لبابل ودوّن تاريخ بلاد الرافدين لم يصادفهم هناك ولم يسمع عنهم أو عن تاريخهم أوكتبهم وديانتهم! كذلك لم يسمع عنهم لا بفلسطين ولا بمصر، ولم يترك لنا أي مسميات لبلدات أو أشخاص ورد ذكرهم بالعهد القديم. والجدير ذكره أن المنطقة الوحيدة التي لم يزرها ولم يكتب عن تاريخها كانت الجزيرة العربية؛ فلا بد أنهم كانوا هناك في عصره.

(1) سفر نحميا، الإصحاح 4، الجملة: 1.

من الهجرة إلى فلسطين حتى سقوط الهيكل الثاني (400 ق.م - 70م)

ذكرنا أن سفر ملاخي كتب في حوالي العام 430 ق. م. وهذا تاريخ مهم ليس في ذاته بل لأنه آنذاك كنا قد دخلنا عصر التدوين التاريخي على يد من سمي بأبي التاريخ، ففي القرن الخامس قبل الميلاد جاء هيرودوتس (484 - 425 ق.م) وعاش في منطقتنا 7 سنوات وكتب مطولاً عن الفينيقيين وتاريخهم ومر بفلسطين قادماً من بلاد القبط حيث عاش فيها ودوّن عن لسان كهنة معبد آمون تاريخ مصر القديم المعروف لحقبة تمتد إلى ألفي سنة سابقة. ثم ذهب إلى بابل وأعاد الكرّة بأن كتب عن حضارات سومر وأكاد وأثور وبابل وبداية الدولة الفارسية الأولى (الإخمينية) في زمن كانت بابل أعظم مدن الأرض قاطبة. والعجيب أنه مع وجود التوراة مدونة بأيامه لم يأت بتاتاً على ذكر اليهود أو الإسرائيليين أو كتبهم المعروفة ، فمن الواضح أنه لم يقابلهم لا ببابل ولا بفلسطين ولا بمصر! وهذا يرجّح أن أكثريتهم كانت قد عادت بالفعل إلى الحجاز! والتاريخ سجل عودة آخر المسبيين على يد عزرا حوالي 458 ق.م.، بينما إقامة هيرودوتس في المنطقة كانت بين 454 و447 ق.م.

ذكر هيرودوتس بأن الفينيقيين جاؤوا من سواحل البحر الأحمر وتكلم عن السبئيين وتجارتهم وأورد تفاصيل مملة عن أحلام ملوك مصر وفارس؛ لكنه لم يذكر لنا شيئاً عن مملكة داود وسليمان؛ علماً أن كل التفاصيل كانت جاهزة ومدونة، وكانت المنطقة الوحيدة في الشرق الأوسط التي لم يزرها: جزيرة العرب. ومما لا شك فيه أن اليهود وقتذاك كانوا في أضعف فترة من تاريخهم؛ تاريخ العودة إلى الحجاز وعدم

تقبلهم من جيرانهم والضياع، ولم تكن لهم أية أهمية أو دور على صعيد المسرح الدولي في تلك الحقبة إلى درجة أن شخصاً مثل هيرودوتس لم يسمع ولم يقابل أحداً من علمائهم، بل ولم يطلّع على كتبهم ومدوناتهم لأنه لو فعل لوجد فيها معيناً خصباً ومشوقاً وجاهزاً من تاريخ وتطور الوعي والفكر الإنساني. ومن غير المعقول أن يكون قد تعمّد إغفال أخبارهم وهو المشهود له بالموضوعية العلمية.

كيف انتهى التاريخ اليهودي ببلاد الحجاز وكيف بدأ في فلسطين؟

لعل أولى هجرات بني إسرائيل إلى خارج شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً إلى فلسطين، كان مردها إلى الحروب التي نشأت بين ملوك هوذة وملوك اسرائيل[1] والتي ابتدأت بعد وفاة سليمان (ع). ولا بد أن مثل هذه الهجرات تعززت بالغزوات المتوالية التي شنها ملوك أثور ثم ملوك بابل على غرب شبه الجزيرة العربية بين القرنين التاسع والسادس قبل الميلاد. ففي العام 721 قبل الميلاد قام الملك الأثوري سرجون الثاني بتصفية مملكة اسرائيل في غرب شبه الجزيرة العربية واحتل عاصمتها وهي السامرة أو سمران؛ وهي اليوم عسفان، واستاق الأعيان من سكانها أسرى إلى نينوى. واستمر حكام بلاد ما بين النهرين يطلقون على منطقة غرب شبه الجزيرة العربية اسم شمران، فبعد سقوط السامرة باثني عشر قرناً نجد العاهل الساساني كسرى أنو شروان يسأل النعمان بن المنذر عن سيف بن ذي يزن القادم من اليمن قائلاً من هذا: أملك سمران؟ وقد أورد محقق كتاب التيجان في ملوك حمير[2] بأنها وردت شمران بالشين في ثلاث نسخ وسمران بالسين في نسخة واحدة، وأتبع وهب ابن منبه - وهو حفيد التابعي المعروف وهب بن منبه - مفسراً معنى شمران بقوله: **يعني العرب!**

في العام 586 قبل الميلاد، قضى الملك البابلي نبو خذ نصر على مملكة الهود، واقتاد الألوف من رعاياها إلى بابل، حيث وضعوا قيد الأسر. ذكر المؤرخون العرب القدماء، وعلى رأسهم الطبري[3] والمسعودي أن بخت نصر (نبوخذ نصر أو نبوقد

(1) **التوراة جاءت من جزيرة العرب**، كمال الصليبي، ص39.

(2) **كتاب التيجان في ملوك حمير**، وهب بن منبه.

(3) **تاريخ الطبري**، المطبعة الحسينية، الجزء الأول، ص: 291.

نصر) غزا الجزيرة العربية، ورووا قصص فتوحاته هناك. كان البابليون يسعون للمحافظة على سيطرتهم على غرب شبه الجزيرة العربية، وإلى استباق أية عودة قبطية إلى المنطقة (كتلك التي قام بها (نقي) نخو الثاني قبل ربع قرن)، إلى درجة أن نبونعيد الذي خلف نبوخذ نصر في ملك بابل نقل عاصمته من بابل نفسها إلى تيماء في شمال الحجاز؛ قادماً من طريق لم تكن معروفة سابقاً عبر دومة الجندل كما أكدت النقوش البابلية[1]، وقضى معظم أيام ملكه هناك كما هو معروف. أما مصر التي ذكرت في كلمة واحدة على لوحة بابلية من العصر الكلداني بأن نبوخذ نصر دمرها، وعلى قول النبي حزقيال (ذوالكفل) لن تقوم لها قائمة، فربما كانت دولة مطرة أو مطيرة (Metera) في جنوب غربي إريتريا على مقربة من الحدود مع إثيوبيا اليوم؛ لأن أول غازٍ أمبراطوري احتل بلاد الأقباط كان الملك الفارسي قمبيز وذلك في العام 525 ق. م. ويزعم هيرودوتس أن فانس الذي خان سيده عاهل بلاد القبط؛ هرب منه وذهب خلسة إلى قمبيز يحثه على فتح بلاد القبط. وأشار على الملك بأن يستعين بالعرب ليساعدوه على اجتياز الصحراء. وكان الملك يفكر في الصعوبات التي ستعترض جيوشه في قطع سيناء، ومن أهمها قلة المياه. فلما اقتنع الملك قمبيز بصواب رأي فانس وصدقه أرسل رسولاً إلى ملك العرب ليتفاوض معه في الأمر، فوافق على تقديم المساعدات؛ وهيأوا قرباً كثيرة ملأوها بالماء، وحملوها على ظهور الجمال حيث قدموها إلى الفرس[2]. ولم يسجل هيرودوتس لنا علمه بأي غزو سابق كان لأرض القبط من ممالك بلاد الرافدين.

المهم أن وجوداً يهودياً قوياً لم يقم في فلسطين إلا بعد مغادرة هيرودوتس للمنطقة حوالي عام 447 ق. م. وقبل وصول الإسكندر في الثلث الأخير من القرن 4 ق.م بعد أن ساءت أحوالهم في غرب شبه الجزيرة العربية بزوال الحماية الإخمينية للأقليات فيها. وبات اليهود بفلسطين يتوسمون الخير والأمل في أراض جديدة مزدهرة، وبدأنا نسمع عن «بنت صهيون» و«بنت أورشليم» في فلسطين بدلاً من «ضن» و«عرش

(1) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج1، ص: 611.

(2) The History of Herodotus. G. Rowlinson p: 211, 213.

السلام» القديمتين في غرب شبه الجزيرة العربية، وما من عالَم قديم بائس إلا يتوسم الخير في عالم جديد يعقد حوله الآمال. وما زال الناس حتى العصور الحديثة على هذه السّنة فنراهم عند هجرتهم من العالم القديم بأوروبا إلى العالم الجديد يسمّون نيويورك ونيوهامشاير ونيو أورليانز لتعني يورك الجديدة وهامشاير الجديدة وأورليانز الجديدة تيمناً بأسماء المدن القديمة التي تركوها خلفهم عند هجرتهم إلى أمريكا الشمالية.

كان قيام الدولة الإخمينية قد جلب خيراً على اليهود في بابل بالسماح لهم بالعودة وإعادة إعمار الهيكل في عرش السلام (أورشليم) إلا أن احتلال الإخمينيين لمصر أيام قمبيز وتوحيدهم للشرق الأوسط في أمبراطورية واحدة وإنشاءهم لطرق رئيسية محروسة لربط الأقاليم، وقيام أردشير الإخميني بشق قناة تربط ما بين النيل والبحر الأحمر حوّلت طرق التجارة العالمية من جنوب الجزيرة العربية على سواحل بحر العرب في ريسوت وعدن عبر قوافل الجمال لسواحل البحر الأبيض المتوسط بالشمال إلى شواطئ الخليج العربي ومنها إلى بلاد ما بين النهرين وعبر الهلال الخصيب للسواحل الشمالية للمتوسط، وعبر البحر الأحمر إلى مصر. وهكذا وُجِّهت ضربات قاضية لتجارة شبه الجزيرة التي كانت تشكل العمود الفقري لحياة الإسرائيليين ومجتمعات قديمة أخرى في غرب شبه الجزيرة العربية كانت قوافل الجمال تمر بها.

ذكرنا عودة الآلاف (قيل 43 ألفاً) من أبناء الأسرى الإسرائيليين من العراق مع عائلاتهم إلى غرب الجزيرة العربية تحت قيادة العزير عام 458 ق.م. وفي نيتهم إعادة بناء مجتمعهم هناك. لكن سرعان ما خابت آمال هؤلاء، إذ وجدوا كل ما حولهم خراباً وقفراً. وأما ما تلا ذلك فلا يمكن تصوّره إلا بالتكهن، لأن الرواية التاريخية للعهد القديم تتلاشى وتنتهي عند هذه النقطة، وينتهي معها تاريخ بني اسرائيل الذين بادوا من الوجود ككيان سياسي بعدما أخفقوا في إعادة بناء وطنهم الأصلي في غرب شبه الجزيرة العربية. أما اليهودية كدين فاستمرت في وجودها هناك وفي اليمن أيضاً حتى العصور الحديثة. واستمرت أيضاً في مناطق أخرى خارج شبه الجزيرة كالعراق وفلسطين وبلاد القبط وغيرها. ويحتمل أن يكون معظم الاسرائيليين

العائدين بالمرحلة الإخمينية إلى شبه الجزيرة العربية قد عاد بعضهم ثانية إلى بلاد فارس والعراق، أو تفرقوا في أماكن أخرى. ومن ذلك الوقت فصاعداً، وحتى تدمير الرومان لهيكل أورشليم الفلسطيني في العام 70 للميلاد، تركز التيار الرئيسي للتاريخ اليهودي حول فلسطين، بل وصارت لهم قبلة جديدة هي بيت المقدس بالتعبير التلمودي والمسجد الأقصى بالتعبير القرآني. وقبل أن يمر وقت طويل كانت أصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت غياهب النسيان. وأكثر من بقي تحول إلى الكفر والعياذ بالله؛ وغيّر من اسمه أو انتسب بمرور الوقت إلى القوي ممن حوله من القبائل طلباً للحماية. ويجب البحث فيما إذا دان صارت هوازن وأفرم صار سليم والفران والشاهر جهينة وأفتل غطفان، وربما هوذة أوجدت اسماً يغطي الفترة السابقة من التاريخ فاختارت جرهم وهو من الجيل الرابع ليحمل عبء التاريخ بحلوه ومره ثم ربما هذيل! وربما حدث الشيء نفسه مع اللاويين وربان. وقد تنير نتائج الأحماض النووية الطريق لإعادة اكتشاف ما حدث من سبيل انتساب أقوام إلى قبائل أخرى طلباً للحماية والبقاء.

ومع تدهور الحياة الاقتصادية في جنوب الجزيرة العربية بسبب تحول طرق التجارة، ثم مع ضعف الحياة الزراعية وخصوصاً مع ازدياد التصحر بدأت موجات متتابعة من قبائل الجزيرة العربية ومن القبائل الرعوية بالهجرة إلى بلاد الشام والعراق، ومعها بدأت لهجات سامية تدعى العربية (وهي تكاد تكون متطابقة مع لهجة كنانة الحجازية) تتنافس مع اللغة الآرامية (وهي اللهجة القديمة لشرق الجزيرة وشمالها) بأقاليم مختلفة من الشرق الأدنى[1]؛ حيث كانت الأخيرة اللغة الرسمية للمنطقة من زمن الدولة الإخمينية. ومع بداية القرون الأولى من العصر المسيحي كانت اللغة العربية _ وهي أصلاً لغة القبائل الرعوية للبادية الشامية - قد بدأت تحل فعلياً مكان اللغة الآرامية في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكذلك في أجزاء من العراق والشام، تاركة فقط جيوباً صغيرة من المتكلمين بالآرامية في هاتين المنطقتين الأخيرتين مع حلول القرن السابع أو الثامن للميلاد.

(1) التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال الصليبي، ص44.

ومع الهجرات اليهودية المبكرة إلى أراض تتكلم لهجات أو لغات مغايرة صار موتٌ للعبرية التوراتية (شفة كنانة) كلغة محكية بين الجاليات اليهودية المشردة، وأصبحت قراءة الكتب اليهودية مشكلة، وبقيت كذلك منذ ذاك الحين. واللغة العبرية، مثلها مثل كل اللغات السامية، كانت تكتب بأحرف ساكنة لا بد من إضافة إشارات صوتية ملائمة إليها، أو تشديد الأحرف حيث يتطلب ذلك المعنى الصحيح أو المفترض. وبدءاً من المرحلة اليونانية، بدأ اليهود الفلسطينيون والبابليون، الذين لم يعرفوا كيف كانت اللغة العبرية لكتبهم المقدسة تلفظ بالأصل يصوغون الإشارات الصوتية المضافة إليها على الأساس الآرامي، اللغة التي كانوا بها يتكلمون. وكانت نصوص كتبهم المقدسة مليئة بأسماء أماكن لم يكونوا يعرفونها لأنها كانت خاصة بأماكن ومواقع في غرب شبه الجزيرة العربية؛ حيث كان اليهود قد شهدوا منذ حوالى 500 ق. م. تراجعاً في أحوالهم المعيشية إلى حد كان من الصعب معه العثور فيما بينهم على علماء متفرغين لديهم القدرة على ضبط القراءة الجغرافية لأبناء دينهم الفلسطينيين والبابليين. وأكثر من ذلك، فإن يهود غرب شبه الجزيرة العربية استمروا في عيشهم كيهود من الناحية الدينية فقط، وليس كاسرائيليين من الناحيتين القبلية والسياسية. ولا شك في أنهم حافظوا على بعض من ذكرى ماضيهم هناك؛ لاسيما لجهة التشدد بمنع زواجهم من غير قبائل الأسباط، وهو ما استمرت عليه معظم القبائل حتى اليوم.

وبحسب ما ذكره الرحالة الذين زاروا المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان هناك اعتقاد محلي بأن أرض الأنبياء التوراتيين هناك، وبأن اليهود سكنوا في جبال الحجاز، وأنهم كانوا أول من استأنس الجمل.

وعلى الصعيد السياسي أدى الضعف التدريجي الذي أصاب الأمبراطورية الإخمينية؛ والذي بدا ظاهراً مع بدايات القرن الرابع ق. م. إلى نشوء كيانات جديدة، وتشتت يهود شبه الجزيرة بين كائنات محلية جديدة. كما فقدوا شعورهم بالانتماء الخاص كشعب واحد إذ لم يعد هناك ما يجمع شملهم سياسياً. وبدا الاتصال بينهم وبين يهود الخارج ضئيلاً إلى حد أنه لم يعد بإمكانهم أن ينقلوا إليهم بشكل فعال ما كانوا بعد على علم به. وعندما بدأ اليهود الفلسطينيون والبابليون بضبط نصوص التوراة

العبرية بالاشارات الصوتية إبتداءً من القرن السادس للميلاد كانت قد مرت قرون عديدة على الزمن التي كانت فيه لهجة كنانة متداولة فيما بينهم، وكانت أصول اليهودية في غرب الجزيرة العربية نفسها قد دخلت منذ زمن طويل طي النسيان بسبب تخلّي من بقي منهم عن عقيدته.

وبالمفارقة مع أحوال اليهود المطبوعة بالتشتت والضياع بغرب الجزيرة العربية اتخذت التطورات في فلسطين مساراً مختلفاً. ففي سنة 330 ق. م. رسمت فتوحات الإسكندر الأكبر نهاية الأمبراطورية الفارسية، واحتل كامل أراضيها لكن القدر عجل في موته قبل أن يمد ظل دولته إلى الجزيرة ففقدت الأقليات الدينية الحماية الأمبراطورية الكافلة لحرية المعتقدات. وبعد موته قسم قادة جيشه أمبراطوريته قسمين: واحدة كانت أمبراطورية البطالسة وكان مركزها في بلاد القبط، وعاصمتها الإسكندرية، والأخرى الأمبراطورية السلوقية التي امتدت من الهند إلى الشام، وكانت عاصمتها أنطاكية. ولم يكن لدى أي من هاتين الامبراطوريتين أي اهتمامات بشبه الجزيرة العربية لفقدان أهميتها السابقة كوسيط في التجارة العالمية، وهو ما زاد الشقة على يهود الجزيرة العربية الذين تعرضوا للقهر والاضطهاد بسبب عدم نسيان الجميع أنهم كانوا السبب وراء الغزوين الأثوري والكلداني والإجلاء القسري للسكان إلى نينوى وبابل.

كانت السيطرة على فلسطين في البداية موضوع نزاع بين البطالسة والسلوقيين، قبل أن يحسم الأمر لمصلحة الأخيرين وتصبح فلسطين خاضعة لحكمهم. لكن البطالمة لم يتخلوا، مبدئياً، عن الأمل باستعادة السيطرة أو النفوذ على فلسطين. وقاموا بالقرن الثالث ق.م بترجمة النصوص العبرية إلى اليونانية بما عرف بالسبعينية لضم الكتاب إلى مكتبة الإسكندرية. وخلال القرن الثاني قبل الميلاد اغتنم اليهود الفلسطينيون فرصة استمرار النزاع على بلادهم فقاموا بثورة ناجحة (بدأت عام 167 ق. م.) وتمكنوا من انتزاع استقلالهم من الحكم السلوقي في سنة 142 أو 141 ق.م. وتمكّن قادة هذه الثورة اليهودية، الذين كانوا ينتمون إلى هاشميين أي مقدسين لاسم الإله الأعظم (الحشمونيين بالتحريف) من الكهنة أن يسيطروا على أورشليم الفلسطينية. وفي أعقاب سلسلة من الانتصارات العسكرية تمكنوا أيضاً من توسيع

رقعة الأراضي اليهودية بحيث أصبحت تضم كامل أرض فلسطين والأجزاء الجنوبية من الجليل شمالاً، بالإضافة إلى مرتفعات شرقي الأردن والبحر الميت، واعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين لإسرائيل القديمة، واستمرت مملكتهم حتى مجيء الرومان. في هذه الفترة بدأ يغلب تفسير الجغرافيا التوراتية على أن أرض كنعان هي فلسطين ومصر هي بلاد القبط وآرام هي سوريا. وفي سنة 37 ق. م. أعاد مجلس الشيوخ الروماني تنظيم أراضيهم السابقة جاعلاً إياها مملكة يهودية تابعة لروما، ونصَّب عليها حريد (هيرودوس) الأدومي/ العدناني (توفي سنة 4 ق.م.) ملكاً. وقام هيرودس هذا بتشييد هيكل عظيم في أورشليم الفلسطينية؛ هو الذي تم تدميره فيما بعد عندما خرّب تايتوس الروماني المدينة وشتت سكانها وسكان جوارها من اليهود في سنة 70 بعد الميلاد.

وفي القرن الثاني الميلادي، سنة 136، قام بن كوكبة أحد نماذج الصهيونية القديمة، بثورة مسلحة ضد الرومان، وسجّل عليهم رغم جيشهم الأمبراطوري الجرار انتصارات براقة في البداية لكن الأمبراطور الروماني إيليوس هدريان قام آخر الأمر بإتمام ما بدأه تيتوس، فحاصر ما كان بقي من القدس، وهدم كل شيء في المدينة، ولم يترك فيها يهودياً واحداً، وجاء إلى مكان الهيكل فأقام عليه معبداً لجوبيتر كبير آلهة الرومان، ووضع فيه تمثالاً لهذا الإله مماثلاً للقائم في معبد الكابيتول. ثم قرر تغيير كل شيء في المدينة، حتى اسمها الذي أصبح مكوناً من إسمه هو واسم الكابيتول معبد جوبيتر الكبير؛ فسماها «ايليا كابيتولينا» ومنع اليهود من دخولها، وجعل الموت عقوبة من يقدم منهم على ذلك. ثم سمح لهم بالمجيء إليها يوماً واحداً في السنة للوقوف على جدار بقي قائماً من السور في الجزء الغربي من المدينة؛ وهو الذي يسمّى حائط المبكى ويسميه اليهود «الجدار الغربي». وظل حظر السكن بالقدس قائماً على اليهود قروناً طويلة. ذكر ذلك يوزيوس، المؤرخ المسيحي الذي زار «إيليا» القدس في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي ، كما ذكره اليهود أنفسهم في تفاسيرهم القديمة «المدراش».

القبلة: ولموقع الهيكل الثاني قداسة ليس عند اليهود والمسيحيين فحسب بل عند المسلمين أيضاً باعتباره أولى القبلتين التي توجه المسلمون إليها بصلاتهم التي

فرضت عليهم يوم الإسراء والمعراج؛ وقبل أن تُحوَّل القبلة إلى مكة المكرمة بالسنة الثانية للهجرة أي عام 623 م عندما نزلت سورة البقرة:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ص) قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى. وفي لفظ آخر: إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة ومسجدي هذا، ومسجد ايلياء.

وقد ذكر المسجد الأقصى (وهو الهيكل الثاني أو بيت المقدس بالتسمية التلمودية) في القرآن الكريم بسورة الإسراء (التي تعرف أيضاً بسورة بني إسرائيل):

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[2].

ومنذ إنشاء الهيكل الثاني ولاحقاً صارت للجالية اليهودية بفلسطين ومدارس طبريا القوامة الدينية والثقافية لا سيما مع القبلة الجديدة التي نعلم بأنه لم يتقبلها يسوع من كلامه للمرأة السامرية؛ فقد أخبرها بأن القبلة الحقيقية ستظهر لاحقاً؛ وهو ما تم بالفعل

---

(1) سورة البقرة، الآية: 144.

(2) سورة الإسراء، الآيات: 1 - 8.

بعد الهجرة النبوية المباركة إلى المدينة المنورة. ويعتقد بعضهم بأن يسوع الناصري كان من فئة الأسينيين (النذيريين، الذين يرى د. صليبي بأنهم النصارى) الصوفية التي كانت على خلاف مع الصدوقيين (الربانيين التوراتيين الرسميين) الذين لا يؤمنون بالبعث ويوم الدينونة لخلو النصوص التوراتية من الإشارة إليهما والفريسيين (المفروزين) (الأحبار الذين يتبعون سنن موسى الشفوية). والأسينيون قريبون جداً للصابئة الذين كانوا يؤمنون بإله واحد ويغتسلون يومياً ويتوجهون إلى القبلة المكية في صلاتهم ويستعملون المزامير ككتاب أدعية كما ذكر السدي[1] عنهم.

كما رأينا فإن الوعد الأول لبني إسرائيل كان في غرب الجزيرة العربية حيث جاس الأثوريون والكلدانيون ديار مملكتي اسرائيل وهوذة، اما وعد الآخرة فقد تم في فلسطين بعد أن تجمع فيها يهود الشتات من العراق وغرب شبه الجزيرة العربية ومصر، وبها كان نجاحهم الأكبر في الفترة الهلينية - الرومانية على الصعيد السياسي. وكان الدخول الأول للإغريق في زمن الأمبراطور السلوقي أنطيوخس، والتتبير على يد تايتوس كما أسلفنا:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[2].

كذلك جاء في سورة الاسراء: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[3]. وهو عندما يذكرهم بما حل بهم عندما أساؤوا: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[4] فإنه يذكرهم برحمة الله الموجودة، ولكنه يعود ليحذرهم من المستقبل إذ أنهم إن عادوا للافساد والإساءة في الأرض فإن العاقبة المحتومة ستكون عليهم وسيعيد التاريخ نفسه كرة أخرى. وعندما نزلت الآيات على سيدنا محمد (ص) لم يكن في ايلياء بناء معروف بالمسجد الأقصى، ولا بناء آخر معروف

(1) **تفسير السدي الكبير**، إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، المكتبة الوقفية للكتب المصورة.
(2) سورة الإسراء، الآية: 6.
(3) سورة الإسراء، الآية: 104.
(4) سورة الإسراء، الآية: 7.

بمسجد الصخرة المشرفة، ولا سائر الأبنية المنتشرة في مساحة المسجد الأقصى، ولذلك فإن أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب (ر) حين جاء إلى القدس عام الفتح سنة 15 هجرية (637 ميلادية) استشار كعب الأحبار (وكان من قبل يهودياً فأسلم): أين يقع المسجد؟ فقال له كعب اجعله وراء الصخرة. فقال له: ضاهيت اليهودية يا كعب. بل نجعله صدر المسجد (الصخرة)، وهو العمري اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخّر أهل الأردن في نقل بقيتها. وكان الروم قد جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود، وعليها خرائب معبد جوبيتر الوثني الذي هدم بعدما دخلت روما في المسيحية.

ثم بنى عبد الملك بن مروان المسجدين المعروفين بمسجد الصخرة والمسجد الأقصى، وبذلك فإن إطلاق اسم المسجد الأقصى على المسجد المعروف الآن هو اصطلاح حادث، وإن جميع المؤرخين والعلماء أطلقوا المسجد الأقصى على ما دار عليه السور وفيه الأبواب، وهو الذي كان معروفاً عند الاسراء والمعراج. وبغض النظر عما كان الاسم الأصلي لأورشليم الفلسطينية في الحقيقة فمن المؤكد أنه قد تم الاعتراف بها كأورشليم داود وسليمان الأصلية في أيام الحشمونيين/الهاشميين، إن لم يكن في وقت أبكر. وفي ذلك الوقت كان قد تم أيضاً اعتبار فلسطين بأنها هي الأرض الأصلية لشعب إسرائيل البائد وللتوراة العبرية. وبات كل المسرح الجغرافي للروايات التاريخية للتوراة يفهم على أنه يضم بشكل رئيسي بلاد الشرق الأدنى الشمالية (العراق والشام وبلاد القبط) وليس غرب شبه الجزيرة العربية والحبشة. وبداية ذلك كان من زمن ما يسمى بالـ «سبتواجينت»، أو السبعينية، وهي الترجمة اليونانية للكتب المقدسة اليهودية التي تمت في العصر الهليني بإسكندرية القرن 3 ق.م بطلب من الملك بطليموس، حيث وردت الأسماء الطوبوغرافية لغرب شبه الجزيرة العربية، مثل كسديم ونهريم وفرت ومصريم، ثم أعطيت لاحقاً تفسيرات على أنها على التوالي: كلدانيون وما بين النهرين والفرات وبلاد القبط. وفي كتابات فلافيوس يوسفوس نرى أن التطابق بين الرواية التوراتية وأرض فلسطين كان قد أصبح أمراً مفروغاً منه ومن المسلمات، فنراه يساوي مثلاً بين بيت شان التوراتية وبلدة (Scythopolis) الهلينية بشمال الضفة الغربية التي تعرف اليوم ببيسان. وعلى خطى يوسفوس سار مؤرخ الكنيسة المسيحية يوزيبيوس (المولود في قيصرية والمتوفى عام 340 م.) وهو المعاصر للأمبراطور

الروماني قسطنطين الكبير، فقد أعطى أسماء توراتية لأماكن كانت لها مسميات مختلفة تماماً ووضعها في كتاب (Topica) (مختصر لاسم الكتاب الذي يدور على أسماء الأماكن في النصوص المقدسة) والذي ترجم بتصرف إلى اللاتينية على يد جيروم في العام 420م والذي جعله على ترتيب المعاجم من حيث التسلسل الأبجدي فأضحى الأصل الذي دارت عليه الجغرافيا التوراتية الحديثة. وجاءت أهمية الكتاب الأول في وقت كانت الأمبراطورية الرومانية تجنح نحو اعتناق المسيحية، فكانت خير معين للحجاج الذين، على غرار هيلينا والدة الامبراطور، أرادوا زيارة الأماكن المقدسة والتبرك فيها.

الرواية العربية والدور العدناني

العدنانيون

عدنان هو جد العرب العدنانية المشترك بحسب الإرث الثقافي لدى النسابة والإخباريين مثل ابن إسحق وابن الكلبي، عدا عن ذلك تشح الإشارات إليه في المؤلفات أو الشعر أو في الآثار أو النصوص الدينية القديمة. ويرجع النسابون نبي الله محمد بن عبد الله (ص) إلى عدنان ويزعمون بأنه الجد العشرون له.

اتفق النسابون على أن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم (ع) ولكن اختلفوا في عدد الأجداد بين عدنان وإسماعيل[1] بحيث أوصلها بعضهم إلى أربعين جداً! واختلافهم في سلسلة نسبه لإسماعيل كان على عدة أقوال:

أ) الأطول فيها:

عدنان بن أدد بن هميسع بن هميتع بن سلامان (نبيت) بن عوص بن بوز بن شوحا ابن قموال (وكان بعصر سليمان بن داود) بن كسدانا بن حرانا بن بلداسا بن بدلانا (يدلاف أو رائمة) بن طهبا بن جهمي (جاحم وهو علة) بن تاحش بن ماخي بن عبقر ابن الدعا بن حمدان بن بشماني بن بثراني بن بحراني بن بلحاني بن رعوي بن عاقر ابن داسان بن القادور بن النبيت بن إيامة بن دوس بن مقصر بن زارح بن سمي بن مزرا بن جعثم بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام).

(1) البداية والنهاية ج2، خبر عدنان جد عرب الحجاز.

ب) الأقصر فيها:

عدنان بن أدد بن الهميسع بن أسحب بن نبت بن قيذار بن إسماعيل (ع).

لم يتكلم القرآن عن عدنان ولا عن ذرية إسماعيل (ع)، لكن ورد عن نبي الله محمد (ص) أنه كان يكره الخوض في نسب ما فوق معد العدناني وقوله في الموضوع: كذب النسابون! كما ورد عن أم المؤمنين عائشة (ر)؛ وهي كأبيها أبي بكر الصديق (ر) من نسابة العرب قولها: استقام النسب لمعد بن عدنان! فكان عدنان وهو الجد البارز بالأنساب الأكثر جدلاً! فهل من احتمالات حول نسبه في ضوء النصوص التوراتية؟ يتضح من مراجعة النسب الأطول أعلاه لكل عالم بالأنساب التوراتية بأن واضعها لم يتورع عن صفحة لم يقتبس منها: من سلاسل ذريات آدم ونوح وإبراهيم وقومه الإرميين وذرية إسماعيل (ع)؛ لكن أكثر اقتباساته كانت من ذرية العيص أو أدوم بن إسحق بن إبراهيم (ع) الواردة بسفر التكوين36!

ملخص سيرة العيص/أدوم/ وذريته بالتوراة

بتكوين25 الجملة 25:

رزق إسحق (ع) بابنين توأمين: بكره (ع ش و) (يلفظونه عيسو بالتحريف اللفظي للإسم) وسمي كذلك لأنه كان كثيف الشعر عند ولادته؛ ويسمى بالأدبيات العربية العيص وهو لغة النبات الكثيف! ثم أعقبه أخوه الذي سمي بيعقوب (ع). ونشأ الأول صياداً والثاني مزارعاً؛ وفي يوم أتى العيص وكان خائر القوى من الجوع فطلب من أخيه يعقوب أن يطعمه من طبيخ يصنعه قائلاً: أطعمني من الأدام الأدِم هذا (العدان العدِن بمعنى نعيم جنة عدن) لأنني جائع جداً فطلب منه أن يتنازل له عن حق البكورية! ففعل لكنه حقد على أخيه الذي عاد فخدع أباه ليدعو له بالبركة موهماً إياه بأنه العيص ابنه البكر! فزادت نقمة أخيه عليه وأضمر له شراً. وعلمت أمه ربقة التي كانت تحابي يعقوب بالأمر فنصحت يعقوب بالمغادرة لعند خاله بخيران - السليل بوادي الدواسر (وهو من نجد كإقليمي الأفلاج واليمامة) ريثما تهدأ سورة أخيه؛ ففعل لكنه مكث عنده بضعة عشر عاماً وعاد مع نسائه وأولاده وإمائه وماشية كثيرة، أهدى منها لأخيه عند رجوعه نصيباً ظناً منه أنه يسترضيه، لكن العداوة بقيت ناراً تحت الرماد يتوارثها الأبناء. وكما ذكرنا (ص114) فأرض أبناء العيص كانت بلاد الإحجور في سراة عسير.

وكانت قصة يوسف (ع) وذهابه إلى مصر ثم استدعائه لأبيه وإخوته للإقامة بأرض اكسوم بإذن ملك مصرٍ (الحبشة) الذي كان مركز حكمه بمطرة المجاورة. ثم عاد بهم موسى بعد 4 قرون إلى تهامة حيث مكثوا بالتيه (تهامة عسير وحجر) 40 عاماً، ولما أرادوا عبور السراة رفض إخوانهم من أبناء أدوم/عدنان السماح لهم بالمرور عبر بلاد الحجر فاضطروا للعبور عبر أراضي منهب دوس ببلاد زهران؛ وهناك كان قتال مع سيحان ملك بني عمرو ثم مع وج ملك الطائف قبل دخولهم الأرض المباركة وهي أم القرى وما حولها عن طريق السيل الكبير. وكانت أيام الرضا مع القضاة الذين حكموا بشرع الله حتى عهد الملكية مع شاول/طالوت.

وبقيت العداوة، وصارت حرب بين الأدوميين/ العدنانيين وداود (ع)، وكان قاسياً جداً معهم فأخضغهم وقتل منهم الكثيرين. ولم ينسوا الإساءة، فبعد قرون سنحت لهم فرصة قدوم الغازي نبوخذ نصر فتصدوا له بداية ثم صالحوه؛ ربما نكاية ببني يعقوب، بل أورد النبي أرميا أنهم أعانوه! ولا نعود نسمع عنهم بالنصوص حتى عصر (المكابيين) المكيين فنجد بأن الملك حريد الأدومي كان الحاكم على هوذة الفلسطينية إبان حكم الرومان على فلسطين وقام بإعادة إعمار المسجد الأقصى ببيت المقدس على أكمل وجه بما عرف بالهيكل الثاني والذي بقي حتى دمره تايتوس القائد الروماني بالسنة (70م.)، وقد أورد آرييه كاشر[1] معلومة عن الأدوميين بفلسطين أنهم كانوا مختونين؛ تأكيداً على تراثهم الإبراهيمي.

ذرية العيص

جاء بالتوراة[2] أن العيص/أدوم تزوج ابنتين من بنات كنانة:

1 - عائذة ابنة عيلان الحوتي فأنجبت له الفايز.

2 - اهليبة بنت غني بن صبعان (صعب) وهو من الحافيين فأنجبت له: عياش وعلام وقارح؛ فلما رأى امتعاض أبويه لزواجه من كنانيات عاد فتزوج من:

3 - بشامة ابنة إسماعيل (ع) وكانت شقيقة نبت؛ فأنجبت له رغال.

(1) Jews, Idumeans, and ancient Arabs, Aryeh Kasher.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 36، الجملة: 2.

لكنه ظل يشعر بأن أبويه يفضلان أخاه يعقوب (ع) عليه فقرر الهجرة بعيداً عن الجميع؛ فكانت وجهته السراة موطن عسير الحجري بين الباحة وأبها.

ومن ذرية الفايز كان: تيم وعمرو وصفي وخثعم وقنعز. وسرية الفايز تمنية أنجبت له عمليق.

ومن ذرية رغال كان: نخعة وزارح وشيما ومزة.

ويذكر النص أسماء ذرية عسير الحجري أيضاً؛ والذين تغلّب عليهم أبناء العيص/أدوم وهجّروا بعضهم: لوطان وتمنة وباسل وصعب وغني ودوس وأعصر وديش وحجر وأمامة وغيلان ومناخة وعبل وسيف وأونام وآية وغني، وحمدان وعشبان ووتران وقرن، وباهلة ورغوان وعقان وعايض وأدمة.

ومن أسماء ملوك السراة بالألفية الثانية نجد:

بالغ بن بعير، أيوب بن زارح، حسان التيماني، هدد بن بدد (ربما تكون القراءة الصحيحة لهدد: أدد أو حداد أو أزد لأن معنى الاسم الشجاع)، ثمالة، شلية، الحنان ابن عبقر، هدد آخر، وغيرهم. والملاحظ أن كثيراً من هذه الأسماء التوراتية معروفة جداً بكتب الأنساب العربية؛ وغالبيتها من منطقة السراة.

بالنسبة إلى ديانتهم يبدو أن الأدوميين/العدنانيين استمروا على الحنيفية دين أبيهم إبراهيم (ع) لكن الاصطلاح التوراتي المستعمل للحنفاء أنهم كانوا إسماعيليين، ولا تنسب النصوص أية آلهة أخرى لهم.

زمن معد العدناني

يذكر الطبري[1] بأن عدنان تصدى لبختنصر بمقدمه إلى الحجاز عند ذات عرق لكنه هُزِمَ، فعاد وجمع أكثر العرب من منطقة عربة (غرابة الطائف) إلى حضور وهي وادي الأخيضر تتمة وادي العرج بالطائف فأقام لهم بختنصر (المُعسكرِ قرب بركة العقيق) كميناً حصدتهم فيه سيوفه فنادوا بالويل؛ وفيهم نزلت:

(1) تاريخ الرسل والملوك، الطبري.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾[1].

في قصة الطبري (والمسعودي) العربية عن معد وعدنان ونبوخذ نصر هناك تقاطع لذكر النبي أرميا وكاتبه برخيا (بريك) مع الرواية التوراتية. وسفر أرميا ومراثيه تعتبر مفاتيح تنير لنا الكثير من تاريخ الجزيرة القديم؛ بل وتاريخ المنطقة! فمن يقرأ سفر أرميا يخال له أنه يسمع نبياً أرسل إلى جزيرة العرب وليس إلى أي مكان آخر. وقد تقدمت سيرته بفصل المملكة الجنوبية من هذا الكتاب، لكن ما يهمنا هنا ذكره من قبل أهل الأخبار العرب في معلومات لم ترد عند أهل الكتاب! نقل الطبري عن هشام بن محمد عن الشرقي: أن النبي أرميا جاءه وحي نقله هو لكاتبه برخيا[2]: أن ائت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، فيطأ بلادهم بالجنود، ويقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم، وأعلمه كفرهم بي، واتخاذهم الآلهة دوني، وتكذيبهم أنبيائي ورسلي. قال: فأقبل برخيا من **نجران** حتى قدم على بختنصر ببابل وأخبره بما أوحى الله وقص عليه ما أمره به، وذلك في زمن معد بن عدنان. قال: فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والبياعات، ويمتارون من عنده الحب والتمر والثياب وغيرها. فجمع من ظفر به منهم، فبنى لهم حيراً على النجف وحصنه، ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرساً وحفظة، ثم نادى في الناس بالغزو، فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب، فخرجت إليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين، فاستشار بختنصر فيهم برخيا، فقال إن خروجهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما كانوا عليه، فاقبل منهم، فأحسَنَ إليهم. قال فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات، فابتنوا موضع عسكرهم بعد، فسموه الأنبار. قال: وخلّى عن أهل الحيرة، فاتخذوها منزلاً حياة بختنصر، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار، وبقي ذلك الحير خراباً.

(1) سورة الأنبياء، الآيات: 11 - 15.

(2) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج1، ص: 351.

أما عن غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فقد أورد الطبري[1] أن معد بن عدنان لما ولد، ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم، فكان آخر من قتلوا **يحيى بن زكريا!**[2] وعدا أهل الرس على نبيهم فقتلوه، وعدا أهل حضورا على نبيهم فقتلوه، فلما اجترأوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن؛ فأمر بعض أنبيائه أن يأمروا بختنصر - بعد إخرابه المسجد الأقصى وانتسافه بني إسرائيل وإورادهم أرض بابل- أن يدخل أرض العرب فلا يستحيي فيها إنساناً ولا بهيمة، وأن ينتسف ذلك نسفاً فلا يبقي لهم أثراً. وتسترسل الرواية أن أرميا وبرخيا حملا معد بن عدنان إلى خارج منطقة الصراع حماية له فنشأ مع بني إسرائيل، وأن برخيا كتب له نسبه في كتاب عنده ليكون في خزانة أرميا، فحفظ نسب معد[3]. ثم إن عدنان التقى بختنصر بذات عرق، فهزم بختنصر عدنان، وسار في بلاد العرب، حتى قدم إلى حضور متبعاً عدنان؛ وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار عربة إلى حضور، فخندق الفريقان وضرب بختنصر كميناً، فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم، فندموا على ذنوبهم، فنادوا بالويل كما تقدم، ونهي عدنان عن بختنصر ونهي بختنصر عن عدنان. ورجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا عربة فألقاهم بالأنبار، فقيل أنبار العرب، وبذلك سميت الأنبار. ثم مات عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً حياة بختنصر، فلما مات بختنصر خرج معد بن عدنان ومعه الأنبياء، أنبياء بني إسرائيل صلوات الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها، فحج وحج الأنبياء معه، ثم سأل عمن بقي من ولد الحارث بن مضاض الجرهمي فقيل: بقي جشم بن جلهمة، فتزوج معد ابنته معانة، فولدت له نزاراً. (انتهى كلام الطبري).

وطالما هناك ربط لقصة بختنصر بالعرب عموماً وعدنان وأرميا خصوصاً فإننا نستطيع استنباط تفاصيل بعض القصة من سفر أرميا، والاستدلال على جغرافية

(1) تاريخ الطبري، ج1، ص558.

(2) ومما قرأت أنه ورد عن ابن الكلبي أن معد العدناني كان أيضاً من المعاصرين لعيسى ابن مريم عليه السلام، ويجب التحقق من صدقية هذه الأخبار قبل استبعادها تماماً. كذلك رأى الدكتور كمال الصليبي في كتابه البحث عن يسوع أن عيسى ابن مريم الذي أرسل إلى بني إسرائيل كان في تلك الفترة وأنه غير الصالح يسوع الذي كان بفلسطين قبل 2000 عام، راجع أيضاً ص198 و199.

(3) البداية والنهاية، ج2، خبر عدنان جد عرب الحجاز.

بعض الأماكن المذكورة من التوراة نفسها. ذات عرق معروفة بأنها الميقات المكي لحجاج العراق، والرس بالقصيم معروفة، أما حضورا[1] التي تنبأ عنها أرميا بأن تكون مسكن بنات آوى وخربة إلى الأبد، لا يسكن هناك إنسان ولا يجاور فيها ابن آدم، فكانت بحسب قراءتي للتوراة وادي الأخيضر وهو تتمة وادي العرج بالطائف، وعربة التوراتية هي غرابة الطائف. والمسجد لم يكن ببيت المقدس الفلسطيني الذي أنشئ لاحقاً بل الهيكل الذي أنشأه سليمان (ع) بمكة!

فعندما نتكلم عن الرس وحضور والغرابة وذات عرق والمسجد فإننا نتكلم عن حملة واحدة لنبوخذ نصر كان مسرحها الجزيرة العربية من نجدها حتى تهامتها، كان من نتيجتها سبي سكاني إلى بابل، ومن ثم في وقت لاحق تدمير الهيكل السليماني.

يقول الطبري بإيجاز مبهم: ونُهِيَ عدنان عن بختنصر ونُهِيَ بختنصر عن عدنان، وأن عدنان بقي بأرضه ولم يسبى وقومه إلى بابل! فلعله تم تفاهم بين الفريقين محوره التحالف ضد العدو المشترك من بني إسرائيل الذين كانوا بتهامة الحجاز والطائف.

وينقل ابن الكلبي عن ابن عباس (ر) أنه سُئل عن ولد نزار بن معد[2] فقال: هم أربعة[3] مضر وربيعة وإياد وأنمار، فكثر أولاد معد بن عدنان بن أدد ونموا وتلاحقوا ومنازلهم مكة وما والاها من تهامة وانتشروا فيما يليهم من البلاد وتنافسوا في المنازل والمحال، وأرض العرب يومئذ خاوية وليس فيها بتهامتها ونجدها وحجازها وعروضها كثير أحد لإخراب بختنصر إيّاها وإجلاء أهلها إلا من اعتصم منهم برؤوس الجبال وشعابها ولحق بالمواضع التي لا يقدر عليه فيها أحد متنكباً لمسالك جنوده ومستن خيوله فاراً إليها منهم، فاقتسموا الغور غور تهامة بينهم على سبعة أقسام لكل قسم ما يليه من ظواهر الحجاز ونجد وتهائم اليمن لمنازلهم ومحالهم ومسارح أنعامهم ومواشيهم.

السؤال: كيف نجا عدنان وقومه من الإجلاء؟ الجواب من العهد القديم هذه المرة: فالذي ساعد الكلدانيين على دخول عرش السلام/أورشاليم (مكة) كان

(1) سفر أرميا، الإصحاح 49، الجملة: 33.
(2) صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص: 83.
(3) مروج الذهب للمسعودي: احتكموا لأفعى نجران لتفسير وصية والدهم نزار بن معد؛ مما يشير إلى أنهم كانوا يقطنون على مقربة نسبية من مملكته.

الأدوميون المتحدرون من أدوم (العيص) الذين كانوا يكنون العداء طوال تاريخهم الطويل لبني إسرائيل! فهناك تطابق شديد يحدو على الاعتقاد بأن العدنانيين هم الأدوميون التوراتيون. ويورد ابن عباس (ر): عدنان بن أدد، وأدد يظهر مرتين في سلسلة أسماء الملوك الذين حكموا الأدوميين الذين كانت بلاد الحجر موطنهم[1] ومعد المعاصر لنبوخذ نصر كان من سلالة عدنان ولم يكن بالضرورة ابنه المباشر، فالراجح كما أسلفنا بأن عدنان الأول كان العيص نفسه ابن إسحق (ع)؛ هذه المعلومة التي تذكّر بالجملة المتكررة بتكوين 36: العيص هو عدّان أي عدنان! فعدنان الأول هوالأخ التوأم ليعقوب (ع) لا غير.

تم السبي وإفراغ البلاد من العباد فنزل العدنانيون وملأوا الفراغ في كل من نجد وتهامة؛ ودخل كثير من القبائل تحت عباءة العدنانيين طلباً للحماية من إجلاء بختنصر إلى بابل.

أما الاعتقاد بأن عدنان من إسماعيل (ع) فمن سبيل انتساب بعضهم إلى جدهم إسماعيل (ع) عن طريق بشامة ابنته مثلما يفعل الأشراف والسادة بانتسابهم إلى النبي (ص) عن طريق ابنته فاطمة. وأيضاً لانتسابهم (العدنانيين) إلى دين اسماعيل (ع) وهو حنيفية إبراهيم السمحة؛ التي استمروا عليها حتى غزوة نبوخذ نصر.

ما بعد غزوة نبوخذنصر

انتصر قورش الكبير على الكلدان بمعركة أوبيس بالشهر التاسع من العام 539 ق.م ودخل بابل. وأبدى الإخمينيون تعاطفاً مع بني إسرائيل؛ فسمحوا لهم بالعودة إلى عرى/عرش السلام (مكة) وإعادة بناء الهيكل. بداية عادت فئة مع ذربابل بعد 70 عاماً على سبي بختنصر، ثم كانت عودة لآخرين مع العزير حوالى 458 ق. م، لكن العائدين جوبهوا بضغوط شتى من القبائل المحيطة وخصوصاً من بني جشم مخافة أن تعود مملكة هوذة ومعها خطر الغزو والإجلاء من جديد، لكن كفالة الأمبراطورية الإخمينية لحرية العبادة أمّنت للمؤمنين البقاء، بينما فضل

(1) سفر التكوين، الإصحاح 36، الجمل: 35 و39.

آخرون الهجرة إلى مناطق جديدة وخصوصاً بلاد الشام؛ ويبدو أن ذلك تم بعد عصر هيرودوتس (485 - 425 ق.م) الذي لم يذكر خبراً عنهم لا ببابل ولا بفلسطين ولا بمصر إبان مكوثه بالمشرق.

ثم كان زمن الإسكندر المقدوني فانتصر على الإخمينيين ابتداء من العام 334 ق.م واكتسح العالم من شرق أوروبا إلى الهند ثم قفل راجعاً إلى الشرق فاحتل بلاد الشام وبلاد الأقباط، وكان ينوي الإكمال ومد ظل سلطانه على كامل الجزيرة العربية واليمن السعيد خصوصاً؛ لكن القدر عاجله وهو في ريعان الشباب فمات بالعراق وحمل ودفن بالإسكندرية في مكان مجهول. وكانت النتيجة حصول الجزيرة العربية على استقلال تام بقي حتى ظهور الإسلام، ومن تبعاته رفع الحماية الأمبراطورية عن الأقليات بالجزيرة ومنها اليهودية؛ فتعرضت هذه لضغوطات من محيطها جعلها إما تتمسك بأرضها وتتخلى عن معتقداتها وإما تفر بدينها إلى أماكن تتوافر فيها حرية العبادة، فكانت هجرات جديدة إلى بابل وفلسطين وبلاد القبط وربما لليمن. ومع عصر الإسكندر نجد روايات عن وجود لهم ببيت المقدس وبأنهم استقبلوه وأدخله الكاهن الأكبر إلى هيكلها؛ فكان ذلك أول ذكر غير مؤكد للمسجد الأقصى المذكور بسورة الإسراء القرآنية. وازدهرت الجاليات اليهودية بالعراق وفلسطين وبلاد القبط. ترجم العهد القديم إلى اليونانية بالإسكندرية في القرن 3 ق. م، إلا أن الجالية بفلسطين كانت أكبر همة من جاليات بلاد القبط وبلاد الرافدين بالتجمع وتكوين كيان سياسي شبه مستقل لها؛ خصوصاً بعد قيام هوذة وهو من أسرة هاشمية (حشمونية بالتحريف) والملقب بالمكاوي (المكابي بالتحريف أيضاً) في العام 140 ق.م بثورة ناجحة ضد السلوقيين إثر تدنيسهم بيت المقدس وهوالهيكل الثاني الذي أنشأته الجالية بفلسطين للصلاة وتقديم النسك لله (بديلاً عن الهيكل الأول الذي أنشأه سليمان (ع) بمكة في قديم الزمان). واسم هاشم معناه الاسم؛ في إشارة إلى اسم الله الأعظم، فالهاشميون هم المقدسون لذاك الاسم ولا علاقة له بتهشيم الخبز للحجيج كما توهم بعضهم!

وفي القرن الأول ق.م عيّن الرومان هذه المرة شخصاً هو حريد (هيرود) الأدومي/ العدناني (أمه بنت شيخ عربي ومن أسماء إخوته: فيصل ويوسف) ملكاً على هوذة،

فقام بإعادة بناء الهيكل بناءً عظيماً استغرق 30 عاماً ليعود الرومان فيدمروه في العام 70م على يد تايتوس ابن القيصر فسباسيوس. ثم تم تدمير أورشليم بأكملها بعد ثورة بن كوكبة في القرن الثاني الميلادي وتشييد مدينة رومانية سميت إيليانا كابيتولينا (إيلياء بالعربية) ثم معبد لجوبيتر تم تدميره في القرن الرابع عند دخول روما في المسيحية؛ ليبقى الحال على ما هو عليه حتى الفتح الإسلامي وقدوم الخليفة عمر ابن الخطاب (ر) والبدء بتنظيف التلة بعد الصلاة فيها وإقامة المسجد العمري أمام الصخرة لارتباط المكان بإسراء ومعراج النبي محمد (ص)؛ وكان قبلة المسلمين الأولى وبقي ثالثاً للحرمين الشريفين بمكة والمدينة حتى عصرنا الحالي.

فقام بإعادة بناء الهيكل بناءً عظيماً استغرق 30 عاماً ليعود الرومان فيدمروه في العام 70م على يد تايتوس ابن القيصر فسباسيوس. ثم تم تدمير أورشليم بأكملها بعد ثورة بن كوكبة في القرن الثاني الميلادي وتشييد مدينة رومانية سميت إيليانا كابيتولينا (إيلياء بالعربية) ثم معبد لجوبيتر تم تدميره في القرن الرابع عند دخول روما في المسيحية؛ ليبقى الحال على ما هو عليه حتى الفتح الإسلامي وقدوم الخليفة عمر ابن الخطاب (ر) والبدء بتنظيف التلة بعد الصلاة فيها وإقامة المسجد العمري أمام الصخرة لارتباط المكان بإسراء ومعراج النبي محمد (ص)؛ وكان قبلة المسلمين الأولى وبقي ثالثاً للحرمين الشريفين بمكة والمدينة حتى عصرنا الحالي.

خاتمة

إذاً بين أيدينا اليوم حضارتان ولدتا من رحم واحدة ثم افترقتا:

الحضارة الأولى: مع آلاف هجّروا قسراً من الحجاز إلى نينوى في العصر الأثوري/ الأشوري، ثم في العصر الخلداني/الكلداني لبابل، وسمح لهم بالاستمرار في اعتناق - معتقداتهم والاحتفاظ بوثائقهم التاريخية المأثورة، ثم سمح للكثير منهم بالعودة إلى الحجاز بأيام الدولة الإخمينية المتسامحة. استمرت الحماية الامبراطورية للأقليات لكن الأمر تغير مع انتصار الإسكندر وموته قبل امتداد حكمه للجزيرة العربية فتعرضت الأقليات ومنها الموسوية لضغوطات من محيطها أدت بالقابضين على دينهم للهجرة مجدداً للمناطق الخاضعة لسلطة الحكم اليوناني الذي كفل حرية المعتقد، فوصلت جاليات لفلسطين وبلاد القبط والعراق. هذه الفئة أنشأت الهيكل الثاني ببيت المقدس بفلسطين وهو المسجد الأقصى القرآني. مع مرور الوقت نسيت هذه الفئات لغتها الأم وانقطعت صلاتها مع الأرض الأم فدعت الحاجة إلى ترجمة النصوص المأثورة للغات الحية في المهاجر الجديدة. كانت المبادرة الأولى من الملك بطليموس راعي مكتبة الإسكندرية فجمع بالقرن 3 ق.م. 70 عالماً ملماً باللغة الأصلية وقام بترجمة أولى للنصوص إلى اللغة اليونانية. عن هذه الترجمة تمت الترجمة للآرامية ورأينا تفسير الجغرافيا يبدأ هنا على أن بلاد كنعان كانت أرض فلسطين وأرض مصر كانت بلاد القبط وإرم كانت سوريا! وحذت الترجمة اللاتينية حذو الإرمية، ثم تبعتها السريانية.

وفي بداية العصر الإسلامي قام يهود طبريا بمحاولة لإحياء لغة النصوص الأصلية

مستفيدين من تسامح الحكم العربي في فلسطين، لكن علماء النصوص المأثورة قرأوها قراءة حرفية غافلين أنها مدوّنة بخط الجزم المختزل لا بإملاء سيبويه؛ فلم تأت القراءة على الوجه الأكمل مما ساهم في زيادة الغموض بين المقروء والأسماء الحقيقية للمواقع والأقوام، وجاءت اللغة الجديدة القديمة لتكون لغة ساميّة بعيدة عن اللغة الأم.

التحقت بهذه المجموعة في الشتات فئات ما كانت أصلاً من ذرية نبي الله يعقوب/إسرائيل عليه السلام؛ خاصة من مملكة حدياب المشرقية ولاحقاً من مملكة الخزر التي هُجّرت من روسيا وأوكرانيا إلى أوروبا الشرقية بفعل الغزو المغولي[1]، مكونين أكثرية الإشكناز. أما السفارديم بالأندلس والمغرب فكانوا من رعايا الكيانات الأمازيغية السياسية بشمال إفريقيا التي سبقت الفتوحات الإسلامية، وصارت هذه الجماعات الملتحقة بمرور الوقت هي الأغلبية. وقد قيض لبعض هذه الفئات بسبب نشاط أبنائها العلمي والاقتصادي أن تتبوأ مراكز مرموقة في دول القرار العالمية حتى تمكنت من إنشاء كيان قومي خاص بها على أرض فلسطين إبان الانتداب البريطاني في الشرق بالنصف الأول من القرن العشرين الميلادي. وقد راجع عالم الجينات الأميركي كلوسوف (الروسي الأصل) الجينات اليهودية، فوجد نسبة من الكهنة منهم يتمون لـ J1 المفترضة لإبراهيم (ع).

- **الحضارة الثانية:** وهي الأغلبية الساحقة من ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب (ع) أي أكثرية بني إسرائيل الأوائل: بقيت في بيئتها الأصلية، في الجزيرة عموماً والحجاز خصوصاً، واستمرت في تطورها الطبيعي بعدما أحرقت كل رابط لها بالماضي الديني ودخلت في مرحلة من الكفر نسيت فيها كل التراث التوحيدي الموسوي؛ ما عدا بعض من عاد لاحقاً منهم بعد الإضطهاد الروماني. ولعل بعضهم أبطن الإيمان مثلما حدث مع المسلمين بالأندلس إثر محاكم التفتيش، لكن تبين أن هذه الأمور لا تدوم أكثر من خمسة أجيال. ثم منّ الله على الجميع ببعثة المصطفى (ص) التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور، وجعلت منهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله. ويرى شلومو ساند بأنه حتى الغالبية التي بقيت

(1) اختراع الشعب اليهودي، شلومو ساند.

بفلسطين خارج بيت المقدس عادت ودخلت بالإسلام مع الفتح العربي[1].

دلت دراسات الأحماض النووية على أن أغلب أهل الجزيرة العربية هم على قربى وثيقة جينياً من نبي الله إبراهيم، فبكل المقاييس هم أمته وذريته الأقربون من بين كل الناس، فالله وعده بأن تكون الأرض المباركة لذريته ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾[2]. هذه الفئة كانت بالحجاز منذ الجاهلية الأولى حتى نزول شريعة موسى، ثم عصر الهيكل الأول المكي ثم عصر الجاهلية الثانية حتى بزوغ الدعوة المحمدية.

قد يرى أحدهم في فتح هذا الموضوع تسليط أعين اليهود على أقدس بقاع المسلمين لاسيما بعد ما نشره البعض منهم[3] لكنه في الحقيقة دعوة للرجوع إلى قبلة إبراهيم الحقيقية التي توحّد ولا تفرّق، القبلة التي تنبّأ يسوع للسامرية بإعادة الكشف عنها، والتي هي بيت الله الحرام بمكة؛ لا القدس ولا نابلس. كما أن هذا العمل ركز على توضيح أن ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب بأغلبيتها بقيت في الأرض المباركة من آلاف السنين ولم تغادرها، فأي دعوى لا تراعي هذه الحقيقة هي باطلة بالبراهين المقدمة. والإيمان بقبلة محمد والتوجه إليها يستتبعه الإيمان بأنه خاتم المرسلين والنبي المنتظر، وبأن شريعته هي المتممة لشريعة موسى. وبعدما كان العهد القديم لبني إسرائيل خصوصاً فإن العهد الأخير جاء مفتوحاً للعالمين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[4]. بالشريعة الجديدة لا تحديد لقومية والكل مشارك في العهد الإلهي الأخير، وملة إبراهيم صارت تشمل كل من كان حنيفاً مسلماً لله.

والعرب بأغلبيتهم ما زالوا لا يقرّون ليهود اليوم بأي أحقية في أية أرض عربية لا بفلسطين ولا خارجها، ورأى الدكتور كمال الصليبي أن الظروف التي تلت الحرب العالمية الأولى وأدت لقيام الكيان الصهيوني كانت استثنائية ولن تتكرر[5]، والعدل يكون بوضع الأمور في نطاقها الصحيح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل يا رب على عبدك نبي الهدى وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام.

(1) اختراع الشعب اليهودي، شلومو ساند.
(2) سورة إبراهيم، الآية: 47.
(3) Return to Mecca, Dennis Lipkin.
(4) سورة الأعراف، الآية: 158.
(5) كمال الصليبي في حوار مع زياد منى، دراسات قدمس.

المصادر والمراجع

الكتب المقدسة

1. القرآن الكريم - مطبعة المدينة النبوية.
2. الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

المصادر العربية

1. أبجدية القرآن من مملكة سبأ - محمد عقل - دار المحجة البيضاء.
2. أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن والتوراة ولهجات أهل السراة - د. أحمد بن سعيد قشاش - دار الإنتشار العربي - الطبعة الأولى 2018م.
3. الآثار الإسلامية في مكة المكرمة - د. ناصربن علي الحارثي - الطبعة الأولى - الرياض - 2009م.
4. الإبدال معجم ودراسة، أدما طربيه، مكتبة لبنان، 2005م.
5. اختراع الشعب اليهودي، شلومو ساند، الأهلية للنشر.
6. الأدب الشعبي - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الثانية - 1982م.
7. أطلس السيرة النبوية - د.شوقي أبو خليل - دار الفكر - دمشق - سوريا - الطبعة الأولى - 2002م.
8. أطلس خرائط المملكة العربية السعودية - المهندس زكي محمد علي فارسي - 1422هجرية.
9. أطلس خرائط مكة المكرمة - د.معراج بن نواب ميرزا - هيئة المساحة الجيولوجية السعودية - جدة - 1426هجرية.
10. الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير - الحسن الهمذاني - الكتاب العاشر - المطبعة السلفية - القاهرة - 1368هـ.

11. أودية مكة المكرمة- عاتق بن غيث البلادي – دار مكة – الطبعة الأولى – 1985م.
12. البحث عن يسوع، كمال الصليبي، فراءة جديدة للأناجيل، دار الشروق، عمان-الأردن، 1999م.
13. البداية والنهاية لابن كثير – دار الفكر – بيروت – 1982م.
14. بنو شهر- أحمد علي ركبان الشهري – الطبعة الأولى – 2011م.
15. بين مكة واليمن- عاتق بن غيث البلادي – دار مكة – الطبعة الأولى – 1982م.
16. بين مكة وبرك الغماد – عاتق بن غيث البلادي – دار مكة – الطبعة الأولى – 1996م.
17. بين مكة وحضرموت – عاتق بن غيث البلادي – دار مكة – الطبعة الأولى – 1982م.
18. تاريخ آثار مكة والمدينة – أصغرقائدان – ترجمة الشيخ إبراهيم الخزرجي – دار النبلاء -بيروت – الطبعة الأولى – 1999م.
19. تاريخ الطبري – دار المعارف – الطبعة الثانية 1967م.
20. تاريخ مكة، الأزرقي.
21. تاريخ هيرودوت – ترجمة عبد الإله الملاح – هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث 2007م.
22. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، الحافظ القرطبي، دار الفكر.
23. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة -مصر.
24. تفسير السدي الكبير.
25. التوراة السامرية – أبو الحسن الصوري – دار الجيل – الطبعة الأولى – 2007م.
26. التوراة جاءت من جزيرة العرب – كمال الصليبي – موسسة الأبحاث العربية – الطبعة الثانية – 1986م.
27. جغرافية التوراة – مصر وبنو إسرائيل في عسير- زياد منى – رياض الريس للكتب والنشر – الطبعة الأولى - كانون الثاني – 1998م.
28. جغرافية المملكة العربية السعودية – الجزء الثاني – إقليم جنوب غرب المملكة – د. عبد الرحمن صادق الشريف – دار المريخ – الرياض – 1984م.
29. حارات مكة – عبدالله محمد أبكر – الطبعة الأولى – 1428هـ.
30. حروب داوود – كمال الصليبي – دار الشروق للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – الطبعة العربية الأولى – 1990م.
31. خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل – كمال الصليبي – دار الساقي – 1998م.
32. خيبر – عاتق بين غيث البلادي – دار النفائس – 2003م.

33. الرحلة النجدية - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الثانية - 1982م.
34. الرحلة اليمنية للشريف البركاتي - تحقيق عاتق بين غيث البلادي - دار النفائس - 2005م.
35. رسائل الرسول - سعيد حسين - دار الهادي - بيروت - الطبعة الأولى - 2000م.
36. زمزم شراب الأبرار - دار ابن سينا للنشر - الرياض - 1997م.
37. السبئيون وسد مأرب - محمود جلال العلامات - تهامة - جدة - الطبعة الأولى - 1984م.
38. ستة أشهر في الحجاز- تأليف جون كين - ترجمة سارة هادي - دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - الطبعة الأولى 2011م.
39. السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر المزامير.
40. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - الحافظ الفاسي - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - الطبعة الأولى - 2008م.
41. صحيح مسلم - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت 2014-م.
42. صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، تأريخ المستبصر لابن المجاور، شركة دار التنوير للطباعة والنشر.
43. صفة جزيرة العرب للحسن الهمذاني - تحقيق الأكوع الحوالي - مطبعة الأرشاد - صنعاء - الطبعة الأولى - 1990م.
44. صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشرهجري - عبدالله محمد أبكر- مؤسسة علوم القرآن ومنارللنشروالتوزيع - الطبعة الثانية - 2009م.
45. على ربى نجد - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الإولى - 1986م.
46. على طريق الهجرة - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الثانية - 1993م.
47. العهد القديم العبري - ترجمة بين السطور - الأبوان بولس الفغالي وأنطون عوكر - الجامعة الأنطونية - 2007م.
48. في طريق الميثولوجيا عند العرب - محمود سليم الحوت - دار النهار للنشر - الطبعة الثانية - بيروت - 1979م .
49. قلب الحجاز - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الأولى - 1985م.
50. كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة - عرّام السلمي - دار الكتب العلمية - بيروت - 1990م.

51. كتاب الأصنام، أبو المنذر هشام الكلبي.
52. كتاب الإكليل - تصنيف الحسن الهمذاني - الجزء الثامن - تحقيق الأكوع الحوالي - مطبعة الكاتب العربي - دمشق - 1979م.
53. كتاب التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه.
54. الكتابة العربية والسامية - د.رمزي بعلبكي - دار العلم للملايين - الطبعة الأولى - 1981م.
55. كذبة السامية وحقيقة الفينيقية - فرج الله صالح ديب - دار نوفل - الطبعة الأولى - 1998م.
56. الكعبة المشرفة والحجر الأسود - د.محمد عبد الحميد الشرقاوي ود. رجائي شوكت الطحلاوي - دار الفكر العربي - القاهرة - 2008م.
57. اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية - تشيم رابين - ترجمة د. عبدالكريم مجاهد - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الأولى - 2002م.
58. محمد في الكتاب المقدس - عبد الأحد داوود - ترجمة فهمي شمّا - دارالضياء للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية - 1985م
59. المحيط الجامع في الكتاب المقدس - الشرق القديم -الخوري بولس الفغالي - المكتبة البولسية - جمعية الكتاب المقدس - الطبعة الأولى - 2003م.
60. مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام، محمد الخياري، مطابع الأيوبي، الرياض.
61. مختصر سيرة ابن هشام - دار النفائس - بيروت الطبعة الثالثة 1981م.
62. مروج الذهب للمسعودي - دار الأندلس - الطبعة الثالثة - 1978م.
63. مع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح طبارة - دار العلم للملايين - الطبعة الحادية عشرة - كانون الأول 1982م.
64. معالم مكة التاريخية والأثرية - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الثانية - 1983م.
65. معجم أسماء العرب - جامعة السلطان قابوس - مكتبة لبنان - 1991م.
66. معجم أسماء مكة - عبدالله بن محمد الأبح الزهراني - دار الطرفين - 1431هـ.
67. معجم البلدان والقبائل اليمنية - إبراهيم أحمد المقحفي - دار الكلمة للنشر والطباعة

والتوزيع - صنعاء - الجمهورية اليمنية - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - 2002م.

68. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - حمد الجاسر- دار اليمامة - الرياض - الطبعة الأولى - 1977م

69. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الأولى - 1982م

70. معجم قبائل الحجاز - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة - الطبعة الثانية - 1983م.

71. معجم قبائل المملكة العربية السعودية - حمد الجاسر - دار اليمامة - الرياض - المملكة العربية السعودية - 1980م.

72. معجم معالم الحجاز- عاتق بن غيث البلادي - دارمكة - الطبعة الأولى 1984م.

73. المعجم اليمني في اللغة والتراث، مطهر علي الإرياني، دار الفكر، دمشق.

74. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - د.جواد علي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثانية - كانون الأول 1979م.

75. المهرة ولهجاتها، علي محسن.

76. المواقع الجغرافية في فلسطين - الأسماء العربية والتسميات العبرية - شكري عراف - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - الطبعة الأولى - بيروت - 2004م.

77. موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية - دارة الملك عبد العزيزوهيئة المساحة الجيولوجية السعودية - الرياض - 1424ه

78. الموسوعة اليمنية - مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة العفيف الثقافية - الطبعة الثانية - 2003م.

79. نداء السراة - اختطاف جغرافيا الأنبياء - جمعية التجديد الثقافية الإجتماعية - مملكة البحرين - داركيوان للطباعة والنشروالتوزيع - دمشق - الطبعة الأولى 2006م.

80. نسب عدنان وقحطان لأبي العباس المبرّد - دار الوراق للنشر - الطبعة الأولى - 2007م

81. نشيد الأناشيد - د.محمود شريح - دار نلسون - بيروت - الطبعة الأولى 2008م.

المصادر الأجنبية

1. Atlas of the Bible – Reader's Digest's – 1981.
2. Frankincense and Myrrh – Nigel Groon – Longman – London and Newyork – Librairie du Liban 1981.
3. Hebrew in its West Semitic Setting – A. Murtonen – Leiden – 1986.
4. Introduction to Biblical Hebrew – Thomas O. Lambdin – Harvard University – Darthon – Longman and Todd – London – 1973.
5. Islam in Ethiopia – Jay.S.Trimingham – Frankcass and Company Limited – UK – 1965.
6. Jews, Idumaeans, and ancient Arabs.
7. Old Testament – Hebrew and English – The British and Foreign Bible Society – 1992.
8. Return to Mecca, Dennis Avi Lipkin, A.k.A Victor Mordecai.
9. Smith's Bible Dictionary – Revell Company – April – 1984.
10. Sundials, Design, constraction, and uses, Denis Savoie.
11. The Bible Unearthed – Israel Finkelstein and – Touch Stone – 2002.
12. The book of Herbrew Script. Ada Yardeni.
13. The British Library, Oak Knoll Press.
14. The Camel and the Wheel – Columbia University Edition 1990.
15. The Illustrated Bible Dictionary – M.G.Easton – Crescent Book – 1989.
16. The Lost Cities of Africa – Basil Davidson – Atlantic Monthly Press 1970.
17. The making of the Old Testament – Edited by Enid B. Mellor – Cambridge at the University Press – 1972.
18. The Samaritan Chronicle II – John McDonald – Walter Dev Gruyter and Company – Berlin – 1969.
19. Undiscovered Asir – Thierry Mauger – Stacy International – 1993.

المصادر الأجنبية

1. Atlas of the Bible – Reader's Digest's – 1981.
2. Frankincense and Myrrh – Nigel Groon – Longman – London and Newyork – Librairie du Liban 1981.
3. Hebrew in its West Semitic Setting – A. Murtonen – Leiden – 1986.
4. Introduction to Biblical Hebrew – Thomas O. Lambdin – Harvard University – Darthon – Longman and Todd – London – 1973.
5. Islam in Ethiopia – Jay.S.Trimingham – Frankcass and Company Limited – UK – 1965.
6. Jews, Idumaeans, and ancient Arabs.
7. Old Testament – Hebrew and English – The British and Foreign Bible Society – 1992.
8. Return to Mecca, Dennis Avi Lipkin, A.k.A Victor Mordecai.
9. Smith's Bible Dictionary – Revell Company – April – 1984.
10. Sundials, Design, constraction, and uses, Denis Savoie.
11. The Bible Unearthed – Israel Finkelstein and – Touch Stone – 2002.
12. The book of Herbrew Script. Ada Yardeni.
13. The British Library, Oak Knoll Press.
14. The Camel and the Wheel – Columbia University Edition 1990.
15. The Illustrated Bible Dictionary – M.G.Easton – Crescent Book – 1989.
16. The Lost Cities of Africa – Basil Davidson – Atlantic Monthly Press 1970.
17. The making of the Old Testament – Edited by Enid B. Mellor – Cambridge at the University Press – 1972.
18. The Samaritan Chronicle II – John McDonald – Walter Dev Gruyter and Company – Berlin – 1969.
19. Undiscovered Asir – Thierry Mauger – Stacy International – 1993.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

فهرس الإقتباسات من التوراة وسائر أسفار العهد القديم

سفر التكوين

سفر الخروج

سفر اللاويين

الإصحاح	الجملة	الصفحة
11	3	16

سفر العدد

الإصحاح	الجملة	الصفحة
13	28	17
21	30-21	156
21	35-32	156
22، 23، 24	بالكامل	18
33	بالكامل	155
33	5،3	126
33	5 وما بعدها	124، 146
33	8	149
34	3	158
34	6	158
34	7	158
34	10	158

سفر التثنية

الإصحاح	الجملة	الصفحة
1	4	156
1	7	158
2	21-20	180
2	37-24	156
3	13-1	156
6	8	23
11	18	23
11	30	205
27	12	205
27	13	205
28	68-58	159
28	68	17، 128، 223
34	6-5	159

سفر يوشع

الإصحاح	الجملة	الصفحة
8	33	205
11	11-1	161
15	بالكامل	162
16	بالكامل	163
17	بالكامل	163
18	بالكامل	163
19	9-1	163
19	16-10	164
19	13	208
19	23-17	164
19	31-24	164
19	39-32	164
19	46-40	164
21	بالكامل	165
24	26	48
24	30	165

سفر القضاة

الإصحاح	الجملة	الصفحة
3	9	167
3	15	168
3	31	168
4	11	143
4 و5	بالكامل	168
6 و7 و8	بالكامل	168
7	22	168
9	7	205
9 و10	بالكامل	169

10	1	169
10	3	169
11 و12	بالكامل	169
12	11	169
12	13	169
16-13	بالكامل	169

سفر صموئيل (سموأل) 1

الإصحاح	الجملة	الصفحة
1	بالكامل	170
4	1	172
8	6-5	94
13	16	172
16	1	171
17	1	172
27	10	109
31	1	172

سفر صموئيل (سموأل) 2

الإصحاح	الجملة	الصفحة
8	9	95
24	1	180

سفر الملوك الأول

الإصحاح	الجملة	الصفحة
1	33	180
2	10	173، 185
4	23	19
4	25	185
9-5	بالكامل	188
6	37	188
9	12	19

9	26	186
10	13-1	18
10	22	18
10	25	191
11	1	148
11	19	125
11	25-23	94
12	25	203
12	29	203
15	33	203
18	15	204
18	20	205
19	15	207
20	43	204

سفر الملوك الثاني

الإصحاح	الجملة	الصفحة
14	25	208
19	8	20
20	8	183
20	11-8	20
22	8	17، 36، 43، 128

سفر أشعيا

الإصحاح	الجملة	الصفحة
10	5	217
10	28	218
11	11	218
19	18	32، 41، 95، 223
20	1	218
36	1	219
37	9	219
38	7	183

سفر أرميا

الإصحاح	الجملة	الصفحة
1	1	220
6	16	220
24	8	221
27	1	220
35	5	221
49	33	251

سفر حزقيال

الإصحاح	الجملة	الصفحة
2	1	225
11	15	226
33	21	226
37	1	227

سفر يونان

الإصحاح	الجملة	الصفحة
2	1	208

سفر الأمثال

الإصحاح	الجملة	الصفحة
31	31-10	30

سفر أيوب

الإصحاح	الجملة	الصفحة
1	1	117، 118
1	15	117
1	17	117
1	19	118
2	11	118
6	19	118
10	23-21	118
19	25	116
32	2	118

سفر أرميا

سفر حزقيال

سفر يونان

سفر الأمثال

سفر أيوب

سفر دانيال

الإصحاح	الجملة	الصفحة
3	2	228

سفر عزرا

الإصحاح	الجملة	الصفحة
5	بالكامل	63 - 57

سفر نحميا

الإصحاح	الجملة	الصفحة
4	1	213

سفر أخبار الأيام 2

الإصحاح	الجملة	الصفحة
12	1	216

فهرس الأعلام

ب

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس الأماكن والبلدان



ت

ث

ج

خ

د

خ

د

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ل

م

ن

هـ

و

ي



هذا الكتاب

كشف جديد يلحّ على ثلاثة أقانيم تعدّل الدراسات التوراتية الغربية برمّتها:

1- أن أم القرى وما حولها هي الأرض المقدسة التي كتب الله لإبراهيم؛ لا فلسطين.

2- أن بني إسرائيل عرب بائدة كانوا على الحنيفية ثم على شريعة موسى(ع) ثم على الكفر - بعد غزوة نبوخذ نصر - ثم أصبحوا على الإسلام مع محمد(ص)، وأن غالبية يهود اليوم بمن فيهم الذين بفلسطين لا ينتمون لإبراهيم(ع) بحسب دراسات الأحماض النووية.

3- أن نصوص التوراة وعلى رأسها ألواح موسى(ع) دوّنت بلغة عربية قديمة هي لهجة كنانة الأولى التي سكنت تهامة الحجاز منذ الألفية 3 قبل الميلاد، وبخط جزم تخالف إملاؤه قواعد سيبويه في الكتابة.

ولئن كان للد. كمال الصليبي كرّ البصر في جغرافية التوراة فإنه قيّض للد. محمد منصور أن يعيد النظر في لغتها وفي جغرافيتها؛ فكشف عن تراث عظيم موغل في تاريخ العرب، ولا غنى عنه لفهم حاضر الأمة العربية بحيوية موروثها.

د. محمود شريح


ISBN 978-9953-93-326-9
9 789953 933269